

﴿ كُتَاب ﴾

العقد الثمين في بيان مسائل الدين

تأليف الشيخ الفاضل العالم العلامة الشيخ علي ابن

الشيخ أبي السعود محمد ابن الشيخ عبد الله بن

الحسين بن مرعي بن ناصر الدين

العباسي الشافعي الشهير

بالسويدي رحمه

الله تعالى

آمين



﴿ وقد وضع بأسفله حواش قد جردت من نسخة المؤلف وقد فصل بينهما بجدول ﴾

﴿ طبع بالمطبعة الميمنية بمصر ﴾

﴿ سنة ١٢٢٥ هـ ﴾

﴿ ترجمة المؤلف ﴾

هو أبو المصطفى الشيخ علي بن أبي السعد الشيخ محمد سعيد بن أبي البركات جمال الدين الشيخ عبد الله الشهير بالسويدي بن حسين بن مرعي بن الشيخ ناصر الدين بن الحسين بن علي بن أحمد بن محمد المدلل بن عبد الله بن الحسين بن علي بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي بكر بن الفضل بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحق بن علي بن أحمد بن الموفق طلحة بن جعفر بن محمد بن الرشيد بن محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان رحمه الله تعالى أعلم أهل عصره في مصره بالحديث بل ثالث الشيخين الذين عزلهما التثليث له اليد العليا في سائر العلوم المنطوق منها والمفهوم نادرة الوجود شبل الخبر أبي السعد قد افتخرت به الزوراء بل حرى ان تفتخر به الغبراء بحر علم لا يدرك شاطئه وطود فضل لا ينال قربه وقاصيه ان وعظف الجوزى في بلاغته وان خطب فالبن ساعدة في جزائسه عالم عامل كثير المحامد والفضائل كان يحفظ عشرين ألف حديث من الكتب الصحاح فيله من توفيق وفلاح قال العلامة السيد محمود أفندي الألوسي مفتي مدينة بغداد في كتابه نزهة الألباب ومجموعة الوسطى ما لفظه كان الشيخ المشار اليه لازالت سحائب الرحمة متواليه عليه لأهل السنة برهانا وللعامة المحدثين سلطانا ما رأيت أكثر منه حفظا ولا أعذب منه لفظا ولا أحسن منه وعظا ولا أفصح منه لسانا ولا أوضح منه بياناً ولا أكمل منه وقارا ولا آمن منه جارا ولا أكثر منه حلا ولا أكبر منه معرفة الرجال علما ولا أغرب منه عقلا ولا أوفر منه في فنه فضلا ولا ألين منه جانبا ولا آنس منه صاحبا ولهذا الفاضل نظم كثير ونثر يري بدرارى الفلك الأثير لكن لم يحفظ منه الا القليل ولقد حسدنا الدهر عليه فرقه أيادى سبا وهجم عليه الضياع والنسيان فنهب وسبا شطريه

وسهم الرزايا بالنفائس مولع * ولقد مضت لي معه أيام كرت فيها من حيا مجالسه أهنا مدام حيث السحاب مريع والزمان ربيع والنسيم عليل والوقت كاه سحر وأصيل وقد كان في مبدأ طلي وأوائل تحصيل أربي وأوان صلاحيته لمجالسة أمثاله وقابليته لقطف جنى فضاله قاطنا في دمشق الشام لازالت شامة وجنات بلاد الاسلام وكانت تغدا أخباره على مسامعي وتنشوق الى لقاء أجفان عيون مطامعي حتى لقيته فاهتزت به أعطاف المسره وثلت منه ما هو للروح قوة وأطرف الظرف قره فرأيت كأنما سرق الحسن من بعض شمائله واقتطف العلم من بعض فضائله طبع أرق من برد النهر هلاله الشمال وأصفي من ريق مدامة صفقه العذب الزلال

له صحائف أخلاق مهيبة * منها العلى والحجا والظرف يتسج

وقرأت عليه نخبة شرح الفكر في مصطلح أهل الأثر فرأيت عزيز المثال غريب السكال فرد
في الحديث شاذ النظير في القديم والحديث صحيح التقرير حسن التحرير كلامه محكم غير
مختلف ولا منسوخ وشاهد فضله له متابعات على أنه ذو رسخ سند كماله أصبح الأسانيد وسلسلة
جماله كاللؤلؤ النضيد مرسل معروفه متصل غير منقطع ولا منقطع ولا معلق ولا منكسر ومنزهد
احسانه متواتر مستفيض مشهور أوضح من أن يسطر نقله غير موضوع ولا مضطرب ولا مصحف
ولا معال ولا مغلوب ولا محرف كل فضل مدرج في أفضاله وكل مشكل ينحل بأقواله لا تدليس
بصفاته ولا توقف في رجحان ذاته ثم أنه لم يني الا القليل حتى عزم على الرحيل وفصل الرجوع
الى الشام وكان ذلك الأمر أراد به العليم العلام فامتطى غارب الاغوار والانجاد والزمان يضم
سلب ما أولاه بخلا وان جاد الى ان حل بناديها وتغذى بنسيمها وام بحجر نعيمها وقال في ظلال
أغصانها المتعانقة هوى ووداد وتطرأ بأنفاس شائها التي صارت للنداء فلم تمض مدة حتى قطعت
يد الأجل نواره واطفأت ریح المنية أنواره فتوفي ليلة الخميس السابع والعشرين من رجب سنة
ألف ومائتين وسبعة وثلاثين فيلها مصيبة جليلة النصيب والعطب وكان يقرأ في سكرات الموت
قوله تعالى أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين الآية الى أن أذن المؤذن لصلاة المغرب فترك قراءته
والنزم اجابته فبعد اتمام الشهادتين أجابت روحه داعي الله ولا حول ولا قوة الا بالله ثم غسل
وكفن وبقى الى الصباح فصلى عليه ودفن في سفح جبل قاسيون وجرت عليه من العيون عيون
فان الله واناليه راجعون اه وقدر ثراه جماعة من فضلاء زمانه منهم الفاضل الشيخ علي الأمين
ناظم الدر الثمين بقصيدته التي جاءت بأحسن نظام وأتم انسجام مطلعها

هو الموت لا ينفك يسطو ويحفضل * على كل ناد للكرام ومحفل
* يخاتلنا حيناً وحيناً بكمرة * وينقد منا كل أفضل أفضل
ويرصدنا رصد العدو وعدوه * ويرقب منا فرصة المتفضل
فيصطاد منا كل أصيد بأسل * ويمتاز بالتميز صكل مبعجل
فان كنت لا تدرين يا نفس فانظري * الى دار محمد قد غناها ومنزل
وان كنت لا تدرين بالموت فاعلمي * بأن ممات الأرض فرقة مفضل
الام وحتى يازمان الى مستى * تجرع سادات الوري كاس حنظل
أرى الدهر بالامجاد يأسده ولعا * يسوءهم وفي كل دهياء معضل
ألم نردار الجمد بالسرخ أصبحت * بها الذب بعد الذب قد وتنا على
ففضي فقضي من بعده الجود والندا * وناح عليه من يقيم ومرسل
فقميدله تبكي العواجم جميعها * بكاء تكول عند فقدائها الولي

فتى فضله كالشمس يشرق جهرة * اذا مارووه بالحديث المسلسل
سقى الناس من فيض العلوم وفي غد * سيسقى سر يعا من رحيق وسلسل
اماود موع في الدياجي تصوبها * اماقيه في وقت الدعا والتبتل
لقصد كان للاسلام كهفا وناصرا * وعضبا لحرب الضد لم يتفائل
بكي العلم والتدريس شجوا الفقه * وكان لجيد العلم كالعقد في الحلبي
الى ان قال

تركت به أقصى المصاب مؤرخا * نعم بنعيم الخلد منزله على
ومن رثاه وأرخ وفاته الشيخ على المكي بقصيدته التي مطلعها
لمن منزل يبكي له كل منزل * وكل به في لاعج الوجد مصطلي
أرى النفس بالاشراف تغلى بأدمع * لها في صدور القوم آثاف مرجل
أآن لنا من نفحة الصور نفحة * وجلجل اسرافيل في كل معضل
أم السكون وفي آخر السكنة فأنتهى * بدنهيا تسقى النائبات بحفظ
الى ان قال

وفي ذاك نادى في الجنان مؤرخا * على له في الخلد أروج منزل
وقدر ثاد وأرخ وفاته ابن عمه الشيخ محمد سعيد بن الشيخ احمد السويدي بقوله
مدوسد اللحد نادانا مؤرخه * ان المدارس تبكي عند فقد على
ولقد حزن عليه المسامون والاسلام وأبكي حمامه حمام الشام
بيت

حمام أبلت في الحنين لباسها * فلم يبق منها غير طوق لجيدها
ومن شعره تخميسه لقصيدة الامام البويصري التي مطلعها
الى متى أنت بالذات مشغول * وأنت عن كل ما قدمت مسؤل
ومن شعره

يا نفس كم لانهبثين بحال * هلا تعظت بفرقة الامثال
هذا الشباب تصرمت أيامه * وأتى المشيب يميل للترحال

وهي قصيدة طويلة لا يسع ذكرها وله من المؤلفات هذا الكتاب المسمى بالعقد الثمين ورسالة في
الخصاب وشرح المناوي الصغير ودرس ووعظ وأخذ العلم عن والده وعن عمه الشيخ عبد الرحمن
السويدي وبه تخرج وعن خول زمانه لازال ثاويافي قصور الجنان وضيحه مطاب الرحمة
والرضوان ما بكي القطر لفراق الغمام وضحك النور لبكائه في الأكمام آمين

﴿ فهرست كتاب العقد الثمين في بيان مسائل الدين للعلامة السويدي ﴾

صفحة	
٤	المقدمة في أخبار النبي ﷺ بقرينة الدين والحث على الفرار من الفتنة وحصول الاختلاف في وتحريره على اتباع سنته ولزوم طريقته
١٥	الباب الأول في بيان الدليل على العلم بوجود الله ووجوب الإيمان به وتوحيده توحيده فقط هل هو العقل أم الشرع وحاصل ما قيل في ذلك
٢١	الباب الثاني في بيان هل يصح إيمان المقلد وسوق الخلاف السكائن فيه وبيان القول المختار
٣٧	الباب الثالث في بيان الإيمان والاسلام وتلخيص ما اختاروه في بيان حقيقة الدين
٥٠	الباب الرابع في تحقيق معنى كلمة الاخلاص وبيان أعرابها وغير ذلك
٦٦	الباب الخامس في بيان توحيده الله في ربوبيته وألوهيته واستحقاق عبادته وبيان العبادة وأنواعها وما يلزم المكلف
٧٨	الباب السادس في الشفاعة وجواز الاستشفاع بالنبي ومنعه وبيان دلائل القرينة
١١٨	الباب السابع في بيان الشرك الأكبر المخرج عن الملة وبيان ما قيل فيه
١٢٥	فصل يكفر من يعبد غير الله
١٤٠	الباب الثامن في بيان الشرك الأصغر وأنواعه
١٤٧	الباب التاسع في بيان المعجزة والكرامة والسحر وغير ذلك
١٥٦	الباب العاشر في بيان الإيمان بالرسول وما يجب ويمتنع عليهم وما يجوز
١٦٣	الباب الحادي عشر في بيان كيفية حياة الأنبياء والشهداء ومقرأرواحهم وما يتبع ذلك
١٧٥	الباب الثاني عشر في أحكام زيارة القبور وحكم شد الرحال إليها
١٨١	الباب الثالث عشر في بيان حكم الهجرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٢٠٤	الباب الرابع عشر في بيان أحكام المرتدين وتارك الصلاة وما نفع الزكاة ومن ترك شيئاً الدين
٢٠٩	الباب الخامس عشر في معرفة البدع وأنواعها
٢١٧	الخاتمة
	الفصل الأول في النذر
٢٢٠	الفصل الثاني في النحر وأحكام الذبائح
٢٢٥	الفصل الثالث في الاستعاذة



﴿ كتاب ﴾

العقد الثمين في بيان مسائل الدين

تأليف الشيخ الفاضل العالم العلامة الشيخ علي ابن

الشيخ أبي السعود محمد ابن الشيخ عبد الله بن

الحسين بن مرعي بن ناصر الدين

العباسي الشافعي الشهير

بالسويدي رحمه

الله تعالى

آمين

﴿ وقد وضع بأسفله حواش قد جردت من نسخة المؤلف وقد فصل بينهما بجدول ﴾

﴿ طبع بالمطبعة الميمنية بمصر ﴾

﴿ سنة ١٢٢٥ هـ ﴾

٨

قال الشيخ الامام العلامة القم مقام الشيخ علي ابن العلامة الشيخ أبي السعود محمد سعيد نجل العلامة
 الشيخ عبد الله بن الحسين بن مرعي بن ناصر الدين العباسي الشهير بالسويدي في رسالته التي سماها
 العقد الثمين في بيان مسائل الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين حمد معترف برؤيته موحدا له في ألوهيته وأشهاد
 أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الها واحدا فردا صمدا تفرد بالملك والبقاء والمنع والعطاء
 فلا يضاويه أحد في صمدية وأشهاد أن محمدا عبده ورسوله المصطفى من خير جرائيم العرب فهو
 المختار من جميع بريته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته ومن اهتدى بهديه المبين

(قوله بسم الله الرحمن الرحيم) أي أولف والباء للاستعانة أو للباسة والاسم مشتق من السمو وهو
 العلو أو من الوسم وهو العلامة وحذفت همزة تخفيفا بالكثرة الاستعمال والله علم على الذات الواجب
 الوجود لذاته وقيل هو اسم الله الأعظم وعدم الاستجابة لأكثر الناس لعدم استجابتهم لشروطه
 وهو الجامع لصفات الكمالات والرحمن من رحم كغضبان من غضب وهو صفة لله والرحيم صفة ثانية
 لله وجعل الرحمن صفة مبنى على أنه من الصفات وقيل أنه علم فيكون بدلا من لفظ الجلالة ويكون
 الرحيم صفة له لأنه لا بدل لا يتقدم على النعت ثم اطلاق الرحمة على الله هو باعتبار غايتها لا باعتبار
 مبدئها الاستعانة عليه وباعتبار الغاية أن أريد بها الاحسان كانت صفة فعل أو إرادة الاحسان كانت
 صفة ذات (قوله الحمد) هو الثناء بالجميل على قصد التعظيم والتبجيل سواء كان جيلا في الواقع أو فيما
 عند الحامد سواء تعلق بنعمة أو بغيرها (قوله الدين) أي الجزاء (قوله في ألوهيته) في ذكر الربوبية
 والألوهية براءة استهلال (قوله وأشهاد الخ) أي اعلم واذهن أن لا معبود بحق في الوجود (قوله
 واحدا) أي في صفات الألوهية لا شريك له (قوله فردا) لا شفيع له من صاحبة أو ولد لعدم محابسته
 غيره (قوله صمدا) يقصد في الخواص من صمده يصمده صمدا أي قصده (قوله والبقاء) فإنه الباقي
 بذاته (قوله فلا يضاويه) أي يشابهه (قوله المصطفى) أي المختار (قوله جرائيم) جمع جرثومة

واستنبهت بسنته (وبعد) فاني لم أزل أتوقع العثور بمؤلف جامع من الأصول الدينية ما يحتاج اليه كل واقف ضابط لأمهات مسائل الخلاف في المقاصد والمواقف فلم أر الا ما في أيدي الناس من كتب العقائد وقد شحنت بأصول الفلاسفة فلا تفيد الا الشك والالباس وكنت أود ان لو كانت لي طاقة على عمل ما أبين فيه الحال بتحقيق دين الله بأوضح قال آتيا من الدلائل الصحيحة والبراهين الصريحة من الكتاب والسنة وأقوال سلف هذه الأمة ثم أنظر فاجدها كالة عن مثل تلك المطالب العالية عاجزة عن أداءها تيك المآرب القاصية العالية وكم من مرة أشجع النفس فتصدتني قلة البضاعة ويثبطني عامي باني ذو جهل في هذه الصناعة وأدير فكري فأرى الناس قد ارتبكت عقائدهم بشبه فلسفية كدحوابها أذهانهم وأشغوا فيها أنفسهم ليالهم ونهارهم وجميع ذلك من تليس ابليس وما ألقاه عليهم من التقوية والتدليس فتري أحدهم اذا سمع بشئ من علوم الكتاب والسنة وفي مدبره كأن في أذنيه وقرا واذا قرئ عليه ما ترجمه الفلاسفة اخوان الشياطين في ضلالاتهم من بيان العقول والنفوس وأمثال هذه الترهات التي ما أنزل الله بها

(قوله العثور) أي الاطلاع (قوله في المقاصد والمواقف) اشارة الى اسم كتابين في علم الكلام (قوله العقائد) ما يقصده الاعتقاد دون العمل فان الاحكام المأخوذة من الشرع قسمان أحدهما ما يقصده بنفس الاعتقاد كعامك بان الله تعالى عالم قادر بصير وهذه تسمى اعتقادية وأصلية وعقائد علم الكلام لحفظها والثاني ما يقصده العمل كعامك بان الصوم واجب والزكاة فريضة وهذه تسمى عملية وفرعية (قوله شحنت) أي ملئت (قوله الشك) أي خلاف اليقين (قوله والالباس) أي التغطية (قوله أود) أي أحب (قوله قدرة) أي طاقة (قوله الدلائل) جمع دليل وهو لغة المرشد واصطلاحا التوصل بصحيح العقل الى علم أو ظن تقليا كان وهو الكتاب والسنة والاجماع والقياس أو عقليا كالبرهان (قوله والبراهين) جمع برهان وهو لغة الحجة مطلقا واصطلاحا قضايامتي سامت لزم عنها قول آخر كقولنا العالم متغير وكل متغير حادث ينتج العالم حادث (قوله سلف) بفتح حين أي متقدمها وهم أهل القرون الثلاثة الذين شهد النبي صلى الله عليه وسلم بانهم خير القرون (قوله العالية) أي المرتفعة (قوله القاصية) أي البعيدة (قوله العالية) ضد الرخيصة (قوله ويثبطني) أي يعوقني يقال ثبطه عن الامر أي عوقه (قوله ارتبكت) أي اختلطت واشتبكت (قوله كدحوا) أي خدشوا (قوله أذهانهم) جمع ذهن وهو الفطنة (قوله تليس) أي تخليط وتدليس (قوله وقرا) أي ينعده أن يسمع شيئا من علومهما والوقر ثقل في الأذن أو ذهاب السمع (قوله الشياطين) جمع شيطان وهو كل غات متمر من انس أو جان (قوله الترهات) بضم الفوقية وتشديد الراء جمع

من سلطان أقبل عليها مستبصر أعلننا وسرا فكانهم أمروا باتباع سنة أفلاطون وماله من الأوهام والظنون فهذا ما حداني على عمل هذا المؤلف مع ما أنا عليه متوكلا على الله سبحانه راجيا منه الإعانة عليه قل حسبي الله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وقدر تبتسه على مقدمة وخسنة عشر بابا وخاتمة

﴿المقدمة في بيان أخبار الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بغربة الدين والحث

على الفرار من الفتنة فيه وأنه يحصل الاختلاف الشديد في أمته فخرّض

صلى الله عليه وسلم على اتباع سنته ولزوم طريق صحابته﴾

قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وأعظم الفتن الفتنة في الدين ألا وإن ابليس اللعين قد وقف للناس في مراصدهم يصدّهم عن الهدى باغوائهم فتى أغواهم وزاغت عقائدهم التي هي مبنى الدين وأساس ملة المسامحين علم أن لا ينفعهم عمل كثير أوقل اللهم إلا أن يلاطف

ترهته وهي الأباطيل (قوله من سلطان) أي من غير خجة تدل على تحقق مسمياتها (قوله مستبصرا) متأملا ومستبيننا (قوله علنا) أي جهرا (قوله وسرا) السروا أحد الاسرار وهو الذي يكتم من الغير (قوله سنته) أي طريقته (قوله الأوهام) جمع وهم وهو من جملة الأشياء غير اليقينية (قوله حداني) أي ساقني (قوله فتنة) الفتنة المحنة التي يفتن بها الإنسان (قوله خاصة) بل يعمر شرها كقرار المنكر بين أظهركم والمداهنة في الأمر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل عن الاقتتال في الجهاد وغير ذلك من سائر البدع المحدثّة المردودة (قوله الدين) هو وضع الهوى سائقا لدوى العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى ما يصلحهم (قوله ألا) هي حرف استفتاح والقصد اعلام السامع بان ما بعده مما ينبغي ان يصغى اليه ويفهمه ويعمل به لعظم موقعه (قوله اللعين) أي الطريق (قوله في مراصدهم) المرصاد الطريق والمكان يرصد فيه العدو (قوله الهدى) في الأصل الهدى مصدر كالتقى والسرى فليل هو الدلالة وقيل هو الدلالة الموصلة إلى البغية لانه جعل مقابل الضلال في قوله تعالى وانك لعلى هدى أوفى ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى إلى المطاوب (قوله باغوائهم) أي اضلالهم كما ذكره الله تعالى في قوله فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لا يبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ثم لا تجد أكثرهم شاكرين وقد وصى ابليس بنيه باغوائهم وبأن يقعدوا لهم كل مرصد (قوله زاغت) أي مالت (قوله عقائدهم) وهي ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل (قوله اساس) أي أصل (قوله ملة) هي ما أملاه الله على لسان نبيه لعباده من الأحكام (قوله لا ينفعهم) عمل الخ) لدخولهم في عداد الكفار والمبتدعين الضالين (قوله يلاطف) اللطف بالضم من الله

الله تعالى بهداية عبده الى سبيل المسامحين وتوفيقه للتوبة الصحيحة التي من الله بها على
 المذنبين وأكبر الظلم الشرك الاكبر فان متعاطيه ظالم لنفسه بتعديده ما يطلب منه من اخلاص
 عبوديته خالق الله الذي أوجده من العدم وأظهره سويا من بعد السكتم فاذا أشرك فقد ظلم نفسه
 بتعديده ما هو واجب عليه ولما كان الظلم لغة وضع الشيء في غير محله قيل له انه ظالم غير موف للحقوق
 الواجبة عليه لربه بمعنى انه عامله بما لا يليق به سبحانه من اخلاص عبادته وافراده في معاملته
 بأشراكه معه غيره من خلقه المساوية في خلقه اذا علمت هذا وعلمت ان الفتنة الواقعة بعد الأمر
 باتقانها وتجنبها من أعظم فتنة واقعة في الدين وقد أخبر الله سبحانه انها لا تخص الظالم يتبين لك ان
 من والى الظالمين باى نوع من أنواع الموالة متعرض للبوار وان هو المقصود بهذا الانذار كما قال
 سبحانه ولا تركزوا الى الذين ظنوا فتمسكم النار وقال تعالى فاذا بعد الحق الا الضلال وقال سبحانه
 ما فرطنا في الكتاب من شيء فأتى تبارك وتعالى بهذا الاستفهام الانكارى تعليما لعباده فانه قد بين لنا
 قواعد الدين وأكملها فقال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم
 الاسلام ديناً والحق هو الثابت الموافق لما في نفس الأمر من حق الشيء اذا ثبت فاذا كان الله سبحانه
 قد أكمل لنا الدين بما أنزله في كتابه العربي المبين وعلى لسان نبيه امام

التوفيق والهداية (قوله للتوبة) هي في اللغة الرجوع وفي الاصطلاح الندم على ما كان من حيث
 المعصية مع عدم الرجوع اليها (قوله من) أى أنعم (قوله على المذنبين) فان المذنب يرجي له
 بعد التوبة الصحيحة ان يكون عند الله من المقبولين (قوله قيل له) أى لتعاطى الشرك (قوله
 سبحانه) سبحانه مصدر بمعنى التسبيح لازم للنصب والاضافة الى مفرد ظاهر أو مضمّر (قوله
 لا تخص الظالم) بل نعمه وغيره (قوله للبوار) أى اهلك (قوله ولا تركزوا الخ) أى لا تميأوا
 أدنى ميل فان الركون هو الميل اليسير فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من
 وجد منه ما يسمى ظلما فاطنك بالركون الى الظالمين أى الموسومين بالظلم بالميل اليهم كل الميل ثم
 بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية أبلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتمديد عليه (قوله فاذا
 الخ) أى ليس بعد الحق الا الضلال فن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال فأتى به (قوله
 ما فرطنا) التفريط التقصير (قوله قواعد) جمع قاعدة وهي قضية كلية يتعرف بها أحكام جزئياتها
 نحو العلم ثابت لله تعالى (قوله أكملت لكم دينكم) أى بالنصر والإظهار على الأديان كلها أو
 بالتخصيص على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع وقوانينها الاجتهادية (قوله وأتممت
 عليكم نعمتى) أى بالهداية والتوفيق أو بأكمل الدين (قوله ورضيت لكم الاسلام ديناً) من
 الأديان وهو الدين الاسلامي لا غير قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام (قوله امام) من أمك

المتقين مما بلغ من الأحكام وشرعه لنا من حلال وحرام فمن اتبع غير سبيل المؤمنين فهو الخفيق
بالوعيد الثابت في كلام رب العالمين ويؤيد ذلك قوله سبحانه في الآية الأخرى ما قرطنا في الكتاب
من ثنى والتفريط التقصير فقد نفى سبحانه التقصير فيما شرع عن كتابه العزيز الذي هو متن السنة فله
الحمد تبارك وتعالى والمنة ومن نظر بعين بصيرته وأمعن الفكر في طريق الاتباع وحقيقته فحاد
وابتدع وللهوى والاطماع اتبع كان كحاطب ليل أو متحير يدعو على نفسه بالثبور والويل
وقد نهى الله سبحانه عن اتباع غير سبيل المؤمنين وأمر باتباع سبيله وما شرع من الدين القويم
فقال عز من قائل وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فحث
سبحانه على اتباع سبيله الذي هو الكتاب والسنة خاتمة ونال نهى عن اتباع السبل مبينا بأن ذلك
سبب للتفرق ولذلك ترى المسلمين قد لزموا سبيلا واحدا أمر وأبساوكة وقد أرشد هم الله تعالى
الى طلب الهداية اليه في كل صلاة بقوله تبارك وتعالى

أى صار أمامك أى قدامك وهو المقتدى به والمتبع (قوله المتقين) جمع متق وهو الحافظ لحدود الله
المؤتمر بأوامره والمنتهى بنواهيه (قوله الاحكام) جمع حكم وهو خطاب الله المتعلق بفعل المكلف
من حيث هو مكلف (قوله من حلال) يتناول الواجب والمندوب والمباح والمكروه وخلاف الاولى
(قوله وحرام) يتناول الحرام لذاته كالزنى والحرام لغيره كالصلاة في الأرض المغصوبة (قوله بالوعيد
الح) كما قال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله
ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا (قوله عن كتابه) فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من الدين مجلا
ومفصلا (قوله الفكر) هو حركة النفس في المعقولات وأما حركاتها في المحسوسات فتسمى تخيلا
(قوله فحاد) أى مال (قوله والاطماع) جمع طمع وهو ذل يفسأ عن الحرص على الدنيا (قوله
كحاطب ليل) أى كمن يجمع الخطب بالليل فلا يميز بين الرطب واليابس والضار والنافع (قوله متحير)
أى متردد (قوله الثبور) أى الهلاك (قوله والويل) أى حاول الشر (قوله وان هذا الح) الآية في
الانعام والاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانه بأسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة
(قوله مستقيما) لا عوج فيه (قوله السبل) أى الاديان المختلفة والطرق التابعة للهوى فان
مقتضى الخجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لا اختلاف للطباع والعادات (قوله عن سبيله) الذى
هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان (قوله سبيلا) أى طريقا (قوله بساوكة) بدخوله (قوله
أرشدهم) أى هداهم (قوله الهداية) هى الدلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وأما قوله تعالى
فاهدوهم الى صراط الجيم فعلى التكم قال القاضى البيضاوى وهداية الله تعالى تتنوع أنواعا لا يحصى
عدا لكنها تنحصر فى أجناس مترتبة الاول افاضة القوى التى بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه

اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم قال بعض السلف أنعم عليهم باتباع السنة وأما أهل البدع والاهواء فقد افترقوا في سبلهم على حسب معتقداتهم الفاسدة وآرائهم السكاسدة كل حزب بما لديهم فرحون وقد ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطباً ثم خطب خطباً عن يمينه وخطب طاعن شماله وقال هذه السبل المتفرقة وعلى كل سبل منها شيطان يدعو ثم قرأ هذه الآية حتى بلغ تتقون وقال تعالى فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول أي إلى الكتاب والسنة فامر سبحانه برد الأمر حالة النزاع إلى كتابه العزيز وإلى سنة نبيه في حالة الوافق أولى وقال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فقد جعل سبحانه شرط اتباعه محبته إياه فإن وجدت المحبة وجد الاتباع وإن عذمت عذمت عدم الاتباع مترتب على الحب ومشروط به فعلى قدره ضعفه وقوة ووجوده وعدمه ما يتقدرو به غير الحب يتعدرو وكيف لا وينبناصلى الله عليه وسلم هو المبلغ للكتاب

كالقوة العقلية والمصالح الباطنة والمشارع الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصالح والفساد واليه أشار حيث قال وهدينا للنجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب وإياها عني بقوله تعالى وجعلناهم أمّة يهتدون بأمرنا وقوله إن هذا القرآن يهدي إلى صراط مستقيم والرابع أن يكشف عن قلوبهم الستار ويريهن الأشياء كما هي بالوحى والإلهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنبيه الأنبياء والأولياء وإياهم عني بقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطالوب أما زيادة ما منحوه من الهدى أو الثبات عليه أو حصول المراتب المرتبة عليه انتهى (قوله الصراط المستقيم) أي الطريق المستوى والمراد به طريق الخير الموصل إلى ملة الإسلام (قوله حزب) أي طائفة وقوله بما لديهم أي من الدين وقوله فرحون معجبون معتقدون أنهم على الحق (قوله شيطان) فعلا إذا كان من شاط بمعنى احترق أو فاعال إذا كان من شطن بمعنى هلك (قوله تتقون) الحديث رواه الدارمي (قوله في شئ) أي من أمور الدين (قوله فردوه) أي فارجعوا فيه (قوله قل) يا محمد وقوله إن كنتم أيها الساجدون للصنم تزعمونه حباً لله وأنه الباعث عليه وقيل خطاب لنصارى نجران لما زعموا أنهم يعبدون المسيح حباً لله وقوله فاتبعوني فيما جئت به ومنه سنته وقوله يحببكم أي يرض عنكم ويشبكم وفك الادغام لغة أهل الحجاز وجزم يحببكم لأنه جواب الأمر وقوله ويغفر لكم زيادة على المحبة والمراد يحصل لكم فوق مطلوبكم كما قيل

ليس الشأن أن تحب * وإنما الشأن أن تحب

(قوله يتعسروا) ولم يستقيم (قوله المبلغ) الموصول

الناطق بالحق والصواب كما قال عز من قائل وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقال تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر فاذا الواجب علينا معاشر المسلمين اتباعه في جميع أقواله وأفعاله والتأسي به في سائر أحواله والانتفاء بما كان عليه أصحابه فانهم المبلغون عنه صلى الله عليه وسلم وأحبابه قال تعالى وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وما أخرجت رجلا ترك سبيل السنة الشارحة للكتاب واستبدل العذب بالعذاب فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ولا تحصل طاعته صلى الله عليه وسلم الا بامثال أمره حاوله ومرد وقبول الأمور لأمره بانشرح صدره قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فمن تأمل في معاني هذه الآية الشريفة وما تضمنته من التأكيدات والتهديدات المنبئ عنها تكرر النفي لايمانهم ان لم يعملوا بها طائرا رأسه وحاسب نفسه خاضعا لرب العباد مستعينا بمالك الامر

(قوله الناطق بالحق) أى الذى ينطق به (قوله الا الخ) أى الا وحي يوحى اليه الله (قوله الى صراط الخ) هودين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة (قوله اسوة) أى قدوة (قوله يرجو الله) أى ثوابه واحسانه وقوله واليوم الآخر لما فيه من رفع الدرجات بحسن العمل فيرجو نعيمه أو يخاف عذابه (قوله والتأسي) الاقتداء (قوله فخذوه) أى فتمسكوا به لان اطاعته من اطاعته به وقوله فانتهوا أى عنه (قوله العذب) هو كل مستساغ من الطعام والشراب (قوله بالعذاب) المؤلم أى اتخذ به دلا (قوله يخالفون عن أمره) أى يخالفون أمره بترك حكمه (قوله أو يصيبهم الخ) أى فى الآخرة (قوله فلا وربك) أى ليس الامر كما زعموا انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك لا يؤمنون ايمانا معتدابه حتى يحكموك أى يجعلوك حكما فيما شجر اختلاف بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا ضيقا وشككا مما قضيت عليهم وما مصدرية أو موصول اسمى والعائد ضمير منصوب محذوف أى يرضون بقضائك ولا تضيق صدورهم من حكمك ويسلموا تسليما أى ينقادوا لامر الرسول انقيادا والآية نزلت حين خاصم الزبير رجلا فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير فقال الرجل ان كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث أو حين اختصم رجلان يهودى ومنافق فقضى بينهما رسول الله فقال المنافق المفضى عاياه ردنا لعمر فاما أتياه قال مكانكما فجاء بالسيف وقتل من لم يرض بحكم الرسول فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت أظن ان عمر يجترى على قتل مؤمن فتلا عمر الآية قبل نزولها فنزلت وهذا أحد موافقات عمر رضى الله عنه للقرآن (قوله المنبئ) الخبر (قوله طائرا رأسه) خفضه (قوله خاضعا) متواضعا (قوله الامر)

في يوم التناد وقال تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فعليه ما حمل وعليكم ما حاتم
وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين) فقد اشتملت هذه الآية الشريفة على دقائق
المعاني منها تكرير الفعل وسره الدلالة على ان ما يامر به رسوله صلى الله عليه وسلم يجب طاعته
فيه وان لم يكن ما هو رايه بعينه في القرآن فتجب طاعة الرسول مفردة كما تجب مقرونه بامر وسبحانه
فهو اذا مستقل بالطاعة كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يوشك رجل شبعان متكئ على
أريكته ياتيه الامر من أمرى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ما وجدنا فيه من شئ اتبعناه ألا واني
أوتيت الكتاب ومثله معه ومنها ان قوله تولوا يحذف احدى التاءين أراد به من يقع عليه الخطاب من
عباده والمعنى انه قد حمل أداء الرسالة وتبليغها وحمل طاعته والالتزام به والتسليم كما ذكره البخاري
في صحيحه عن الزهري فان تطيعوه فهو حظكم وسعادتكم وان لم تطيعوه فقد أدى ما حمل وما عليه
الا البلاغ وحكي الشافعي اجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم على ان من استبانت له سنة الرسول
صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها القول أحد وهو كلام حق لا يسترأب فيه وكيف ترك نصوص
الشارع ويؤخذ بقوال غيره ممن يجوز عليه الخطأ فان كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا صاحب
الرسالة صلى الله عليه وسلم وقد نقل ابن القيم وناهيك بجلالته واتساعه في معرفة علوم الكتاب والسنة
عن قتادة قال كلمتان يستل عنهما الأولون والآخرون ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين
وهاتان الكلمتان هما مضمون الشهادتين وفقنا الله للتمسك بحبل الله المتين باتباع سنة نبيه سيد
المرسلين والآيات في هذا الباب كثيرة جدا * وأما الاحاديث النبوية في ذلك فمنها ما رواه يحيى السنة
أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي في مصابحه الذي قسمه الى صحاح وأراد به ما رواه الشيخان

أي الشان (قوله يوم التناد) يوم القيامة ينادى فيه بعضهم بعضا للاستغاثة أو يتصاحون بالويل
والثبور وينادى أصحاب الجنة أصحاب النار (قوله فاطمات عليا) أي على الرسول وهو نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وقوله ما حمل من التبليغ وقوله وعليكم ما حاتم من الامتثال الى حكمه وقوله
وان تطيعوه أي في حكمه وقوله تهتدوا أي الى الحق وقوله الا البلاغ التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد
أدى وانما بقى ما حاتم فان أدبتم فلكم وان توليتم فعليكم (قوله يوشك) أي يقرب (قوله أريكته)
الاركة كما في النهاية السريرو قيل هي كل ما تسكنى عليه من سرير أو فراش أو منصة (قوله حظكم)
أي نصيبكم (قوله لا يسترأب) لا يشك (قوله وناهيك) في القاموس نهيك من رجل وناهيك
منه ونهاك منه بمعنى حسب (قوله ماذا كنتم الخ) كما قال تعالى ويوم يناديهم أين شركائي الذين
كنتم تعبدون وقوله ماذا أجبتم الخ كما قال تعالى ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فانه
تعالى يسأل أولا عن اشرأبهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء (قوله سيد المرسلين) فيه استعمال

البخارى ومسلم والى حسان وأراد بهما رواه أبو داود السجستاني وأبو عيسى الترمذى وغيرهما من
 الأئمة الجهابذة النقاد فى صحاحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوشك أن يكون خير مال
 الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن ويوشك بكسر الشين مضارع
 أوشك من الأفعال التى تفيد مقاربة الفعل والشعف جمع شعفة وهى رأس الجبل ومواقع القطر
 مواضع وقوع القطر والمراد الصحارى والجبال فقد أخبر صلى الله عليه وسلم وأفاد أن خير مال المسلم
 ما يعينه على دينه وإن المسلم لاهمة له إذا رأى الفتن التى يكون أعظمها فى الدين إلا الفرار بدينه حرصا
 عليه وخوفا من الفتنة فيه وروى البخارى فى صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أنه قال كان
 الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى
 فقلت يا رسول الله أنا كفى جاهلية وشر فإنا لله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم قلت
 وهل بعد ذلك الشر من خير قال نعم وفيه دخن قلت وما دخنه قال قوم يستنون بغير سننى ويهدون
 بغير هدى تعرف منهم وتنكر قلت فهل بعد ذلك الخير من شر قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم

السيد فى غير الله تعالى والصحيح جوازہ وفى المقتضى لناصر الدين بن المنير فى ذلك ثلاثة أقوال جواز
 اطلاقه على الله وعلى غيره وامتناع اطلاقه على الله تعالى وامتناع اطلاقه على غير الله متسكيا بما روى
 من أنه صلى الله عليه وسلم قالوا له يا سيدنا قال السيد هو الله والصحيح هو الأول ويشهد له من الكتاب
 قوله وسيد أو حصورا وقوله تعالى وألفيا سيدا الذى الباب ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم أنا
 سيد ولد آدم ولا فخر وقوله فى الحديث الآتى فى باب الشفاعة أنا سيد الناس يوم القيامة ولكن هذا
 فى مقام الاخبار عن نفسه برتبته ليعتقد أنه كذلك وأما فى ذكره والصلاة عليه فقد علمهم الصلاة
 سألوه عن كيفية بقوله قولوا اللهم صل على محمد والح ولم يذكر لفظ السيد وقوله فى الحسن بن على
 رضى الله عنهما أن ابنى هذا سيد وقوله قوموا الى سيدكم ونقل النووى فى الأذكار عن النحاس
 جواز اطلاقه إلا أن يعرف بأل ثم قال والأظهر جوازہ بالألف واللام لغير الله والسيد قال النووى
 يطلق على الذى يفوق قومه ويرتفع قدر دعائهم وعلى الحليم الذى لا يستغزى أى يحركه غضبه وعلى
 الكريم وعلى الملك (قوله الجهابذة) جمع جهبذ بالكسر النقاد الخبير (قوله غنم) خص
 الغنم بالذكور لضعفها ومواضع صاحبها غالبا (قوله يفر الخ) حال أو استئناف وفيه نداء بالعزلة عند
 ظهور الفتن هذا إذا خشى على دينه وأما إذا لم يخش فالحالطة أولى لحضور الجمعة والجماعة (قوله
 مضارع أوشك) بفتحها (قوله شعفة) بالتحريك (قوله الصحارى) جمع صحراء الفضاء
 الواسع لا نبات به (قوله فاعتزل) أى فتنح (قوله باقتفاه) أى باتباعه (قوله والسمت)
 هو السيرة

اليها قد فوه فيها قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا قلت فانا امرني ان ادركني ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وامامهم قلت فان لم يكن لهم جماعة ولا امام قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض باصل شجرة حتى يدركك الموت وانت على ذلك فيه الله من حديث اشعث على عاوم اخبر بها الصادق الامين وابان عن فوائد جملة تفيد العلم اليقين منها حرص الصحابة على تعلم ما يستقيم به دينهم المتين ومنها ان اول خير يقع في امته فيه كدوره تذهب بصفتها وتغير بغير ما امروا باقتفائه بسبب عدم استئنائهم ببعض السنة وهي ماسنه النبي صلى الله عليه وسلم وعدم هديهم بهديه والطريق والسمت ولما كان الايمان وفعل الخيرات ثابتا منهم الا انهم خالفوه ببعض سنته التي امروا باتباع جميعها كان خيرا وفيه دخن ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم تعرف منهم وتسكر اى ترى منهم المعروف والمنكر ومنها انه يكون بعد ذلك دعاة على ابواب جهنم والدعاة جمع داع وهو من يدعو غيره والمراد انه يظهر جماعة من اهل الضلالة يدعون الناس الى الشرف فكان من اجابهم قد فوه في النار والظاهر انهم رؤساء تسمع اقوالهم وتبوع افعالهم اذ اعانت ذلك فليس العجب من قوم جهال متبعين لاهوائهم ماشين في ظلمات جهلهم وضلالهم وانما العجب من قوم يدعون العلم والصلاح ويزعمون انهم على منهج الفلاح وقد صاروا ائمة الضلال للعوام واقتدى بهم الخاص والعام ولقد صدق عليهم قوله تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه واصله الله على علم الآية ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم امر من ادرك ذلك الزمان ان يلزم جماعة المسلمين وامامهم وهم الذين اتبعوا سنته ولازموا طريقته فان لم يكن لهم جماعة وكانوا غرباء وذلك عند غربة الدين كما قال صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا

(قوله قد فوه) اى رموه (قوله ائمة) جمع امام وهو المقتدى به والمتبع (قوله واقتدى بهم الخ) وهم كذابون كبار وى ابوهريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يكون في آخر الزمان دجالون كذابون ياتونكم من الاحاديث بما لم تسمعوا انتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم ولقد بين صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث انهم يتزيون بزي العلماء ويقولون نحن علماء نعلمكم دينكم ونرشدكم الى الحق وهم كذابون يحدثونكم بالاحاديث الكاذبة ويعلمونكم اعتقادات فاسدة ويبتدعون احكاما في الملة فاحذروا منهم ولا تقر بوجههم كيلا يضادكم (قوله اتخذ الهه هواه) بان اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا بل ترك متابعة الهى الى مطاوعة الهوى فكانه يعبد (قوله الآية) وختم على سمعه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون (قوله كما قال) الحديث رواه الترمذى (قوله بدا الاسلام غريبا) لسبق الكفر عليه وتمكن الكفرة منه

وسيعود غريبا قطوبى للغرباء فالواجب عليهم العزلة عن تلك الفرق كلها ثم حرض على هذا الاعتزال الذى فيه سلامة الدين بقوله على سبيل المبالغة ولو ان بعض باصل شجرة حتى ياتيك الموت وأنت على هذا العمل معرض عن كل ما يفسد عليك دينك الذى هو رأس مالك صابر على تلك المعاطب والمهالك ولولا الاسهاب لوسعت الباب وفيما ذكرت كفاية لذوى الالباب والله الملمهم للصواب وروى أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع

(قوله وسيعود غريبا) أى لغلبة الجهالة وكثرة الضلالة (قوله قطوبى للغرباء) وفى رواية مسلم عن أبي هريرة أن الدين بدأ غريبا الحديث فقوله بدأ بألفهمزة يعنى الاسلام كان كالغريب فى الزمان الأول ولم يكن يقبله الا القليل أو المراد ان أهل الدين فى الأول كانوا غرباء ينكرهم الناس ولا يتخالطوهم وكان حالهم مع أقاربهم أسوأ من حالهم مع الغرباء فسيكون كذلك فى الآخر وطوبى مصدر طاب اسم شجرة فى الجنة يعنى كون أهل الدين غرباء ليس منقصة عليهم بل هو سبب لعزتهم فى الآخرة وقد جاء تفسيرهم فى حديث آخر انهم النزاع من القبائل يعنى انهم الذين كانوا اقلية فلا يوجد فى قبيلة منهم الا الواحد أو الاثنان بل لا يوجد واحد منهم فى القبائل والبلدان كما كان كذلك فى ابتداء ظهور الاسلام وفى حديث آخر انهم الذين يصلحون اذا فسد الناس يعنى انهم قوم صالحون عامون بالكتاب والسنة فى زمان فساد الناس (قوله العزلة) بالضم الاعتزال (قوله صابر) غير جازع (قوله المعاطب) الدواهي (قوله والمهالك) جمع مهلكة المقارة (قوله الاسهاب) أى الكلام الكثير يقال أسهب الرجل اذا أكثر الكلام فهو مسهب (قوله لذوى الالباب) أى العقول السكاملة (قوله العرباض) بكسر الميم الأولى وسكون الثانية بعد موحدة وآخره ضاد معجمة ابن سارية بمهملةين بينهما ألف وبعد الثانية تحتية (قوله موعظة) من الوعظ وهو النصيح والتذكير بالعواقب وفيه ينبغى للعالم أن يعظ أصحابه ويذكرهم ويخوفهم بما ينفعهم فى دينهم ودنياهم ولا يقتصر بهم على مجرد معرفة الاحكام والحدود والرسوم وانه ينبغى المبالغة فى الموعظة لترق القلوب فتكون أسرع الى الاجابة (قوله وجلت) بكسر الجيم خافت (قوله وذرفت) بالذال المعجمة وفتح الراء من باب ضرب أى سالت وقوله منها العيون أى دموعها لتأثر القلب ظهر ذلك فى العين جرى الدمع (قوله موعظة مودع) كان وجه فهمهم لذلك مزيد مبالغة صلى الله عليه وسلم فى تخويفهم وتحذيرهم على ما كانوا يلقونه قبل ذلك لقرب وفاته ومفارقة لهم فان المودع يستقصى بما لا يستقصى غيره فى القول والفعل وفيه جواز تحكيم القرآن والاعتماد عليه فى بعض الأحوال لانهم انما فهموا توديعه

فاوصنا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد وانه من يعيش منكم فسيرى
 اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضو عليهما بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور
 فإن كل بدعة ضلالة فقد أوصانا صلى الله عليه وسلم بلزوم سنته وسنة خلفائه الراشدين الذين هم على
 طريقته وحرض على ذلك بقوله عضو عليهما بالنواجذ المراد به المسك بجميع الفهم إشارة إلى غاية
 التمسك والنواجذ قيل هي الأضراس وقيل الأنياب وقيل هي آخر الأضراس والعض المسك
 بجميع الفهم وأما النهش فإنه المسك بمقدم الأسنان فكانه قال صلى الله عليه وسلم اجتهدوا على السنة
 والزموها واحرصوا عليها كما يلزم العاض على الشيء بنواجذه خوفا من ذهابه وتفلقه وروى الطبراني
 في الكبير بأسناد جيد عن شريح الخزازي قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 أليس تشهدون أن لا اله الا الله واني رسول الله قالوا بلى قال ان هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه
 بأيديكم

أيهم بقرينة ابلاغه في الموعظة أكثر من العادة كما تقرر (قوله فاوصنا) أي وصية جامعة كافية
 فانهم لما فهموا انه مودع استوصوه وصية تنفعهم ويتمسك بها بعده ويكون فيها كفاية ان
 يستمسك بها وسعادته في الدارين ويؤخذ منه انه ينبغي التلذذ بالعالم ان يسألوا في مزيد وعظم
 وتخويفهم ونصحتهم (قوله بتقوى الله) أي بامتنال أو امره واجتناب نواهيه (قوله والسمع
 والطاعة) لولا الامر في غير معاصي الله تعالى (قوله عبد) بان يكون ولي عملا لالامام أو تغلب
 على الامامة بشوكة فتتبعه بيعة وتنفذ أحكامه (قوله وانه) الضمير للشان (قوله فسيرى
 اختلافا كثيرا) لانه لا يزداد الامر بعده صلى الله عليه وسلم الا شدة لغلبة الجهل وكثرة الهرج وقوة
 الضلالة (قوله فعليكم) فالزموه وقوله بسنتي الباء مزيدة في المفعول أو استمسكوا بها فالباء
 لتعديته (قوله بسنتي) أي طريقتي وسيرتي القويمة التي انا عليها مما أصلته لكم من الاحكام
 الاعتقادية والعملية الواجبة والمندوبة وغيرهما (قوله وسنة الخلفاء الخ) أي طريقتهم فهم أبو
 بكر فعمرفعثان فعلى فالحسن رضي الله عنهم (قوله عضوا) بفتح المهملة (قوله النواجذ)
 جمع ناجذ بالمجمة (قوله محدثات الأمور) التي لا يشهد لصحتها أصول الشريعة (قوله بدعة)
 هي لغة ما كان مخترعا على غير مثال سابق وشرعا ما أحدث على خلاف أمر الشارع وسيأتي تحقيقه
 (قوله ضلالة) لان الحق ما جاء به الشرع فلا يرجع اليه يكون ضلالة اذ ليس بعد الحق الا الضلال
 (قوله على طريقته) أي من بعده (قوله فانه المسك بمقدم الأسنان) فهو اما مجاز بليغ اذ فيه
 تشبيه المعقول بالمحسوس وكناية عن شدة التمسك بالشدة والجد في لزومه (قوله ان هذا القرآن)
 الموجود في الاذهان والمحفوظ في الصدور والمرسوم في السطور والمقروء باللسنة (قوله بأيديكم)

فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا وكذلك رواد الطبراني في الصغير والبخاري عن جابر
ابن مطعم وروى الطبراني أيضا والبيهقي من رواية الحسن بن قتيبة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد وروى البخاري ومسلم وغيرهما
عن عابس بن ربيعة قال رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبل الحجر يعني الاسود ويقول اني
لأعلم انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك وروى
البخاري موقوفا ومر فوعا من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن شافع مشفع
من اتبعه قاده الى الجنة ومن تركه أو أعرض عنه أو كلمة نحوها زخ في قفاد الى النار وروى الحاكم عنه
صلى الله عليه وسلم انه خطب الناس في حجة الوداع قال ان الشيطان قد يئس أن يعبد بارضكم ولكن
رضي ان يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروا اني قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم
به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه فقلوه في الحديث السابق من تركه الى آخرها شك من الراوي
في اللفظ وقوله زخ بالزاي والخاء المجهتين أي دفع وفي كل ما تقدم من الأحاديث الصحيحة حث على
اتباع الكتاب والسنة فانهما الامان اللذان أمرنا بالاعتداء بهما والادعاء الى سبيل الله فاشدد
بيديك عليهما ولا تنظر الى ما ابتدعه أهل الأهواء فانه من أضر الأدواء وستأتيك تفاصيل البدع
بانواعها وما ورد من النهي عنها في آخر الكتاب ان شاء الله تعالى والأحاديث في ذلك كثيرة جدا فمن
تأملها وأمعن نظره فيما شرعه الله تعالى انما تضمنه الكتاب وبينته السنة علم ان النبي صلى الله تعالى

لكونه يبينكم تتعبدون به تلاوة وامثالها وأمره (قوله فتمسكوا به الخ) أي الزموه ودوروا
معه كيف دارو عال ذلك على طريق الاستئناف البياني بقوله فانكم الخ (قوله ولن تهلكوا)
بكسر اللام في الافصح هلا كما معنوا أو بالعذاب الاخرى (قوله بعده) أي بعد التمسك بل
هو يدفع عنكم العذاب ويجزل لكم الثواب ومن كان الكتاب خصيما عنه فاحت محجته وظهرت
محجته (قوله بارضكم) أي أرض العرب وهي المسماة بجزيرة العرب كما روى عنه صلى الله عليه
وسلم ان الشيطان يئس ان يعبد في جزيرة العرب وقد اختلف في تمديد ها وأحسن ما قيل في ذلك
انها فيما بين بحر القلزم وبحر عبادان فمن عبادان الى البحرين خمس عشرة مرحلة ومنه الى
عمان ومنه الى مهرة باليمن ومنها الى حضرموت ومنه الى نديب وهم من اليمن ومنه الى
جدة كل ذلك مسافة شهر ومنه الى ساحل الجلفة خمس مراحل ومنها الى حاضرة المدينة ثلاث
مراحل ومنه الى ايلة عشرون مرحلة وكذلك منها الى بالس ومنه الى الكوفة ثلاثون مرحلة
ومنها الى البصرة اثنتا عشرة مرحلة ومنها الى عبادان مرحلتان فهذا هو الدور المحيط بجزيرة
العرب

عليه وسلم تركنا على المحجة البيضاء ليلا كنهارها لا يحيد عنها الا من مرض قلبه وطاش في مهاوى الضلال ليه وأصل الاتباع المخرج عن الابتداع يحصل بمتابعة العبادات ولا يحصل كمال الاتباع الا بالاعتدائه في جميع حالاته سكونه وحركاته عباداته وعاداته وناسف الصالح من هذا الكمال المشرب الاصفى والحظ الوافر الا وفي اذنا الله تعالى خلاوة الاتباع ووقانا بفضل شر الفضول والابتداع آمين

(الباب الاول في بيان الدليل على العلم بوجوده سبحانه ووجوب الايمان بوجوده وتوحيده وعلى توحيده فقط من غير وجوب هل هو العقل أو الشرع وحاصل ما قيل في ذلك مع بيان الدليل على وجه الاختصار)

اعلم ان الدليل على وجوده تعالى باجماع العلماء واطباق العقلاء العقل دون الشرع لان ثبوت الشرع يتوقف على العلم بوجود الله تعالى وبنبوة الرسول فلو توقف العلم بهما أو باحدهما على الشرع لزم الدور المستلزم لفساد الدليل والمداول ودلالة الشرع على وجوده سبحانه بعد ثبوته بدلالة العقل انما هو للتقوية والتأكيد لان تعاضد العقل والشرع يفيد تأكيد الثبوت الموجب لزيادة الاستئناس وكما لا طمئنان ومثل ذلك ما اذا دل على الحكم بالكتاب فانه كاف في افادة الحكم فاذا تعاضدت معه السنة والاجماع والقياس ففي ذلك تمام الثبوت والتأكيد للحكم الشرعي ويكون الدليل المثبت للحكم هو الكتاب والثلاثة الباقية معه لمجرد التقوية والتأكيد من غير ارتياب واختلاف في الدليل على وجوب الايمان بوجوده وتوحيده فذهبت الاشاعة الى ان وجوب الايمان بذلك ثابت بالشرع دون العقل والمراد بالشرع ما شرعه الله تعالى لعباده وبينه لهم من الاحكام اما باعلام العباد لهدايتهم بوحى كما حصل للانبياء والمرسلين أو بالهام لهداية الملهم وحده كما في الحديثين وهم المصيبون فيما حدثوا الموافق حديثهم لما جاءت به الرسل وسموا بذلك لأنهم حدثوا بالامر كما فسرهم صاحب الكشف الفائق والمحدث كما قيل نبي نفسه كما كان آدم نبي نفسه قبل خاق حواء وكذلك أصحاب الكهف وبذلك وردت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهذا الالهام الموافق للاصول الشرعية حجة في حق نفسه وليس بحجة على غيره وأما ورقة بن نوفل على ما تشهد به رواية البخارى فقد تدعى بشرع عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وآمن بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومات قبل نزول الشرائع والاحكام واستدل الاشاعة على ذلك بقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا

(قوله على المحجة البيضاء كنهارها) المحجة الطريقة الى رضا الله تعالى التي أمر بها ويذب عاينها والبيضاء الشيرة لئلا يحط بها ولا ينقطع ولا يخشى فيها من آفة ليلها

يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ووجه الاستدلال ان هذه الآية دلت بمنطوقها على نفي الحجة
على الله بعد ارسال الرسل و بمفهومها على ثبوت الحجة للناس على الله سبحانه قبل ارسال الرسل
وذلك بان يقولوا ربنا ما نصبت لنا دليلا لا نهتدي به الى وجوب الايمان و بالازم مفهومها على نفي كون
العقل حجة بوجوب الايمان اذ لو كان العقل حجة ودليلا على وجوبه لما كان لهم أن يقولوا ذلك قبل
ارسال الرسل لكون العقل حجة هادية الى وجوب الايمان فلا حجة لهم بما يعتدون به و بقوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فانها تدل بمنطوقها على نفي وقوع العذاب على ترك الايمان قبل
البعثة فثبت لا عذاب على ترك الايمان قبل البعثة فلا وجوب للايمان بالعقل ونفي العذاب لازم لنفي
الوجوب وباتت غائبة ينتفي الملزوم و بقوله تعالى ولو اننا اهل كتاب من قبلك لقالوا ربنا لو لا
اُرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى فهذه الآية تدل بمنطوقها على نفي الاهلاك
بعذاب قبل البينة اذ الضمير المجرور في قوله تعالى من قبله عائدا الى البينة بتأويل الدليل وانما كان
منطوقها ذلك لان لو اتى لا تتفاء الثاني الذي هو الجزء لا تتفاء الاول الذي هو الشرط فيكون انتفاء
الجزء المذكور في الآية وهو قوله تعالى لقالوا ربنا لو لا اُرسلت الينا رسولا لا تتفاء الشرط وهو
الاهلاك بالعذاب قبل البينة ومن المعلوم ان انتفاء العذاب على ترك شيء قبل البينة يدل على انتفاء
وجوب ذلك الشيء فيكون وجوب الايمان منتفيا قبل البعثة بناء على عدم لزوم العذاب على تركه
ويانضم من ذلك عدم كون العقل حجة موجبة للايمان وبالجملة فقد ثبت بهذه الآيات المذكورة ان
وجوب الايمان بالشرع لا بالعقل وذهبت المنصورية أصحاب أبي منصور المتأثرين الى ان وجوب
الايمان بذلك بالعقل لا بالشرع وانما يرد الشرع مؤيد له بعد ثبوته بالعقل قالوا ولم يثبت الوجوب
العقلي لم يثبت الوجوب الشرعي لان ثبوت الشرع يتوقف على وجوب النظر في معجزات النبي
ليؤدي ذلك الى تصديق النبي وهذا الوجوب لا يمكن ان يكون بالشرع والالزام الدور فيكون لا محالة
بالعقل اذ لا موجب سواهما فاذا اتفق أحدهما تعين الآخر فبطل بذلك ما يدعيه الاشعرية من انه
لا يجب بالعقل شيء لان الايجاب الجزئي يرفع السلب الكلي الى غير ذلك من دلائلهم وقدر انضى هذا
الدليل الامام الرازي حيث قال في تفسيره الكبير في قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ما نصه

كهارها ونهارها كليلها (قوله فيكون وجوب الايمان منتفيا الخ) فان انتفاء الالزام يدل على
انتفاء الملزوم (قوله ويلزم من ذلك الخ) والالزام انك وجوب العذاب عن ترك الايمان لا امتناع
انفسك الالزام عن الملزوم (قوله أصحاب أبي منصور الخ) ويسمونه بالمأثرية وهو
الاشهر (قوله بذلك) أي بوجوده وبتوحيده (قوله لا محالة) لا بد (قوله هذا الدليل)
الدال على وجوب الايمان بوجوده وبتوحيده بالعقل (قوله الرازي) مع انه من رؤساء الاشاعرة

لا يمكن نفي الوجوب العقلي بظواهر الآيات اذ لو نفيناها لزمنا نفي الوجوب الشرعي ونفي الوجوب الشرعي باطل فكندا ما يستلزمه ثم انه قد علم من قواعد الشرع ان القاطع العقلي لاسيما المؤيد بالدليل السمي اذا عارض ظاهر الكتاب والسنة فهو قرينة صارفة عن العمل بالظاهر مانعة عن العمل بوجهه موجبة لجل الكتاب والسنة الى ما يوافق القاطع حينئذ وجب صرف الآية الاولى النافية بل لزم مفهومها كون العقل حجة موجبة للايمان الى ما يوافق القاطع بانه حجة موجبة له وذلك انما يكون بصرفها عن الحقيقة الى المجاز اما في لفظ الحجة بان يراد بها الاحتجاج اطلاقا لمابه الاحتجاج على نفس الاحتجاج استعمالا للزوم في اللازم بمعنى الرديف والتابع على ما هو مصطلح اهل البيان لا بمعنى الممتنع الانفسكاك على ما هو مصطلح اهل المنطق ولا خفاء في ان الاحتجاج تابع ورديف لمابه الاحتجاج وحينئذ لا يكون ارسال الرسل لفائدة أصل الحجة لدلالة القاطع على كون العقل حجة بل لا يصح الحجة بحيث لا يبقى لهم مظنة ان يحتجوا بالدفع العذاب ويقولوا ربنا لو لا ارسلت اليك رسولا يوقظنا من سنة الغفلة عن الحجة الموجبة للايمان وهو العقل وتنبيهنا لما يجب الانتباه له وان لم يكن لهم ذلك الاحتجاج في الحقيقة لثبوت الحجة عليهم وهو العقل الى غير ذلك من الدلائل التي حاصلها

(قوله اذ لو نفيناها) أي الوجوب العقلي (قوله وكندا ما يستلزمه) قال الرازي وأما الدليل السمي المؤيد للدليل العقلي الدال على ان وجوب الايمان بالعقل لا بالشرع فهو قوله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان ياتيهم عذاب اليم وجه الاستدلال ان الله تعالى خوفهم بنزول العذاب قبل ان ينذروا والعذاب لا يكون الا عن ترك الواجب والموجب اما العقل واما الشرع وقد شرع للندرين قبل الانذار فتبين ان يكون بالعقل اذ لا يحتمل غير ذلك فتكون هذه الآية نافية للدلالة على ان وجوب الايمان بالعقل لا بالشرع (قوله لاسيما) السمي بمعنى الممثل يقال سيان أي مثان ومعنى لاسيما المثل وما زائدة أو موصولة أو موصوفة هذا أصله ثم استعمل بمعنى الشخصيص وقد تحذف لافي اللفظ لكنها مرادة وعدة النجاة من أدوات الاستثناء وتحقيقه انه للاستثناء عن الحكم المتقدم ليحكم عليه على وجه اتم بحكم من جنس الحكم السابق ويجوز في الاسم الذي بعدها الجر والرفع مطلقا والنصب اذا كان نكرة (قوله تابع ورديف الخ) وليس بممتنع الانفسكاك عنه (قوله وتنبيهها) اي قاطا (قوله ثبوت الحجة عليهم الخ) واما في عموم ٧ نفي الحجة النكرة الواقعة في سياق النفي بان يراد منه الخصوص مجاز أي نفي الحجة فيما كان سبيل معرفته الشرع دون العقل كالعبادات والمعاملات لان نفي الحجة مطلقا فعني الآية والله اعلم على الوجه الاول لئلا يكون للناس على الله احتجاج في ترك الايمان الواجب بالعقل بعد الرسل لا يتساءل الحجة بآلة الغفلة عنها وعلى الوجه الثاني الذي نقلناه لئلا يكون للناس على الله حجة في ترك العبادات

صرف الآيات عن ظاهرها إلى ما يوافق القاطع وقد أتى الإمام الرازي بتأويلات مخصصة يؤيد بها ما ذكرناه موافقا لما عليه المنصورية وإن كان من أساطين الإشعريه ولما قالوا إن الموجب للإيمان هو العقل ويرد الشرع مؤيد له قالوا من لم تبلغ الدعوة وصادف زمانا يتسكن فيه من الاستدلال ولم يستدل ولم يؤمن فهو كافر بخلاف النار واستظهر وأعلى ذلك بقوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها والشفا جانب الشيء مثل حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالعود على جازب المشفقين للوقوع فيها لو ماتوا على ما كانوا عليه ثم إن المنصورية اختلفوا في كيفية المراد من الوجوب العقلي فذهب المتكلمون منهم إلى أنه ليس المراد من وجوب الإيمان بالعقل الثواب على الاتيان والعقاب على تركه بل نوع ترجيح لأن الاعتراف بالصانع أولى من تركه إذا اعترف بما يقتضيه العقل يوجب نوع مدح والامتناع عنه يوجب اللائمة وأما في التوحيد فلا شك أنه أحرى من اثرائه غيره معه ولما لاح آثار الضعف على هذا الكلام لنفسه الوجوب العقلي المستلزم لنفي الوجوب الشرعي عدل عنه فقهاؤهم فقالوا المراد بوجوب الإيمان بالعقل هو استحقيق الثواب على الاتيان بالإيمان واستحقاق العقاب على تركه الذي هو الكفر والعصيان والعلم بذلك الاستحقاق في باب الإيمان إنما يحصل بالعقل لا بمعنى أن العقل موجب لذلك الوجوب والاستحقاق كما تقوله المعتزلة بل بمعنى أن

بعد الرسل لا تيانهم الحجة الموجبة لها وهو الشرع وعلى الوجهين لا دلالة للآية على وجوب الإيمان بالشرع وعلى عدم وجوبه بالعقل وأما الآية الثانية فالمراد من قوله فيها معذبين موقعين العذاب مجازا لا موجبين العذاب بطريق ذكر المزموم وإرادة اللزوم فإن وقوع الشيء رديف وتابع لذلك الشيء وعدم وقوع العذاب قبل البعثة لا ينافي الوجوب اللزوم لترك الإيمان الواجب بالعقل إذا خفاء في وجوب العذاب لعصاة المؤمنين وقد لا يقع بتحضر فضل الله رب العالمين أو بشهادة الشافعين وكذا يجب صرف الآية الثالثة إلى ما يوافق القاطع وذلك إنما يكون بالتجاوز فيها بالحذف كما في أسأل القرية بأن يكون المراد من قبل البيئته من قبل إيضاح البيئته التي في العقل بأرسال الرسل المنبئين عن سنة الغفلة عنها وقرينة المجاز في كل من معاقبة غيراتها في أسأل القرية بديهيته وههنا كسبية متوقفة على بيان الدليل العقلي القاطع بأن العقل بيئته أي حجة موجبة للإيمان كما بينا (قوله وقد أتى الإمام الرازي الخ) كما نقلنا ذلك عنه (قوله وإن كان الخ) فإنه وافق الدليل ولم يعبا بمخالفة جماعته (قوله منها) الضمير للحفرة أو النار أو الشفا وتأنيته لتأنيث ما أضيف إليه أولانه بمعنى الشقة فإن شفا البئر وشفتها طرفه كالجانب والحامة وأصلها شفا فقلت الواو ألفا في المذكر وحذفت في المؤنث (قوله فيها) أي في النار (قوله على ما كانوا عليه) من الكفر فأنقذهم منها بالإسلام (قوله مدحة) أي ما يمدح به (قوله اللائمة) العذل

العقل كاشف عن وجوب الإيمان بإيجاب الله تعالى كما أن الشرع كاشف عن وجوب عمل الأركان بإيجاب الله تعالى ولا استحالة في اختصاص العقل بالكشف عن وجوب الإيمان بالهام الله تعالى إياه بأنه لو لم يؤمن به لاستحق العقاب على سبيل الأجمال لا على سبيل التفصيل من أنه بالنار أو بالزمهرير وبالحيات والعقارب وغير ذلك مما وردت به السنة فإن معرفة تفاصيل العذاب متوقفة على الشرع وليكن وجوب الإيمان بالعقل غير متوقف على معرفة لزوم تفاصيل العذاب وإنما يتوقف على معرفة لزوم العذاب على الأجمال ومعرفة هذا اللزوم غير متوقفة على الشرع لاستقلال العقل بمعرفته والذي يتفرع على هذا الخلاف هو أن من لم يعرف الصانع ولم يعترف به قبل البعثة فعند الإشاعة معذوره عند متكلمي المنصورية أن لم يصادف زمن التمكن من الاستدلال ومات فهو معذور وإن صادف ولم يستدل ولم يعرف ولم يعترف فهو ملام على ترك التصديق والاعتراف وعند فقهاءهم كافر مخلد في النار هذا ما كان من بيان أقوال الفريقين في دليل وجوب الإيمان بوجوده وتوحيده * وأما الدليل على توحيده من غير وجوب الإيمان به فيجوز أن يكون العقل وإن يكون الشرع وأيهما كان سابقا فقد ثبت الاستدلال به وأيهما كان لاحقا كان مؤيدا فالسابق المسوق للاستدلال يكون متأيدا واللاحق المسوق لتأكيد يكون مؤيدا ولا يلزم في ثبوته بدليل الشرع الدور إذ الشرع إنما يتوقف على العلم بوجود الله تعالى لا على العلم بوحدايته وحاصل البحث أنه لا خلاف بين العقلاء في أن الدليل على وجوده تعالى هو العقل دون الشرع وإن الشرع يقع مؤيدا وبكون العقل متأيدا فقط وأما الدليل على توحيده تعالى فيجوز أن يكون العقل وإن يكون الشرع وأيهما كان متقدما تأييدا بما بعده وكان ما بعده مؤيدا له وأما الدليل على وجوب الإيمان بوجوده سبحانه وبوحدايته فقد شرحنا الخلاف فيه وما يتفرع على ذلك من الخلاف وقد تبين لك ما استدلل به الفريقان وتراعى عليه الجمعان ثم اعلم أن المحدثين المستبصرين في الدين لما رأوا الآيات وما ورد عن صاحب المعجزات مثل قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا الدال على نفي التعذيب قبل إرسال الرسل ومثل حكمه سبحانه وتعالى في آيات كثيرة على من سبب السوائب ووصل الوصيلة وحجى الحام بالكفر والضلال وأخباره صلى الله عليه وسلم عن كثير من أهل الفترة

(قوله بالزمهرير) شدة البرد (قوله معذور) في ترك الأعمال والإيمان (قوله مخلد) باق دائما (قوله مؤيدا) مقويا (قوله لا على العلم بوحدايته) فلا دور (قوله السوائب الخ) سيأتي الكلام على السائبة والوصيلة والحام (قوله والضلال) هو العدول عن الطريق السوي عمدا أو خطأ والتفاوت بين أدناه وأقصاه كثير (قوله الفترة) هي ما بين نبينا صلى الله عليه وسلم ونبي الله عيسى صلى الله عليه وسلم وكان بينهما مائة سنة أو خمسمائة وتسع وستون سنة

بأنهم من أهل النار كما لا يخفى على من سبر أقواله الشريفة وأحواله المنيفة وكما استأذن ربه في الاستغفار لا بوجه فلم ياذن له واستأذنه في زيارة قبر أمه فأذن له وأذن لأمته في زيارة القبور بعد أن حظرها عليهم كما صحت بكل ذلك الروايات وصح من تسميته لهم بالمشركين وجعله إياهم من الضالين وصح أيضا خبره عن أناس معينين بأنهم يبعثون أمة واحدة هم كقس بن ساعدة وأمثاله ممن صحت فيهم الرواية بذلك قسموا أهل الفترة ثلاثة أقسام القسم الأول من استبصر ببصيرته فاعترف بوجود الله وتوحيده ولم يدرك دعوة نبينا بل بقى على أصل فطرته ونظر بعين بصيرته فلم يغير ولم يبدل فهو لا افترقوا فمنهم من بقى على أصل التوحيد وما استفاض من أفراد الله تعالى في عبادته التي تطافرت على الأرسال بد جميع الرسل ومنهم من اتبع من بقيت شريعته ولم تنسخ ملته كعبسى بن مريم فحكم هؤلاء ما أخبر به المصطفى صلى الله عليه وسلم من أنهم يبعثون أمة واحدة هم وأما من غير وبدل فاحل وحرم وسلب السواب ووصل الوصيلة وابتدع دينا جديدا وأشرك بالله سبحانه فعبده غيره بما يستحسنه من أشجار وأحجار وأنبياء أو ملائكة أو أناس غيرهم ورواوا أن هذه العبادة تقر بهم إلى الله في هؤلاء هم أهل النار المستحقون لأليم العذاب والبوار فإن الشرك قد استقر قبضه في جميع العقول من العالمين ولله الحجة البالغة ولو شاء هلككم أجمعين والقسم الثالث من لم يغير ولم يبدل بل بقى على أصل جهاته إلا أنه لم يعترف بما فطر الله عليه العقول السليمة من الاعتراف بوجوده ووحدانيته فهذا الذي بسطنا فيه الاختلاف الواقع بين الفريقين من

(قوله سبر) اختبر (قوله حظرها) منعها (قوله الروايات) أي الآتية في باب زيارة القبور (قوله الضالين) الجاهلین بالله تعالى (قوله أمة) قال في النهاية الأمة الرجل المنفرد بدين كقوله تعالى ان ابراهيم كان أمة قاتل الله ويقال لكل جيل من الناس والحيوان أمة (قوله قس) بالضم كما في القاموس (قوله ابن ساعدة) الأيادي روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يرحم الله قسا انى لا رجوع يوم القيامة ان يبعث أمة واحدة (قوله وأمثاله) كزيد بن عمرو بن نفيل فإنه قد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة واحدة (قوله قسموا) جواب لما في قوله لما رأوا الآيات (قوله فطرته) خلقته أي بقى على ما فطره الله عليه من معرفته والاقرار به (قوله استفاض) اشترى (قوله ولم تنسخ) تغير وتزال (قوله السواب) جمع سائبة وذلك ان أهل الجاهلية كانوا اذا انتجت اناقة خسر أبطن آخرها شقوا أذنبا وخلصوا سبيها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شئت فناقني سائبة فيجعلها كالبحيرة في عدم الارتفاع بها واذا ولدت الناقة البطن الثالثة أنثى فهي لهم واذا ولدت ذكر افهولا لهم واذا ولدتهمما وصلت الأنثى أخاها فلا يذبح لها الذكر (قوله والبوار) أي الهلاك

الاشاعرة والمنصورية والذي عليه أساطين العلماء من المحدثين المستبصرين بنور اليقين الوارثين
 لعلوم سيد المرسلين إنهم آمنون أن تمكنوا من زمان تمكنهم فيه إمعان النظر فلم يصرفوه وكيف وكل
 ذرة من ذرات الوجود تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ففي كل
 شيء له آية تدل على أنه واحد هذا ما انتهى إليه المقال في بيان هذه الأقوال والله الملمهم بالصواب
 واليه المرجع والمآب

﴿الباب الثاني في بيان هل يصح إيمان المقادير وسوق الخلاف الكائن في جواز التقليد

في أصول الدين وبيان القول المختار في جميع ذلك﴾

اعلم وفقنا الله وإياك أن التقليد لغة وضع الشيء في العنق محيطا به واصطلاحاً أخذ قول الغير من غير حجة
 وقد اختلف العلماء في جواز التقليد في أصول مسائل الدين وهو العلم الذي يبحث فيه عن ذات الله
 تعالى وما يجب له وما يمتنع عليه من الصفات وعن أحوال الممكنات والمبدأ والمعاد على قانون الاسلام
 وسمى بعلم الكلام لأن أول مسألة دارت فيه

(قوله والمنصورية) أصحاب أبي منصور الماتريدي (قوله ناصواب) ضد الخطأ (قوله
 الملمهم) الملقن (قوله المآب) المرجع (قوله أخذ قول الغير) نخرج أخذ غير القول
 من الفعل والتقرير عليه فليس بتقليد (قوله من غير حجة) يستند إليها خرج به أخذ القول
 مع الحجة فهو اجتراد وافق اجتهاد القائل به (قوله في أصول مسائل الدين) كحدوث العالم
 ووجود الباري وما يجب له وما يمتنع عليه من الصفات وغير ذلك (قوله من الصفات) أي
 الثبوتية والسلبية وقوله وعن أحوال الممكنات لعل البحث عن صفاته تعالى وأحوال الممكنات من
 قبيل البحث عن أحوال أعراض موضوع العلم لأن موضوعات مسائل العلم قد يكون موضوع العلم
 وقد يكون أعراض موضوعه هذا إذا كان البحث عن الممكنات من حيث استنادها إليه تعالى
 لا ندراجه في البحث عن الأعراض وإما على ما قيل من أنه قد يبحث في الكلام عن أحوال الممكنات
 لا من حيث الاستناد كقولهم الأعراض لا تنتقل في التعريف اشكال ويمكن تخصيص الأحوال
 بالحيثية المذكورة ويكون البحث عن أحوالها لا من تلك الحيثية استطرادا كما في شرح المقاصد
 (قوله على قانون الاسلام) احتراز عن الهيئات الفلاسفة فانها على قانون عقولهم وافق الاسلام
 أو خالفه كما في شرح المواقف (قوله وسمى بعلم الكلام الخ) فموضوعه هو ذات الله كما ذهب إليه
 القاضي الأرموي وغيره والمشهور عند المتكلمين أن موضوعه المعالوم من حيث يثبت له ماهو من
 العقائد الدينية أو وسيلة إليها وذهب جماعة منهم الغزالي إلى أن موضوعه هو الموجود من حيث هو
 هو غير معيّن بشئ ويمتنع عن الإلهي المشارك له في أن موضوعه أيضا هو الموجود مطلقا باعتبار أن

مسئلة الكلام فقال الجمهور بالمنع لاجتماع على وجوب المعرفة لقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله فامر بالعلم بالوحدة انية والتقليد لا يفيد العلم وقد ذم الله التقليد في الأصول ومدح عليه في الفروع حائنا عليه فقال في الأصول انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون وحث على السؤال في الفروع بقوله فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقيل بالجواز لاجتماع السانف على قبول كليات الشهادة من الناطق من غير استفسار عن معناها ولا قيل له هل نظرت أو تبصرت بدليل ويقاس على الوحدة انية غيرهما من المعتقدات الاسلامية على القولين السابقين وقيل يجب التقليد وان النظر والبحث فيه حرام والقائلون بهذا افتروا فرقتين فرقة نفت النظر وقالت المطاوب العلم والنظر لا يفضي اليه فالاشتغال به حرام وفرقة اعترفت به وقالت بحرمة خشية وقوع المناظر فيه بالاضلال بسبب الشبه المؤدية الى الارتياح وبما يتوهم ان هذا مذهب الشافعي وغيره من السانف انهم عن علم الكلام والاشتغال به وليس كذلك بل هو محمول على من لم يكن ذا قدم صادق في تحقيق المسالك فيؤديه الى الشك والالتباس والوقوع في المهالك قال الميرقي في شعب الايمان وكيف يكون العلم الذي يتوصل به الى معرفة الله وصفاته وما يجب له وما يمتنع عليه وأحوال المعاد

البحث فيه على قانون الاسلام وقد بين فساد في الكتب الكلامية وأما تعريفه فهو علم يقدر معه على اثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها (قوله مسألة الكلام) أي كلام الله تعالى هل هو قديم أو حادث كما هو مشهور بين أهل السنة والمعتزلة ووقعت فتن عظيمة بينهما بسببه إذ قد روي ان بعض الخلفاء العباسية كان على الاعتزال فقتل جماعة من علماء الامة طالباً منهم الاعتراف بحديث القرآن فغلبت عليه تسمية الشيء باسم أشهر اجزائه أو أنه سمي به لان أبوابه عنونت أولاً في كتب المتقدمين بالكلام في كذا فبعد تغيير العنوان بقى الاسم بحاله أو أنه سمي به ليكون بازاء المنطق للفلاسفة أو أنه سمي به لانه يورث قدرة على الكلام في الشرعيات ومع الخصم (قوله فقال الجمهور) ورجحه الامام الرازي والآمدي (قوله بالمنع) ووجوب النظر (قوله بالوحدة انية) ويقاس غير الوحدة انية عليها (قوله على أمة) أي ملة (قوله أهل الذكر الخ) أي العلماء ليعلموكم ففيه وجوب المراجعة الى العلماء (قوله وقيل بالجواز) وبه قال الغزالي وغيره ولا يجب النظر (قوله ولا قيل له هل نظرت الخ) لانه صلى الله عليه وسلم كان يكتفي في الايمان من الاعراب وليسوا أهلاً للنظر بالتلفظ بكلماتي الشهادة المنبئ عن العقد الجازم ويقاس غير الايمان عليه (قوله حرام) لانه مظنة الوقوع في الشبه والضلال لا اختلاف الاذهان والانتظار (قوله وما يجب له) من الصفات (قوله وما يمتنع عليه) منها (قوله وأحوال المعاد) الجسماني

وغيره من السمعيات وبيان النبي والتميز بينه وبين المتنبي وغير ذلك مما تدعو الحاجة اليه حراما بل هو من فروض الكفايات لرد شبه المبطلين وضلال الملحدين وعلى كل حال فهذه الاقوال مسوقة في الجواز المقابل بالحرمة لا في الصحة المقابلة بالبطلان فيصح التقليد المذكور الا ان المقلد على القول الاول وهو المختار عاص بترك النظر والاستدلال والمراد بالنظر الواجب على المقلد النظر على طريقة العامة لا على طريقة أهل النظر من تحرير الأدلة وتدقيق العبارات بل يكفيها النظر الجلي والاستدلال الاجمالي ليحزم بعقيدته ويطمئن بطويته وان لم يكن قادرا على ايراده لو طلب منه بعبارة ومثل ذلك ما أجاب به الاعرابي الأصمعي عن سؤاله عن معرفة به بقوله البعرة تدل على البعير وآثار الاقدام تدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدل على اللطيف الخبير واما الخوض فيما يخوض به المتكلمون من ايراد الشبه وودفعها والقاء التورينيات وقلعها فهو جائز بل فرض في حق المتأهلين الذين اتوا نظرا في تحقيق اليقين وأما من يخشى عليه الوقوع في هوة تيك الاباطيل فلا يجوز له الخوض فيه ولا يرجع الى ما استقر عليه عقد صدره السليم وتلافيه وقد سئل بعض العلماء عن الاشتغال في علوم الفلاسفة اخوان الشياطين

(قوله وغير ذلك) من قواعد العقائد الاسلامية (قوله مما تدعو الحاجة اليه) لدفع شبه الملحدين والمبتدعين في أصول الديانات (قوله لرد شبه المبطلين الخ) ولا يحصل كمال ذلك الا باتقان قواعد علم الكلام المبنية على الحكميات والاهليات لكن لا ينبغي ان يتعلمه الا ذكي ذودين يكفه عن الدخول في الزلل الذي ربما وقع فيه الدليل صاحب جدوتحر والايخاف عليه الميل الى المذاهب الباطلة (قوله فيصح التقليد) أي على الأقوال الثلاثة (قوله تحرير) تهذيب (قوله ويطمئن) يسكن (قوله بطويته) ما انطوى عليه (قوله أبراج) وهي اما اثنا عشر شهيت بالقصور لانها ينزلها السيارات ويكون فيها الثوابت او منازل القمر وعظام الكواكب سميت بذلك لظهورها أو غير ذلك (قوله فجاج) طرق (قوله اللطيف) المحسن الى خلقه بإيصال المنافع اليهم والعالم بخفايا الأمور ودقائقها فهو على الاول يرجع الى صفة الفاعل وعلى الثاني الى صفة العلم على ما في شرح المواقف وفي الشروح الحديثية هو الذي لطف وامتنع عن ان يدرك بالكية وهذه الاختلاف مبني على اختلاف فهم في معنى اللطف (قوله الخبير) معناه العليم فهو صفة عامة وقيل معناه المخبر فهو صفة كلامية وبما سبق ذكره دفع الأولون دليل الثاني باننا لا نسلم ان الاعراب ليسوا أهلا للنظر فان المعتبر بالنظر على طريق العامة كما أجاب الاعرابي الأصمعي الى آخر ما ذكره المؤلف (قوله في هوة) قال في القاموس الهوة كقوة ما نهبط من الأرض أو الوهدة الغامضة منها (قوله وتلا) من التلاوة (قوله علوم الفلاسفة) حد علم الفلاسفة علم باصول يعرف

ومن شاكرهم من الكفرة والمعتلة للمحدثين فجوز ذلك وجعل الاشتغال به جائزا لاعداد العدة
للخصوص ولا يتم له ذلك الا بالنظر الى هاتيك الرسوم لكن لا مقابل بثلاثة شروط الاول ان يكون
ضابطا للكتاب والسنة متضلعا من علومهما فقيهها باصول الفقه والحديث النبوي عارفا بقوال السلف
والطريق المستقيم السوي والثاني ان يكون واثقا بان لا تهزده رياح الابطال ولا ترزله الشكوك في
قال ولا قيل والثالث ان لا يمزج كلامهم الباطل بكلام المسامين ولا يخلط الشك باليقين فيكون كمن
أراد أن يرتق ففتق وركب طبعا عن طبق واذا اجتمعت فيه هذه الشروط ساغ له أن ينظر في أقوالهم
لهدم قواعد ضلالاتهم وليكن اشتغاله في الاهم فالاهم مما يخشى منه سقوط بعض الامة فيكون اذا
قد أزال عن بعض اخوانه المسامين ما هم وأغمه فن رأى زمانا هذا وجد الناس قد اشتغلوا في
العلوم الفلسفية وصرفوا أعمارهم في جمع فنونها واستقسكروا بفنائها وغصونها ونظروا الى العلوم
الشرعية بعين الاحتقار وزخرفوا الكلام في تمهيد قواعدهم الخبيثة فاستحقوا من الله الابعاد
والبوار وسند كطرفا من قواعدهم في باب البسد ان شاء الله تعالى قال الشيخ الامام تاج الدين

بها حقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح وفائدة العمل بما اقتضاه العقل من حسن وقبح (قوله
ومن شاكرهم) شاكرهم (قوله للمحدثين) الضالين المضلين المائلين الزائغين (قوله لاعداد
الح) كان يكون مستعداهم (قوله ولا يتم الح) أي اعداد العدة (قوله الرسوم) الرسم
مالا شخص له من آثار المنازل (قوله ضابطا) حافظا (قوله ولا ترزله) تحركه (قوله
لا يمزج) أي يخلط (قوله لا يخلط) أي يمزج (قوله يرتق) الرتق الضم والالتصام وهو هنا
الفتق (قوله ففتق) الفتق الشق (قوله طبعا عن طبق) حالا بعد حال (قوله ساغ) جاز
(قوله لهدم) أي نقض (قوله ضلالاتهم) جمع ضلالة وهي ضلال هدى (قوله ما هم) اهتم
الحزن أو ما هم به في نفسه (قوله وأغمه) الغم الكرب (قوله اعمارهم) أي مدة حياتهم
(قوله فنونها) جمع فن وهو النوع من الشئ (قوله بفنائها) غصونها (قوله الاحتقار) الازلال
(قوله وزخرفوا الكلام) حسنه بترقيش الكذب (قوله في تمهيد) بسط (قوله الخبيثة)
الغير الطيبة (قوله والبوار) أي الهلاك قال السنوسي وقل ان يفلح من أولع بصحبة كلام
الفلاسفة أو يكون له نور إيمان في قلبه أو لسانه وكيف يفلح من والى من حاد الله ورسوله وخرق
حجاب الهيبة ونبت الشريعة وراء ظهره وقال في حق مولانا عز وجل وفي حق رساله عليهم الصلاة
والسلام ما سولت له نفسه الحقي ودعاه اليه وهمه المختل ولقد خذل بعض الناس فتجده يشرف كلام
الفلاسفة الملغونين ويشرف الكتب التي تعرضت لنقل كثير من حقائقهم لما تمكن في نفسه الامارة
بالسوء من حب الرياسة وحب الاغراب على الناس بما يفتهم تلى كثير من عبارات واصطلاحات

السبكي في كتابه معبد النعم ما نصه ومنهم طائفة تبعت طريقة أبي نصر الفارابي وأبي علي بن سينا وغيرهما من الفلاسفة الذين نشؤوا في هذه الأمة واشتغلوا بأباطيلهم وجهالاتهم وسموها بالحكمة الإسلامية ولقبوا أنفسهم بحكماء الإسلام وهم أحق بأن يسموا أسفهاء جهلاء أذهم أعداء أنبياء الله ورسوله والمخرفون لكلام الشريعة عن مواضعه عكفوا على دراسته ترهات هؤلاء الأقبام وسموها بالحكمة الإسلامية واستجهاوا من عرى عنها ولا تكاد تلقى أحد منهم يحفظ قرآنا ولا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعمري إن هؤلاء لأضر على عوام الناس من اليهود والنصارى لأنهم يلبسون لباس المسلمين ويزعمون أنهم من علماءهم فيقتدى العامة بهم وهم لا يعتقدون شيئا من دين الإسلام بل يهدمون قواعد وينقضون عراه عروة عروة شعر.

وما انتسبوا إلى الإسلام إلا * لصون دماهم أن لا تسالا

فيأتون المناكر في نشاط * ويأتون الصلاة وهم كسالى

فالخذر الخذر منهم وقد أفتى جماعة أئمتنا ومشيخة مشيختنا بتحريم الاشتغال في الفلسفة ثم قال

يوهم أن تحتها علوم مادية دقيقة وهي ليس تحتها إلا التخليط والهوس والكفر الذي لا يرضى أن يقوله عاقل وربما يؤثر بعض الحقوسهم على الاشتغال بما يعنيه من التفقه في الدين على طريق السلف الصالح والعمل بذلك ويرى هذا الخبيث لا يطاس بصيرته وطرده من باب فضل الله تبارك وتعالى إلى باب غضبه أن المشتغلين بالتفقه في دين الله تعالى العظيم القوائد دنيا وأخرى بليد والطبع ناقصو الذكاء فأتجهل هذا الخبيث وأقبح سريره وأعجم قلبه حتى رأى الظلمة تورا والنور ظلمة ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ساعون للكذب كالمون للسحت انتهى حتى أن بعض فرق الضلال كان سبب ضلالهم مطالعة كتب الفلاسفة وهم الواصليين والنظامية والجماعية والاسماعيلية طالعوا كتب الفلاسفة فصاروا من أشقى الفرق الضالة خصوصا الاسماعيلية فانهم تفلسفوا ولم يزوالوا مستهزئين بالنواميس الدينية والأموال الشرعية كذا في شرح المواقف (قوله نشؤا) أي ربوا وشبوا (قوله والمخرفون) المغيرون (قوله ترهات) أي أباطيل (قوله ولعمري الله) العمر بالفتح وبالضم وبالضمتين الحياة إلا أنه في القسم لا يستعمل إلا في المفتوح فقط كما هنا (قوله يهدمون) ينقضون (قوله وينقضون) النقض فسخ التركيب ضد الإبرام والعروة أخت الزر (قوله لصون) أي لحفظ (قوله المناكر) جمع منكرا سم جامع لما نهى الله عنه (قوله في نشاط) أي في طيب نفس (قوله وهم كسالى) متساقطون عنها فاقرون فيها (قوله فالخذر الخذر) أي احتزروا منهم لا يضاؤنكم (قوله بتحريم الخ) ولقد نهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن

ولقد حصل ضرر عظيم على المساميين بمزج كلام الفلاسفة بكلام المتكلمين وما كان ذلك الا في زماننا
وقبله يسير منذ انشأ نصير الطوسي ومن تبعه لاحياهم الله ثم قال ايضا فن ترك الكتاب والسنة واشتغل
بمقالات ابن سينا ومن نحاحوه قائل الا قال الشيخ ابن سينا وقال خواجه نصير ونحو ذلك ان يضرب
بالسياط ويطاف به في الاسواق وينادي عليه هذا جزء من ترك الكتاب والسنة واشتغل
باباطيل المبتدعين ثم قال لم أجد أضر على عصرنا وأفسد لعقائدنا من نظرهم في الكتب الكلامية
التي أنشأها المتأخرون بعد نصير الطوسي انتهى فليستق الله عبد علم ان الله سائله ماذا علم وبماذا عمل
ولينظر المشتغل الحريص على ذلك الى قلبه وليتدبر بلبه وليعرض ما اشتغل به على الكتاب فانه
متعرض في يوم الحساب لرد الجواب ولئن اتفق من استجمعت به هذه الشرائط واستحكمت به
الروابط فهل اقرأ علوم الرافضة واشتغل بما أودعوه في كتبهم من أصولهم وفروعهم مع انهم أولى
باعداد العدد وأحق من أولئك بمناستقاده من كل برهان وسند وكيف وهم قد وافقونا في لباسنا
وزاجونا في أملاكنا ونفثوا بسحرهم في أسلاكنا وأما أولئك فلم تبق الا كلماتهم الخبيثة
مسطورة

قراءة التوراة مع كونها كتابا بالهيا فلان ينهى عن قراءة كلام الفلاسفة أحق (قوله ضرر) هو
الخطأ المفسدة بالغير (قوله بمزج) خلط (قوله نحاحوه) قصد طريقه (قوله بالسياط)
بالمقارع (قوله بأباطيل) جمع باطل على غير قياس كأنهم جمعوا الباطيل قاله الجوهرى (قوله ثم
قال) أى السبكي (قوله بعد نصير الطوسي) كالكتب الموجودة الآن في أيدي الناس وذلك
لكثرة خلط الفلاسفة فيها حتى لا يكاد يتميز عن الفلسفة لولا اشتماله على السمعيات وهذا كلام
التأخرين (قوله الى قلبه) سمي به لانه محل الخواطر المختلفة الحاملة له على التقلب (قوله بلبه)
بخالص عقله (قوله برهان) هو لغة الشعاع الذي يلي وجه الشمس واصطلاح الدليل سمي به
لوضوح دلالاته (قوله وسند) هو ما يذكر لتقوية المنع (قوله وزاجونا) ضائقونا (قوله
ونفثوا) النفث النفخ مع الريق (قوله في أسلاكنا) هي الخيوط فان من جملة أنواع السحر
النفث في الخيوط فان السحرة يعقدون عقدا في خيوط وينفثون عليها وسيأتي تحقيق السحر
والمراد انهم خالطونا بخاطبة كلية بحيث لا يتميزوا عنا وهو اعلىنا بحيث صرنا معهم كالمسحورين
لاننى ما ألقوه علينا من دسائسهم في محاوراتهم معنا حتى ان كثير من يبرأ عن بدعته ظاهرا ويلتزم
ما التزمه أهل السنة بحيث يخفى حاله على كل أحد فيتوسل بذلك الى شبهه ودسائس ياقمها في كلامه
لاجل تضليل مخاطبيه من حيث لا يشعر ومنهم من ألف كتابا في مناقب الشافعى رحمه الله وأودع فيه
من الدسائس الرضية ما لا تخفى على السني المتبحر ومنهم من ألف كتباً في مذاهب المجتهدين وذكر

في مواطن عاوم الشريعة وهاجلة بها قائمون وعايها عاكفون ولم يرأحدا منهم جاءنا بحكمة منه وأسفر
عن وجه ضلالتهم ولكن أبادهم الله تعالى فهم في النار يسجرون وقد ورد أن عمرو بن العاص رضي
الله تعالى عنه لما افتتح مصر ووجد فيها من كتب اليونان خزائن كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب رضي الله عنه يستشير فيه فها هو فاعل فيها فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا مرس
بحراقها وقال له حسبنا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من كل كتاب وسنة فهماد واءكل داء
والنور الساطع في الظلمات قل هو الذي آمنوا هدى وشفاء فلو ظفروا بثلث الكتب لا اتخذوها
معابد وتها فتوا عليها تها فت الفراش ما بين قائم منهم وقاعد هذا ما انتهى إليه النقال من بيان خلاصة
الاقوال في جواز التقليد في أصول الدين وعدم جوازه وأما القول في صحة إيمان المقلد فعليه الجمهور
الشيخ أبو الحسن الأشعري فعنه أنه لا يصح إيمانه وقد شنع عليه كثير من الناس بأنه يلزمه تكفير
غالب العوام بل كلهم في هذا الزمان وقد قال الإمام القشيري أن هذا مكذب عليه والتحقيق أن لفظ
التقليد يطلق بمعنىين أحدهما قبول قول الغير والعمل به بغير حجة والثاني الاعتقاد الجازم للموجب
فهو بالمعنى الأول قد يكون ظنا وقد يكون وهما ولا شك أن هذا لا يكفي وكاظم الشيخ وغيره ممن اطلق
عدم الصحة في التقليد وورد على هذا وأما بالمعنى الثاني فلم يقل أحد من علماء الإسلام أنه لا يكفي في
الإيمان إلا أبو هاشم من المعتزلة وما قاله أبو الحسن بما حررناه وأفتى به الإمام تاج الدين السبكي في
صورة استفتاء استفتي به صحيح باجماع أهل الإسلام أن لا بد في الإيمان من الاعتقاد الجازم الذي
لا يتشكك والدليل على ذلك قوله تعالى لا من شهد بالحق وهم يعلمون قال الواحدى في تفسيرها
أجمع أصحابنا على أن شرط الإيمان طمأنينة القاب على ما اعتقده بحيث لا يتشكك ولا يضطرب
إذا حرك لقوله وهم يعلمون إلى آخر كلامه رضي الله عنه وقد أوضح الكلام في الشقين المولى سعد

فيها ما يخالف مذاهيرهم قصد بذلك إلى ترويح مذهبه وإبطال مذاهيرهم (قوله في مواطن) أما كن
(قوله عاكفون) مقبلون (قوله وأسفر) أى كشف (قوله أبادهم) أهلكتهم (قوله
يسجرون) يوقدون (قوله حسبنا) كافينا (قوله هدى) تقدم معناه أول الكتاب (قوله
وشفاء) من ادواء الكفر والجهالة والأمراض القلوب والشك والزيغ (قوله بثلث) الكتب
(قوله وتها فتوا) أى تساقطوا عليها تساقط الفراش بالفتح دوية تطير فتساقط في النار (قوله
في هذا الزمان) وهم غالب المؤمنين (قوله وقد قال الخ) أى في دفع التشنيع (قوله
والتحقيق) كما ذكره ابن السبكي في جمع الجوامع (قوله وهما) وقد يكون شكاً (قوله
لا يكفي) لأنه لا إيمان مع أى تردد فيه (قوله بالمعنى الثاني) وهو المعتمد (قوله إلا أبو
هاشم) فإنه قال لا يكفي بل لا بد لصحة الإيمان من النظر (قوله تاج الدين السبكي) هو

الدين فقال الحق ان المعرفة بدليل اجمالي يرفع الناظر عن حضيض التقليد فرض عين لا يخرج عنه
 لأحد من المكافئين و بدليل تفصيلي يتمكن معه من ازالة الشبهة والزام المنكرين وارشاد
 المسترشدين فرض كفاية واعلم ان وجود الجزم من المكاف ان كان بسبب من ضرورة أو برهان كما
 يسمى عاميا يسمى معرفة و يقينا وان كان بغير سبب وموجب بل بتقليد محض يسمى اعتقادا فان
 طابق الواقع فصحيح والافساد وجهل مركب فالثاني كاعتقاد كافة الكافرين المقلدين لأنهم
 وقد أجمعوا على كفر صاحبه والأول كاعتقاد عامة المؤمنين المقلدين فصاحب هذا الاعتقاد على
 الصحيح آثم عاص بترك النظر والاستدلال فيبقى في مشيئة الله تعالى ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه
 بما يستحق ثم يدخله الجنة بفضلها فالواجب على كل مسلم ان يتعلم دليلا اجماليا يكون في دينه على
 بصيرة ولا يخشى عليه الشك عند عروض الشبهات وكيف ينفعه التصميم بلسانه والقلب الذي هو
 محل ايمانه يقول

صاحب جمع الجوامع (قوله حضيض) سفل (قوله من ضرورة) كالحكم بان زيدا متحرك
 من شاهده يتحرك (قوله أو برهان) كالحكم بان العالم حادث (قوله كما يسمى عاميا الخ) قد
 اختلفوا في تعريف العلم اختلافا كثيرا والمختار في تعريفه عند المتكلمين انه صفة توجب لموصوفها
 تميزا بين المعاني لا يحتمل النقيض كما ذكره في المواقف (قوله وموجب) المراد من الموجب ما يعم
 الدليل القطعي والشبهى والبدئية العقلية والوهمية (قوله بل بتقليد محض يسمى اعتقادا) وان لم
 يحصل بذلك جزم من المكاف فان كان راجعا على مقابله يسمى ظنا وان كان مرجوحا يسمى وهما
 وان مساويا يسمى شكافا لايمان ان حصل بهذه الثلاثة التي ذكرناها فالاجماع على بطلانه وان
 حصل من القسم الأول وهو العلم والمعرفة فالاجماع على صحته وان حصل من القسم الثاني وهو
 الاعتقاد فان طابق الخ (قوله فصحيح) كاعتقاد المسلمين ان العالم حادث (قوله والا) أي
 والايطابق الواقع كاعتقاد الفلاسفة ان العالم قديم (قوله وجهل مركب) الجهل انتفاء العلم
 بالمقصود أي ما من شأنه ان يقصد ليعلم بان لم يدرك أصلا ويسمى جهلا بسبب طأ وأدرك على خلاف
 هيئته في الواقع ويسمى جهلا مركبا لانه جهل المدرك بما في الواقع مع الجهل بانه جاهل به فهذا جهل
 آخر قد تركا معا كاعتقاد الفلاسفة ان العالم قديم (قوله وقد أجمعوا على كفر صاحبه) وكونه مخلدا
 في النار (قوله فصاحب هذا الاعتقاد) هو الذي عليه محط الخلاف وقوله وعلى الصحيح أي
 يكون مؤمنا لكنه آثم الخ (قوله بترك النظر الخ) ٧ وبه قال أبو حنيفة وسفيان الثوري ومالك
 والاوزاعي والشافعي وأحمد وعامة الفقهاء وأهل الحديث بل نقل بعضهم الاجماع على ذلك (قوله
 على بصيرة) أي نفس بصيرة أي شديدة الابصار ويحتمل انه مصدر بمعنى تبصر (قوله يقول

لا أدري فيكون من الذين قال الله فيهم الذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وقد قيل
 ان من النفاق ما لا يعرفه صاحبه من نفسه وهو نفاق من يولد بين المسلمين فيسمع منهم كلمات
 الايمان فيقول كما يقولون اتباعا وتقليدا حتى لو ولد بين اليهود والنصارى لقال مثل ما يقولون من غير
 ملاحظته وتصميم بقلبه والقائه على ذلك بلبه فليحذر جواب الملوك فان لا يمكن ان ينطق الا بما
 في قلبه وليخش ان يقول هاهاهاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته قال سبحانه حكاية عن
 المنافقين يوم ينادونهم ألم نكن معكم قلوا بلى والكنتم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني
 حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور وقد دلت الآية على انهم لم يعبدوا أصناما بل كانوا مع المؤمنين ولم
 يكونوا عارفين بما وجب من معرفته فاذا كان الأمر كذلك فلا يغتر المقلد بقوة تصميمه وكثرة
 عبادته انه على الحق لتوجه النقص عليه بتصميم اليهود والنصارى على معتقداتهم الفاسدة وعدم
 رجوعهم عنها ولو نشروا بالناشير فهذا لا يدل على حقيقة معتقداتهم فالنشأة بين قوم يدينون بشئ
 والمخالطة تأثير عظيم في التصميم فلينظر المسلم الى ما انطوت عليه طويته وليتأمل في خلق الله وما خلق
 لأجله واذا أشكل عليه شئ وجب عليه ان يسأل فعلى قدر المعرفة تكون الخشية وعلى قدر الخشية
 تكون الانابة وعلى حسب احسن العبادة وعلى قدره ترجى الرحمة وفقنا الله سبحانه للعلم والعمل

لا أدري) أى متحيرا (قوله فيكون الخ) أى من جملة المنافقين (قوله ان من النفاق) أى
 من يعرف صاحبه من نفسه كمنفاق الذين يظهرون الاسلام بين الناس ويضمرون الكفر في قلوبهم
 كالذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومن في معناهم كالزنادقة والملاحدة وان منه ما لا يعرفه
 الخ (قوله لا أدري سمعت الناس الخ) فانه اذا أتى الملك في القبر ينطق بما عنده من غير زيادة
 ولا نقصان لان الانسان في ذلك المحل لا يترك كفاي الدنيا يتكلم بما ليس في قلبه بل ان كان عالما
 بالحق ينطق به وان كان شاك فيه غير عالم به يقول لا أدري (قوله ألم نكن معكم الخ) يريدون
 موافقتهم في الظاهر (قوله فتنتم أنفسكم) بالنفاق (قوله وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (قوله
 وارتبتم) أى شككتهم في الدين (قوله وغرتكم الأماني) كامتداد العمر (قوله حتى جاء
 أمر الله) وهو الموت (قوله الغرور) الشيطان أو الدنيا (قوله بما وجب) أى عليهم وقوله
 من معرفته أى حتى جاءهم أمر الله الذي هو الموت فيقال لهم يوم القيامة فالיום لا يؤخذ منكم فدية
 ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير (قوله على معتقداتهم الفاسدة)
 وأباطيلهم تقليد الآباء الضالين المضلين وأما تصميمهم على كون معتقداتهم حقا وعدم رجوعهم الخ
 (قوله فهذا لا يدل الخ) أى ولا على كونهم في دينهم على بصيرة (قوله فالنشأة) أى التربية
 (قوله المخالطة) أى معهم

وجنبنا بفضلها الخلق والخلق إلى آيين فإن قلت فاعرف فتقول فاذا ذكر لي خلاصة ما عليه أهل الإسلام لا كون على بصيرة في الدين متبعاً سبيل المؤمنين الموحدين فاعلم أن أول الواجبات عليك معرفة الله سبحانه بصفاته وأفعاله ولا يكون ذلك إلا بعد معرفتك إياه وجوب وجوده وللتكاملين في اثبات الواجب دلائل كثيرة وبراهين غزيرة مبينة على بيان أن العالم حادث قالوا إن العالم جميعه أعيان وأعراض وكلها حادث على ما بين في الكتب الكلامية وإذا ثبت أن العالم بجميع أجزائه محدث كان محتاجاً إلى محدث

(قوله معرفة الله) معرفة الله تعالى واجبة أمّا شرعاً كما ذهب إليه الأشاعرة أو عقلاً كما ذهب إليه المعتزلة (قوله أول الواجبات عليك معرفة الخ) وهو ما عليه الأكثرون منهم الشيخ أبو الحسن الأشعري إذ معرفة الله تعالى هي أصل المعارف والعقائد الدينية وعليها تفرع وجوب كل واجب وقيل هو النظر في معرفة الله واليه ذهب جمهور المتكاملين والمعتزلة والاستاذ أبو اسحق الأسفرياني وقيل هو أول جزء من النظر وقيل هو المقصد إلى النظر واليه ذهب القاضي الباقلاني واختاره ابن فورك وإمام الحرمين قيل النزاع انقضى لأنه إن أريد أول الواجبات المقصودة أولاً بالذات فهي المعرفة اتفاقاً وإن لم يرد ذلك بل أريد أول الواجب مطلقاً فالمقصد إلى النظر والافان شرطاً كونه مقدوراً فالنظر والافان المقصد وقال أبو هاشم أول الواجبات الشك وهو مردود بما ذكر في الكتب الكلامية قلت واتفق السلف على أن أول ما يؤمن به العبد الشهادتان (قوله دلائل كثيرة) قد ذكرناك بعضها سابقاً (قوله العالم) هو بفتح الاء وهو ما سوى الله تعالى من الموجودات يقبل عالم الأجسام وعالم الأعراض وعالم النبات وعالم الحيوان فيخرج صفات الله تعالى فأنها ليست غير الذات كما أنها ليست عينها (قوله حادث) خلافاً للفلاسفة فأنهم ذهبوا إلى قسم العقول والنفوس الفلكية والأجسام الفلكية بموادها وصورها الجسمية وأنواعها وأشكالها وأوضاعها والعناصر بموادها ومطاق صورها الجسمية مع أشخاصها وصورها النوعية إلى غير ذلك من ضلالاتهم وقد بين المتكاملون فساد كل هذا وبطالانه (قوله جميعه) أي السماء وما فيها والأرض وما عليها (قوله أعيان) الأعيان ما تقوم بنفسها ولا تحتاج إلى محل تقوم به كالشجر والحجر وزيد (قوله وأعراض) العرض ما يقتصر إلى محل كالطعوم والروائح (قوله حادث) بعد أن لم تكن (قوله محدث) بما ذكره وغيره من الدلائل القطعية (قوله محتاج إلى محدث) لأنه إذا كان حادثاً كان مسبوقاً بالعدم وما سبقه العدم لم يكن وجوده لذاته ويستوى في العقل أم كان وجوده وعدمه فلا بد له من مخصص يرجع أحد الجانبين على الآخر فعلم ذلك ببداهة العقل كما أن من رأى قصر أبي نعيم عرف أن له بانياً قداماً كما قيل لأعرابي هم عرفت ربك قال البعرة

وذلك المحدث لا بد أن يكون قديما واجبا الوجود اذ لو لم يكن واجبا الوجود لكان جائزه فلم يكن قديما واذ لم يكن قديما بل كان حادثا لا يحتاج الى محدث فيلزم الدور أو التسلسل وهو وجود حوادث لا أول لها وكلاهما محال فكل ذرة من ذرات العالم من حيث حدوثها وافتقارها الى من يمسك عليها وجودها تنطق باسان حالها عن هذا القديم الواجب الوجود فليتنظر العاقل في مصنوعات ذى الجلال واول ما ينظر الى نفسه من ابتداء خلقه الى حين بلوغه كمال عقله وما انطوى عليه من بديع الصفة وكمال الحكمة ثم ينظر في جميع هذا العالم سفله وعالوه يجده مسخرا لما يراده منه ويتأمل بما انطوى عليه من الحركات والسكون والطاوع والغروب وغير ذلك من الاجتماع والافتراق والاستواء والميل والوجود والعدم على هذا النهج الغريب والاسلوب العجيب فانه لا يشك ان له صانعا قديما واجبا الوجود واحد الاثر يك له ولا وزير ولا معين له ولا ظهير موصوفا بصفات الكمال من الحياة والقدرة والارادة والعلم والسمع والبصر والكلام وغيرهما من الصفات التي أثبتتها لنفسه في كتاب العزيز وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم سالكا الطريق المستقيم بين التعظيم والتخيل فهو موصوف بما وصف به نفسه كما يليق بحلال قدسه على ذلك درج السلف الصالح ذوو العلم الراجح وما اشتبه عليه مما أثبتته الله سبحانه لنفسه من اليد والرجل وغير ذلك

تدل على البعير وآثار الأقدام تدل على المسير فهيكلكم على هذه الطاقة ومركزكم على هذه الكشافة يدلان على صانع خبير يدل على ان للعالم صانعا (قوله قديما) لا أول لوجوده (قوله بل كان حادثا) اذ لا واسطة بين القدم والحديث فكل موجود اما قديم أو حادث (قوله قديما) لا أول لوجوده (قوله لا شريك له) والا لاختل النظام المشاهد في العالم كما سيجيء في الباب الخامس (قوله ولا وزير) عاضد يحمل عنه تفكر التدبير (قوله الحياة) صفة أزلية أبدية تصح قيام الصفات بموصوفها (قوله والقدرة) صفة أزلية أبدية تؤثر في الممكن حيث تعلقت الارادة به (قوله والارادة) صفة أزلية أبدية تخص الممكن ببعض ما يجوز عليه (قوله والعلم) صفة أزلية أبدية ينكشف بها المعلوم عند تعلقه به انكشافا لا يحتمل النقيض بوجه (قوله والسمع والبصر) صفتان أزليتان أبديتان ينكشف بهما الموجود عند تعلقه به (قوله والكلام) صفة أزلية أبدية بها يوجد الأمر والنهي وغيرهما من أقسام الكلام (قوله التعطيل) الذي هو مذهب الجهمية (قوله والتخيل) الذي هو مذهب المشبهة (قوله وغير ذلك) كل وجهه والنفس والعين والاستواء والانيان والحجيء والنزول والغضب والرضى ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله وان كالأندرك كنهه وحقيقته التي هي تأويله ولا تدخل في ذلك متأولين بأرائنا ولا متوهمين بأهوائنا ولكن أصل معناه معلوم لنا

نفوض عنه اليه مع تنزيهه تبارك وتعالى عما يليق به في جهر القول وخافيه وبذلك قال
الامام أبو الحسن الأشعري وغيره من الأئمة الكرام والعلماء الاعلام فذاته لا تشبه الذوات كما ان
صفاته لا تضاهي الصفات ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فصدر الآية يدل على نفي التشبيه وعجزها
على نفي التعطيل ونعتقد ان صفاته سبحانه قديمة أبدية كما ان ذاته أزلية أبدية وتنزهه تبارك وتعالى
عن كل ما يليق به من صفات الاجسام وحوادث الاعيان والاجرام ونوحده بذلك الضر والنفع
والعطاء والمنع وغير ذلك من خواص الالهية التي لا يملكها الا اله عالمين ان لا معبود بحق في الوجود
سواه فهو اله الواحد الملتجى في جميع الامور اليه المتوكل في كل الشؤون عليه فله الاسماء الحسنى
نقتصر منها على ما وردوا اليه الامر كما من القبول والرد يستحيل وصفه

(قوله في جهر القول وخافيه) كما درج على ذلك السلف الصالح (قوله ليس كمثله) اختلف
في الكاف هنا ف قيل زائدة وقيل أصلية ومذهب المحققين الثاني واعترض بانها لو كانت
أصلية لكان تقديره ليس مثل مثله شيء لان الكاف بمعنى مثل فيلزم اثبات مثل الله تعالى وذلك
محال وأجيب بان هذه قضية سالبة وهي تصدق بانتفاء الذات وانتفاء النسبة فان قلنا ليس
زيد في الدار يصدق ذلك بانتفاء زيد أو انتفاء الدار وانتفاء حصوله فيها وفائدته المبالغة في
التنزيه أو تقول ان ذلك من باب السكاية كما ذكره السعد في شرح التلخيص فيكون نفيا
لشيء بنفي لازمه لان نفي اللازم يستلزم نفي المازوم كما يقال ليس لآخي زيد أخ فآخوز يدملزموم
والأخ لازم له لانه لا بد لآخي زيد من أخ هو زيد فكذا نفيت ان يكون مثل الله مثل والمراد
نفي مثله تعالى اذ لو كان له مثل لكان هو مثل مثله اذ التقدير انه موجود (قوله وعجزها على نفي
التعطيل) كما قال الامام أبو حنيفة في الفقه الأكبر لا يشبه شيئا من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه ثم قال
بعد ذلك وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين يعلم لا كما علمنا ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرويتنا انتهى
وقال نعيم بن حجاج من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر
وأقوال السلف في ذلك كثيرة (قوله قديمة) بالزمان ولا محذور في تعدد صفات قدماء وانما
المحذور في تعدد ذوات قدماء (قوله أزلية) أي غير مسبوقه بعدم (قوله أبدية) أي لا يلحقها
عدم (قوله فله الاسماء الحسنى) تأنيث الأحسن أي لأنها دالة على معاني هي أحسن المعاني
(قوله على ما ورد) لأن أسماء الله توقيفية على المذهب المختار أي يتوقف اطلاقها على الاذن فيه
وليس النزاع في أسماء الاعلام الموضوعات في اللغات انما النزاع في الاسماء المأخوذة من الصفات
والأفعال فذهب المعتزلة والكرامية انه اذا دل العقل على اتصافه تعالى بصفة وجودية أو سلبية جاز
ان يطلق عليه اسم يدل على اتصافه به سواء ورد بذلك الاطلاق اذن شرعي أو لم يرد وكذا الحال

بالظلم اذ هو المالك المقسط العدل ولا يجب عليه شيء بل هو المتفضل على خلقه وله الفضل لا تعلل أفعاله
بالاغراض وانما هي حكم ومصالح ولا تجري عليه الاغراض تعالى عن كل شبيه ومعارض عال على
عرشه دان بعلمه من خلقه أحاط علمه بالأمور وأنفذ في خلقه سابق المقدر يعلم خائنة الأعين وما تخفي
الصدور فالخلق عاملون بسابق علمه لا يملكون لأنفسهم من الطاعة نفعا ولا يجنون إلى صرف المعصية
عنها دفعا خلق الخلق بمشيئته من غير حاجة كانت به وخلق جميع أفعاله وأما الأسباب العادية فقد
أجرى الله سبحانه ما قدره في مقارنتها للسبب فلا تنكروا ولا عليها تشكل فهو الخالق لكل فالخلق
لميزالوا يترددون من قدر إلى قدر وأمره سبحانه نافذ فيهم فلا ينجزهم حذر قد خلق للجنة خلقا فهم
بأعمالها بمشيئة الله عاملون وبقدرته وإرادته ينفذون وخلق للنار أهلا فهم عن الهدى محجوبون
وبأعمال أهل النار يعملون والمؤمنون في الإيمان يتفاضلون وبصالح الأعمال متزايدون لا يخرجون

في الأفعال وقال القاضي أبو بكر كل لفظ دال على معنى ثابت لله تعالى جازا طلاقه عليه بلا توقيف اذ لم
يكن اطلاقه وهو المالا يليق بكبريائه (قوله بالظلم) كما قال تعالى ولا يظلم ربك أحدا فهذا النفي
الكامل ثبوت ضده الذي هو العدل وكذلك كل نفي يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب انما هو
الكامل ثبوت ضده (قوله لا تعال أفعاله) وهو مذهب السلف والأشاعر ووافقهم على هذا
جهاينة الحكماء وخالفهم فيه المعتزلة فذهبوا إلى وجوب تعليلها وقالت الفقهاء لا يجب ذلك لكن
أفعاله تابعة لمصالح العباد تفضلا واحسانا لثبات مذهبنا وجهان بطلان المذهبين معا أعني
وجوب التعليل ووقوعه تفضلا أحدهما لو كان فعله تعالى لغرض لكان ناقصا لذاته مستكملا
بتحصيل ذلك الغرض لانه لا يصلح غرضا للفاعل الا ما هو أصلح له من عدمه وهو معنى الكمال فاذا
يكون الفاعل مستكملا بوجوده وناقصا بدونه ثانيهما ان غرض الفعل أمر خارج عنه يحصل
تبعاً للفعل وبتوسطه وهو سبحانه وتعالى فاعل لجميع الأشياء ابتداء فلا يكون شيء من الكائنات
الا فعلا له صادر عنه لا غرضا للفعل آخر له مدخل في وجوده بحيث لا يحصل ذلك الشيء الا به يصلح ان
يكون غرضا لذلك الفعل وليس جعل البعض من أفعاله غرضا لشي من البعض الآخر فجعل بعضها
غرضا من بعض آخر دون عكسه تحكم بحيث فلا يتصور تعليل في أفعاله أصلا والبحث مستوفى في
الكتب الكلامية (قوله خالق) أي أوجد وأنشأ والخلق مصدر وهو هنا بمعنى المخلوق (قوله
الأسباب) جمع سبب وهي أمر يرتبط به الشيء من حيث الذات وجودا وعدمها (قوله للسبب)
فهو خالق الأسباب والمسببات (قوله يعملون الخ) كما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت
توفي صبي من الأنصار فدعى النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنازته فقامت طوبى عصفور من عصفير
الجنة فقال صلى الله عليه وسلم أو غير ذلك يا عائشة ان الله خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلا ولهذه

بالذنوب من الايمان ولا يدخلهم في الكفر كبيرة ولا عصيان ولا تشهد بالجنة الا لمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم المختار ولا نحكم على مسيئهم بالنار والقرآن كلام الله عز وجل فليس بمخاوق وانه سبحانه قريب بالاجابة عند السؤال بعيد بالتعززالا ينال أرسل رساله الى خلقه مبشرين ومنذرين وبمجازاته الباهرة مؤيدين ونبينا صلى الله عليه وسلم أفضل المرسلين وامام المتقين وله الشفاعة العظمى في يوم الدين وكلما أثبت عنه صلى الله عليه وسلم من أحاديث الشفاعة وغيرها وعذاب القبر وسؤال الملكين وأحوال البرزخ وأحوال المعاد والجنة والنار وغير ذلك مما وردت وصحت بها الآثار وجب الايمان به فالخلاق بآجالهم ميتون وبعد الضغطة في القبر مسؤولون وبعد البلاء منشورون ويوم القيامة الى ربهم يحشرون وكما بدأهم له من شقاء وسعادة يومئذ يعودون فاهل الجنة بصنوف اللذات فيها يتنعمون والى ربهم ينظرون لا يمارون في النظر اليه ولا يشكون وأهل الجحيم عن ربهم لمحجوبون وفي النار يسحبون خلا من شاء الله آخر اجهم من الموحدين أهل الايمان فانه سبحانه

أهلا لهمزة فيه للاستفهام على سبيل الانكار والواو فيه للحال يعني أعتقدى ما قلت والحق غير الجزم به يعني لا تجزمى يا عائشة انه من أهل الجنة فان الله تعالى خلق الجنة والنار وخلق لكل منهما أهلا في الأزل (قوله ولا تشهد بالجنة) لجواز أن لا يحتتم للشهود له بخير وان كان رجوما من فضل الله جاء قويا لكل من أهل الايمان الجنة وقوله الا لمن شهد له النبي أى لا تشهد بالجنة ولا بنار الا لمن علم بالنص لاننا لم نعلم حقيقة باطنه ومآلات عليه والسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال أحدها انه لا يشهد لأحد الا لآل نبياء وهذا القول ينقل عن محمد بن الحنفية والأوزاعي الثاني انه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه النص وهذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث وهو الذي ذكره المصنف وهو المختار الثالث ان يشهد لمن جاء فيه النص ولمن شهد له المؤمنون مستدلين بما في الصحيحين انه من مجازة فائتوا عليه بخير فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت ومرت أخرى فائتني عليه بشرف فقال وجبت وفي رواية كرروا جبت ثلاث مرات فقال عمر يا رسول الله ما وجبت فقال هذا أثبتتم عليه خيرا وجبت له الجنة وهذا أثبتتم عليه شرا وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض (قوله ولا نحكم على مسيئهم بالنار) أى لا يخلد كما هو شأن الكفرة لكن نرجو للحسن ونخاف على المسيء (قوله بآجالهم) أى لا يموت أحدا الا بأجله وهو الوقت الذي كتب الله في الأزل انتهاء حياته فيه بقتل أو غيره خلافا لكثير من المعتزلة في المقتول (قوله ينظرون) رؤية الله تعالى بالأبصار جائزة في العقل لانه تعالى موجود وكل موجود فرؤيته جائزة عقلا وواجبة بالنقل لاخبار الكتاب والسنة بحصولها في الدار الآخرة قال الله تعالى وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة وقال النبي صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم عيانا الحديث قال بعض العلماء فيمن قال ان غير النبي رأى الله في الدنيا

كما ورد فيهم ما يخرجهم من النيران ونمساك عن تكفير أهل القبلة ما لم يبتدعوا فمن فعل من ذلك منهم ما يوجب كفرا كان عن سبيل المؤمنين خارجا وفي سبيل الغواية ناهجا وأفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق فعمرو الفاروق فعثمان ذو النورين فعلى بن أبي طالب ثم باقي العشرة الذين أوجب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة ويخص الباكون بالفضل والتفضيل على حسب ما نالهم من مقامهم الجليل ويقال بفضلتهم ويذكرون بمحاسن أفعالهم ونمساك عن الخوض فيما شجر بينهم فهم خيار أهل الأرض ارتضاهم سبحانه لنبيه وجعلهم أنصار دينه فمن أئمة المسلمين وحجاة الدين وأما كرامات الأولياء وهي خوارق يجر بها الله على أيديهم ليكرمهم بها

بالرؤية البصرية قد اجترأ على الله واثقه زنديق يقتل وتوقف فيه غيره (قوله ونمساك عن تكفير الخ) وهو ما عليه السلف وجهور المتكلمين والفقهاء (قوله وفي سبيل) طريق وقوله ناهجا سالكا (قوله الصديق) بكسر أوليه المهملتين بعد هما تحتية لقب به لمبادرته لتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله الفاروق) سمي به لفرقان ظهور الإيمان بعد اسلامه بعد أن كانوا من قبل في غاية الاخفاء له خوفا من الكفرة وقيل لقب به لانه فرق بين الكافر والمؤمن في قتله للمنافق الذي لم يرض بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تأييده قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية (قوله ذو النورين) لقب به لتزوجه بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقع ذلك لغيره منذ وجد (قوله العشرة) المبشرة بالجنة المجموعة في قول بعضهم

أبو بكر وسعد مع سعيد * وعثمان علي والزبير

وطيحة وابن عوف مع أمين * وفاروق لهم في الخلد خير

(قوله ونمساك عن الخوض الخ) ولان ذكر أحد منهم لا بخير وأما ما صدر من بعضهم مع بعض مما هو شرف في الصورة فانه إما كان عن اجتهاد أو لم يكن على وجه فساد من اصرار وعناد بل كان رجوعهم عنه الى غيره مع ابتناء على حسن الظن بهم ولقوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ولقوله اذا ذكر أصحابي فامسكوا ولما اذهب جمهور العلماء الى ان الصحابة كلهم عدول قبل فتنة عثمان وعلي وكذا بعد لقوله صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم رواه الدارمي وابن عدي وغيرهما وقال ابن دقيق العيد في عقيدته وما نقل فيما شجر بينهم واختلفوا عنه ما هو باطل وكذب فلا يلتفت اليه وما كان صحيحا أولنا تأويلا حسنا فان الثناء عليهم من الله سابق وما نقل من اللادحق يحتمل التأويل والمشكوك والموهوم لا يبطل المحقق والمعلوم هذا وقال الشافعي تلك دماء طهر الله أيدينا عنهم فانلوث ألسنتنا بها وسئل أحمد بن حنبل عن أمر علي وعائشة فقال تلك أمة

فهى ثابتة وتكون من معجزات أنبيائهم وقد ينعم الله على بعض أحيائه والصالحين من عباده في
برازهم بأنواع التنعيم ويكرمهم كما ثبتت الرواية بما يتفضل به عليهم من مناي التكرم والنعيم
المقيم هذا ما انجز اليه الكلام والتبيين من تحرير خلاصة ما عليه أهل الدين من القول الفصل في
التقليد في الأصول الكلامية والعقائد الإسلامية وأما التقليد في الفروع الفقهية فلا يجوز الآن
الاتقليد الأئمة الأربعة لأنضباط قواعدها يضبط المقلدين ومعرفة أقوالهم المروية عنهم بصحيح نقل
الراوين ومع ذلك فقد بذل مقاديرهم الوسع في دراية استدلالهم وتقدير أقوالهم فوصلت اليها والحمد
لله سليمة من التغيير والتحريف بنقل الأئمة الثقات والرواة الأثبات وقد صنفت فيها التصانيف
وألفت التأليف وأما غير مذاهبهم من مذاهب الصحابة والتابعين وباقي المجتهدين فقد اندرست
بأندراس نقلتها وماتت بموت حلتها فلا يتأتى فيها التقليد وإنى للقلوب التناوش من مكان بعيد ثم إن
ماصح من أقوالهم لا يجوز تقليده أيضا لعدم أمن المقادير من أن تكون مشروطة بشرط لا خبرة له فيه.

قد خلت لها ما كسبت واسم ما كسبت ولا تسألون عما كانوا يعملون (قوله ثابتة) أى جائزة
وواقعة أما جوازها فهو أن وجود الممكات مستند إلى قدرته الشاملة لجميعها فلا يمتنع شئ منها على
قدرته ولا يجب غرض في أفعاله ولا شك أن الكرامة أمر ممكن إذ ليس يلزم من فرض وقوعها محال
لذاته وأما وقوعها فمقتضة مريم حيث حبس بلاذكر ووجد الرزق عندها بلا سبب وتساقط عليها
الربط من النخلة اليابسة وجعل هذه الأمور معجزات لذكرا وأروها صالحي عيسى مما لا يقدم عليه
منصف وقصة آصف وهى احضاره عرش بلقيس في طرفة عين ولم يكن ذلك معجزة لسلطان إذ لم يظهر
على يده مقارن الدعوى (قوله الفقهية) المنسوبة إلى الفقه وهو العلم بالأحكام الشرعية العملية
المكتسبة من أدلتها التفصيلية (قوله وألفت التأليف) فعران يوجد حكم الا وهو منصوص
عليه اجالا أو تفصيلا (قوله المجتهدين) جمع مجتهد وهو البالغ العاقل ذو ملكة يدرك بها العلوم
فقيه النفس وإن أنكر القياس العارف بالدليل الثقلي والتكليف به ذو الدرجة الوسطى لغسة
وعربية وأصولا وبلاغة ومتعلق الأحكام من كتاب وسنة وإن لم يحفظ المتن وقال السبكي هو من له
من هذه العلوم ملكة وأحاط بعظم قواعد الشرع وما رسها بحيث اكتسب قوة يفهم بها مقصود
الشارع ويعتبر لا يقاع الاجتهاد لا لكونه صفة فيه كونه خيرا بمواقع الاجماع كي لا يخرقه والناسخ
والمنسوخ وأسباب النزول وشرط المتواتر والآحاد والصحيح والضعيف وحال الرواة ولا يشترط علم
الكلام ولا تفاريع الفقه ولا الذكور بة والحرية وكذا العدلة على الأصح وليبحث عن المعارض
وعن اللفظ هل معه قرينة (قوله بموت حلتها) فلا تعرف لها قواعد تتخرج عليها أحكامها (قوله
وأنى) من أين (قوله التناوش) التناول

أو مقرونة بما منع يمنع عند المجتهد فيلحقه لكن بقي ههنا شيء ذكره بعض الأفاضل مما ينبغي التفطن له وهو أن المسئلة الفقهية إذا نقلت ينبغي أن ينظر فيها فإن كان مأخذها مشهورا معلوما من الكتاب والسنة والاجماع فلا نزاع فيها لا حدة وإن لم يكن مأخذها كذلك بل كانت اجتهادية فإن كان ناقلها مجتهدا لم يتركه اتباعه ولا يلزم المقلد أن يطلب منه دليلا لأن كلام المجتهد دليل له وإن لم يكن ناقلها مجتهدا بل كان مقلدا فإن نقلها ذلك المقلد عن المجتهد وأثبت نقله عنه أو كان ثبتا ثقة صدوقا لم يلزم اتباعه أيضا وإن لم ينقلها عن المجتهد بل جاء بها من قبل نفسه أو مقلدا آخر أو أطلق فإن بين فيها دليلا شرعيا فلا كلام فيها حينئذ وإن لم يبين ينظر فإن كان كلامه موافقا للأصول والكتب المعتبرة ولم يكن فيها خلاف جاز العمل بها لكن ينبغي للعامل بها أن لا يقف في مقام تقليده بل يطلب منه دليلا على ما نقل وإن كان كلامه مخالفا للأصول والكتب المعتبرة فلا يلتفت إليه أصلا فقد صرح العامة بأن ما لا يعلم صحته لا يصح اتباعه فضلا عما علم بطلانه والله سبحانه أعلم

﴿الباب الثالث في بيان الإيمان والاسلام وتلخيص ما اختاره الفحول من بيان حقيقة الدين﴾
اعلم أن الإيمان لغة مطلق التصديق وقد يضمن معنى الاعتراف والقرار في عدى بالباء كما يقال آمن بالله ومعنى الاذعان في عدى باللام ومنه فآمن له لو طوشر عا تصديق خاص لما علم بالضرورة أنه من الدين فالوحدان كفي الإيمان به أجمالا ومالو حفظ تفصيلا اشتراط الإيمان به كذلك والمراد بالتصديق الاذعان لحكم الخبر وقبوله وجعله صادقا

(قوله فيلحقه) اذ مع بعد الزمن وعدم التدوين لا يوثق بالمذهب كما أفاده الجلال المحلى في شرح جمع الجوامع لاحتمال تطرق الاختلال إلى شروطه ومعتبراته بنسيان أو سهو ونقلته ورواته (قوله الإيمان) أفعال من الأمن للصيرورة أو التعدية بحسب الأصل كان المصدق صار ذا أمن من أن يكون مكذبا أو جعله الغير آمنا من التكذيب والمخالفة (قوله مطلق التصديق) قال الله تعالى حكاية عن اخوة يوسف وما أنت بمؤمن لنا أى مصدق فيما حدثناك به (قوله يضمن) التضمنين اشتراب اللفظ معنى آخر وفائدته أن تؤدى كلمة مكان كلمتين (قوله معنى الاعتراف الخ) فالإيمان بالله الاعتراف بوجوده وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث أن الوثاق به صار ذا أمن (قوله ومعنى) أى وقد يضمن معنى الخ (قوله ومنه فآمن الخ) وقوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين (قوله من الدين) كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء (قوله أجمالا) كالألئكة والكتب والرسول (قوله تفصيلا) كجبريل وموسى والانجيل (قوله كذلك) وعليه الأشاعرة ووافقهم على ذلك الصالحى وابن الراوندى من المعتزلة (قوله الاذعان) أى الانقياد وعدم العصيان (قوله لحكم الخبر الخ) والتكليف بذلك وإن كان من الكيفيات

بعد العلم بصدقه لا مجرد العلم فقط فإنه لا يكفي لأن كثيراً من اليهود وغيرهم من الكفرة كانوا يعرفون صدقه ولم يكونوا مؤمنين بذلك كما أخبر الله سبحانه عنهم بقوله عز من قائل الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعامون فالإيمان على التحقيق وهو ما عليه جماهير المحدثين والفحول من أساطين الدين مغاير للمعرفة وإن نشأ عنها إذ هو على ما قررت نسبة الصدق بالقاب أو اللسان إلى القائل وهو فعل وهي ليست بفعل بل من قبيل الكيف فهو إذاً غير منقول عن معناه اللغوي الذي هو التصديق إلا أنه اعتبر فيه شرطان أحدهما المعرفة التي هي منشؤه ومصدره والآخر الانقياد والاستسلام لذي هو محققه ومظهره واعتبارهما شرطاً لئلا جراء أحكامه الشرعية أولى من اعتبارهما في مفهومه الشرعي شطرين إذ يلزم الثاني النقل عن المعنى اللغوي وهو لا يصار إليه بلا دليل بل الدليل على خلافه حيث كثر طلبه من العرب ولم يسمع استفسار أحد منهم عنه وما وقع في الاستفسار عنه في الأحاديث كحديث سؤال جبريل النبي أخرجه الشيخان وغيره قائماً هو عن متعلقاته ودليل ذلك ما وقع عليه الجواب مطابقاً لما انضم إليه الخطاب ثم اعلم أن هذا التصديق الناشئ عن المعرفة والاستسلام لا يشترط أن يكون عن دليل موجب للعلم يقتضاه بل لو حصل قهراً كفي على الأصح إذ المقصود من الدليل البسوغ به إلى المطالب والتوصل إلى المقصود فإذا حصل تم المطلب وأفاد المأرب وهذا الذي ذكرناه من بيان حقيقة الإيمان المنفرد بالسواك في سبيل المؤمنين يوم القيامة عند رب

النفسانية دون الأفعال الاختيارية بالتكليف بأسبابه كالقاء الذهن أو صرف الذهن وتوجيه الحواس ورفع الموانع (قوله العلم) أي المعرفة كما ذهب إليه الجهم بن صفوان (قوله آتيناهم) يعني علماءهم (قوله يعرفونه) انضمير للرسول (قوله أبناءهم) أي يعرفونه بأوصافه كعرفتهم أبناءهم لا يتبسون عليهم بغيرهم وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني لم أشك في محمد أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته خانت (قوله والكيف) هو ما لا يقبل القسمة لذاته وإن قبلها بواسطة قسمة موضوعه ولا يتوقف تصويره على تصور غيره (قوله فهو) أي الإيمان (قوله شرطان) الشرط ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته (قوله واعتبارهما) أي المعرفة والاستسلام وقوله وهو أي خلاف الأصل (قوله كثر) في الكتاب والسنة (قوله كفي) وظاهر كلام شرح المقاصد أنه لا يكفي بذلك العلم القهري بل لابد من تخصيصه بعد بطريق الاستدلال ورد بان حصول الاستسلام الباطن بعد حصول العلم القهري حصول المقصود مغن عن استحصاله بتعاطي أسبابه فالوجه الاكتفاء بحصول القهري المنضم إليه الاستسلام والتكليف بتعاطي الأسباب إنما هو لمن لم يحصل له

العالمين هو الذي عليه أغلب المتكلمين فعندهم لو أتى بهذا التصديق على الوجه الذي قررته وبالطريق الذي حررته ولم يأت بالشهادتين فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى لكنه عاص داخل في عداد العصاة على أنه لو طلبت منه فلم يأت بها فهو من الكافرين وأما بالنسبة للأحكام الدنيوية وأجرائها عليه فلا بد له من النطق بها فإن الشارع قد جعل الأحكام الشرعية دائرة عليهم مما منوط به ما وأجابوا عن أحاديث حتى يشهدوا وحتى يقولوا بأنه لا يدل على خصوصية ركن القول بل يحتمل الركنية ويحتمل الشرطية لأجاء أحكام الإسلام ويرجع الثاني أنه رتب على القول فيه الكف عن الدم والمال دون النجاة في الآخرة التي هي محل النزاع وكثير من المتكلمين والفقهاء بل نقل الامام النووي في شرحه لمسلم الاتفاق عليه أنه شرط للنجاة أيضا إلا أنه يحتمل السقوط لعارض خرس ونحوه وأما التصديق بالمعنى السابق فلا يحتمل السقوط ومذهب الخوارج يشترط انضمام اقرار اللسان وعمل سائر الجوارح اليه فها ركان منضمين الى التصديق عندهم فمن أدخل بواحد من هذه الثلاثة فهو كافر ومذهب الكرامية

ذلك العلم القهري (قوله لكنه عاص) بل لكل من الأئمة الأربعة قول أنه مؤمن عاص بترك التلفظ وبه يعترض دعوى الامام النووي في شرح مسلم اتفاق أهل السنة والمحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن من آمن بقلبه ولم ينطق بلسانه مع قدرته كان مخالفا في النار (قوله فلا بد من النطق بهما) وهو أصح الروايتين عن الأشعري وعليه المأثر يدي (قوله منوط بهما) والخصال أن الإيمان على طريقة المتكلمين له حيثيتان النجاة في الآخرة وشرطها التصديق فقط وأجاء أحكام الدنيا ومنطها النطق بالشهادتين مع عدم السجود لغير الله ورمى المصحف بقاذورة وغير ذلك من الصور التي حكم الفقهاء بأنها كفر فالنطق غير داخل في حقيقة الإيمان وإنما هو شرط لأجاء الأحكام الدنيوية (قوله وأجابوا) أي المتكلمون (قوله عن أحاديث) كقوله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله الحديث (قوله وحتى يقولوا) كما في رواية (قوله ويرجع الثاني) أي احتمال الشرطية (قوله أنه) صلى الله عليه وسلم (قوله عن الدم والمال) حيث قال صلى الله عليه وسلم فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم (قوله دون النجاة في الآخرة) حيث قال وحسابهم على الله (قوله أنه شرط الخ) ومن جعله شرط لم يرد أنه ركن حقيقي واللام يسقط عند العجز والاكراه بل أنه دال على الحقيقة التي هي التصديق إذ لا يمكن الاطلاع عليها (قوله ركان) الركن هو ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم (قوله الكرامية) أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام قين هو بكسر الكاف وتخفيف الراء كما ذكره في شرح المواقف وهو الصحيح وإن كان المشهور تشديد الراء كما ذكره السبكي

هو التلطف بالشهادتين ثم ان طابقه تصديق القلب فهو ناج والا فهو مخلد في النار وفي الحقيقة ليس لهم كبير خلاف لاننا طابقهم في آخر ما أوردوه وفصاوه وعند المعتزلة هما أيضا ركان معتبران كما نقوله الخوارج الا ان الخوارج أَدْخَاوْا من أخل بالأعمال في عدد الكفار ولم تدخله المعتزلة بل حكموا عليه بالمنزلة بين المنزلتين فليس هو بمؤمن ولا كافر ومع ذلك فهو مخلد في النار بينهما فرق آخر من حيث الذنوب فعند المعتزلة هذا الحكم في الكفار وعند الخوارج في الجميع اذ لا صغيرة عندهم وعند جميع الحديثيين وهو مذهب الامام مالك والشافعي وأحمد وغيرهم وهو المروي عن التابعين يشترط انضمام عمل سائر الجوارح لاعلى وجه الركنية بل على وجه التكميل فنأخل بأعماله فلا ينزع منه أصل الايمان الموجب للخداود في النيران بل ينزع منه كماله الموجب للموالاتة من المسلمين والثناء عليه من رب العالمين فحكمه الاثبات مع النفي والنفي مع الاثبات وبذلك سماه الحسن البصري منافقا لما عمل بخلاف ما كان يقتضيه تصديقه المتين المنبئ عن ضعف اليقين الذي هو من سمات المنافقين والدليل الواضح على تخلخل اليقين الذي هو من أوضح الشعب للدين وقد عقد البخاري أبوابه في كتاب الايمان من صحيحه على ذلك وعقد بالنقل أقوال السلف انه قول وعمل يزيد وينقص فهنا شيان أحدهما كونه قولاً وعملاً والثاني كونه يزيد وينقص والمراد بالقول ما هو أعم من النطق بالشهادتين والقول القلبي وما العمل فالمراد به أيضاً ما هو أعم من عمل القلب والجوارح ليدخل الاعتقاد والعبادات وأرادوا بذلك ان الأعمال

(قوله التلطف بالشهادتين فقط) فالمنافقون عندهم مؤمنون كما هو الايمان لكن يقولون انهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به وقولهم ظاهر الفساد وذهب الجهم بن صفوان الى ان الايمان هو المعرفة بالقلب وهذا القول أظهر فساداً مما قبله فان لازمه ان فرعون وقومه كانوا مؤمنين فانهم عرفوا صدق موسى وهرون ولم يؤمنوا بهما كما قال تعالى وحججواهم واستيقنتها أنفسهم وكذلك أهل الكتاب فانهم كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم بل ابليس يكون عند الجهم مؤمناً كامل الايمان فانه عارف ربه (قوله التابعين) جمع تابعي وهو صاحب الصحابي (قوله على وجه التكميل) فهو عندهم تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالأركان فهذا هو مذهب السلف (قوله فنأخل) بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالأقرار فكافر كما تقدم ومن أخل بأعماله الخ (قوله بل ينزع منه كماله الخ) فهو فاسق وفاقد كافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة (قوله الاثبات) أي اثبات الايمان مع نفي كمال الايمان (قوله سمات) علامات (قوله كونه) أي الايمان (قوله والمراد بالقول) ليس هو اللفظ فقط بل ما هو أعم الخ (قوله أيضاً) كالقول

أشترط في كماله وهذا الذي شرحناه وعلى جميع الفرق فصلناه إنما هو بالنظر إلى ما عند الله وأما بالنظر إلى ما عندنا فالإيمان هو الإقرار فقط فنأقر أجريت عليه الأحكام في الدنيا ولم يحكم عليه بكفر إلا أن يصدر منه ما يدل على كفره إما بقوله أو بأفعاله أو بسوء اعتقاده على ما هو مفصل في أبواب الردة من كتب الفقه وغيرها فنأرتكب معصية فليس بكافر بالنظر إلى إقراره ومن أطلق عليه الكفر فبالنظر إلى أفعاله وكذلك من نفي عنه الإيمان فبالنظر إلى الواجب من كماله كما أن من نفي الكفر فبالنظر إلى حقيقة حاله وقد نقل هذا القول عن السلف عبد الرزاق في مصنفه عن سفيان الثوري ومالك بن أنس والأوزاعي وابن جريج ومعمرو وغيرهم وهؤلاء فقهاء الأمصار في عصرهم وكذا نقله أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة عن الإمام الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم ونقل البخاري قال لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فأريت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وأطنب ابن أبي حاتم في نقل ذلك بالأسانيد عن كثير من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وقد انتهت مجمل ما قررته في كونه قولا وعملا وما كونه يزيد وينقص فالقائلون بذلك يقولون بأن مجرد التصديق من غير نظر لا ينضمم العمل المأخوذ في مفهومه قابل لها وقد حملهم على ذلك الآيات والأحاديث الواردة في قبوله الزيادة والنقصان مما ذكره البخاري في صحيحه وغيره من المحدثين والعلماء السالفين قالوا لا مانع عقلا من قبوله لها إذا ليقين الأخص من التصديق متفاوت ضعفا وقوة فيهما وأيضا فكل أحد يقطع بأن تصديقا ليس كتصديق أبي بكر الصديق رضي الله عنه

(قوله ونقل البخاري الخ) كما قال ذلك عنه ابن وضاح ومكي بن خلف (قوله الآيات) كقوله الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقوله تعالى يزدادوا إيمانا مع إيمانهم وقوله تعالى وإذا نلت عليهم آياته زادتهم إيمانا وقوله تعالى ويزداد الذين آمنوا إيمانا إلى غير ذلك من الآيات (قوله والأحاديث الخ) منها قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وكقوله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان فإنه جعل الإنكار بالقلب وحده أضعف من الإنكار باللسان أو اليد وكذلك حكم صلى الله عليه وسلم بنقصان دين النساء وعلى ذلك بقوله تمسكت أحدهن شطر دهرها لا تصلي إلى غير ذلك من الأخبار (قوله فيهما) ألا ترى إلى ما بين أجلي البديهيات ككون الواحد نصف الاثنين وأخفى النظريات القطعية ككون العالم حادثا (قوله ليس كتصديق أبي بكر) فإن التصديق

والممانعون لهم ممنوعوهما بالنسبة لذات التصديق دون آثاره الخارجة عنه ثم قالوا وتفاوت اليقين ليس تفاوتاً في الشدة والضعف بل في التقدم والتأخر أو ظهوراً وكشافاً أو غير ذلك من تضافر الأدلة فيزيد بذلك في القلب اشراقه إلى غير ذلك ورام بعض المتكلمين التوفيق فقال الصحيح ان نفس التصديق لا يقبلها وانما يقبلها الايمان الشرعي بزيادة ثمراته من الاعمال ونقصها والذي عليه المحققون وذكره الكثير من شراح الحديث وغيرهم ان نفس التصديق يزيد بزيادة النظر وتظاهر الأدلة وينقص كذلك ولا يشك عاقل في ان ايمان آحاد فساد المؤمنين ليس كإيمان جبريل ومن ثم قال الامام البخاري عن ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين صحابياً كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول انه على ايمان جبرائيل وميكائيل وفي الباب مسائل كثيرة

من الخفيات النفسانية المتفاوتة قوة وضعفاً (قوله والممانعون الخ) وهم أبو حنيفة وأتباعه واختاره من الاشاعرة امام الحرمين (قوله بعض المتكلمين) بل كثير منهم ومعهم الامام الرازي (قوله لا يقبلها) لان الواجب هو اليقين وانه لا يقبل التفاوت لا بحسب ذاته لان التفاوت انما هو لا احتمال النقيض واحتماله ولو با بعد وجه ينافي اليقين فلا يجامعه ولا يحسب متعلقه لانه جميع ما علم بالضرورة محيى الرسول به والجميع من حيث هو جميع لا يتصور فيه تعدد والالهيكن جميعاً ورد بأن قوهم الواجب هو اليقين والتفاوت لا يكون الا احتمال النقيض ممنوع لم لا يجوز ان يكون التفاوت بالقوة والضعف بلا احتمال النقيض ثم ذلك الذي ذكره يقتضي ان ايمان النبي وآحاد الأمة سواء وهو باطل اجماعاً وقوهم لانه جميع ما علم الخ مردوداً أيضاً بأن التصديق التفصيلي في افراد ما علم بحجته به جزء من الايمان يشاب عليه ثوابه على تصديقه بالاجمال يعني ان افراد ما جاء به متعددة ودخلة في التصديق الاجمالي فاذا علم واحد امة بالخصوصه وصدق به كان هذا تصديقاً مغايراً لذلك التصديق المجمل وجزأ من الايمان ولا شك ان التصديقات التفصيلية تقبل الزيادة فكذلك الايمان (قوله بزيادة ثمراته من الأعمال ونقصها) أي جعل الخلاف لفظياً فرع تفسير الايمان فان فسر الايمان بالتصديق فلا يقبلها وقد استرده وان فسر بالأعمال وحدها أو مع التصديق فيقبلها وما هو ظاهر (قوله المحققون) جمع محقق من التحقيق وهو اثبات المسائل بالدلائل ويطلق على العلم بالاشياء على ما هي عليه وعلى بيان حقيقة الشيء على الوجه الحق (قوله وغيرهم) من المتكلمين وغيرهم (قوله على ايمان جبريل وميكائيل) والآثار في ذلك عن الصحابة والتابعين كثيرة كقول عمر رضي الله عنه لو وزن ايمان أبي بكر بايمان أهل الأرض لرجح بهم وكان يقول تعالى اننا نزيد ايماناً وعن علي رضي الله عنه انه قال الايمان يبذل ولطمة في القلب كلما زداد الايمان ازدادت اللطمة قال الجوهري اللطمة بالضم كالنكتة من البياض وعنه انه قال الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا ايمان

بما نحن فيه ومما وقع عليه الخلاف كالقول المختار من كون الايمان محالاً لكونه فعل العبد
وفعله مخلوق ومن جواز تعاقبه بالمشيئة على وجه التبرك والجهل بالخاتمة ومن بقاء حكمه
الشرعي مع النوم والانغماء والغفلة والجنون نظير بقاء النكاح وغيره من سائر العقود في هذه
الاحوال لا تتحمله مثل هذه المجالة ولكون مسائل الايمان والكفر والنفاق من المسائل
الحقيقية بالاهتمام لان الله سبحانه علق عليها السعادة والشقاوة والاختلاف الواقع في مسمياتها اول
اختلاف وقع في هذه الامة بين الصحابة والخوارج ثم حدث خلاف المعتزلة ثم خلاف المرجئة

لمن لا صبر له وعن حذيفة رضي الله عنه يخرج من النار من كان في قلبه وزن ذرة صغيرة من الايمان
ومن كان في قلبه وزن حبة خردل من ايمان الى غير ذلك (قوله بما نحن فيه) من الدلالة على
زيادة الايمان ونقصانه منها ان الطفل المحكوم بايمانه تبعاً لأصوله اذا بلغ عاقلاً فحدث
اعتقاده وقراراً كانا منه ايماناً زائداً على ايمانه الأول وكذلك الآخر اذا اعتقد ثم زال خرسه فافقر
وكذلك من آمن بالله ورسوله ثم لم يعلم وجوب الصلاة عليه قبلها كان ذلك ايماناً منه فاذا علم الزكاة
وقبلها فكذا ذلك وهكذا سائر شعب الايمان فإزان يكون للايمان امدادات اذا تلاحقت زاد الايمان
(قوله وفعله مخلوق) اذا الايمان التصديق بالجنان أو مع الافرار باللسان وكل منهما فعل العبد وهو
مخلوق لله تعالى كما حققناه (قوله والجهل بالخاتمة) واليه ذهب كثير من السلف وهو المحكي عن
الشافعية والمالكية والحنابلة والأشاعرة ومنعه بعضهم وعليه أبو حنيفة وأصحابه قالوا وإنما يقول أنا
مؤمن حقاً وفي شرح مسلم عن بعض المتكلمين لا يقول أنا مؤمن ويقتصر عليه بل يضم اليه ان شاء
الله وعن الاوزاعي وغيره التخيير وهو حسن صحيح اذ من أطاق نظر الى انه جازم في الحال ومن قال
ان شاء الله فاما التبرك أو للجهل بالخاتمة والكافر في التقييد بان شاء الله كما لم ينهي ملخصاً وليس
الخلاف فيما يأتي بان شاء الله شاك في ثبوت الايمان له حالاً لانه كافر بل فيما هو جازم به حالاً غير
ان بقاءه الى الموت عليه غير معلوم (قوله مع النوم الخ) فهو باق حكماً وشرعاً (قوله والخوارج)
وهم سبع فرق المحكمة وهم الذين خرجوا على علي عند التحكيم واليهسية وهم أصحاب بيهس
ابن ابيصم بن جابر والازارقة أصحاب نافع بن الازرق والنجيدات أصحاب نجدة بن عامر النخعي
والصفورية أصحاب زياد بن الاصفر والاباضية أصحاب عبد الله بن اباض والمجاردة أصحاب عبد
الرحمن بن عجرد وبيان عقائدهم وافتراق فرقهم مذكور في الكتب الكلامية (قوله المعتزلة)
أصحاب واصل بن عطاء سمي هو وأصحابه معتزلة لما روي انه دخل على الحسن فقال يا امام الدين ظهر في
زماننا جماعة يكفرون صاحب الكبيرة يعني الخوارج وجماعة آخرون يرجئون أهل الكبائر ويقولون
لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة فكيف تحكم لنا ان نعتقد في ذلك فتفكر الحسن

القائلين بأنه لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة وسموا بذلك لأرجائهم الأمر كان
المتعين على كل أحد الاعتناء بتلك المسائل والنظر بعين الفكر إلى تلك المطالب والوسائل وهذا
ما انتهى إليه الكلام على وجه الاختصار في تحقيق حقيقة الإيمان وأما الكلام في الإسلام
فالإسلام لغة الطاعة والالتزام وشرعا الالتزام والاستسلام إلى الأعمال الظاهرة وبهذا المعنى الشرعي
الموافق للمعنى اللغوي يتوافق مع الإيمان فهما على هذا المعنى متلازمان وقد يطلق بمعنى آخر شرعي
فقط على الأعمال الظاهرة فله حقيقة معنيان شرعيان باعتبار تعلقه بهما لأنه يتعلق بالمعنى الأول
باعتبار المبدأ والمنشأ وبالمعنى الثاني باعتبار التحقق والمظهر وقد أطلق بعضهم اسم المرادف على
الإيمان

وقبل أن يجيب قال واصل أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا ثم قام إلى
اسطوانة من اسطوانات المسجد وأخذ يقرر على جماعة من أصحاب الحسن ما أجاب به من أن
مركب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ويثبت له المنزلة بين المنزلتين فقال الحسن قد اعترل عنا
واصل فلذلك سمى هو وأصحابه معتزلة قلت فعلى هذه الرواية يقتضى أن خلاف المرجئة حدث
قبل خلاف المعتزلة ويلقبون بالقدرية لاسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها وهم
عشرون فرقة يكفر بعضهم بعضا الواسلية أصحاب واصل بن عطاء والعمرية أصحاب عمرو بن عبيد
والهادية أصحاب أبي الهذيل العلاف والنظامية أصحاب النظام والاسكافية أصحاب أبي جعفر الاسكاف
والجعفرية أصحاب جعفر بن جعفر بن مبشر بن حرب والمزدارية أصحاب عيسى المزدار والشمامية
أصحاب هشام بن عمر القرظي والصالحية أصحاب الصالحى والحناطية أصحاب أجهس بن حائط
والحدبية أصحاب فضل الحديبي والمعمرية أصحاب معمر بن عباد السلمي والشمامية أصحاب ثمامة
ابن أشرس والحياطية أصحاب الحسين الحياط والحناطية أصحاب عمرو بن بحر الجاحظ والكعبية
أصحاب أبي القاسم السكعي والجبائية أصحاب أبي علي الجبائي والاسدارية أصحاب الاسداري
والبشرية أصحاب بشر بن المعتمر والبشمية لأنفراد أبي هاشم عن أبيه وبيان معتقداتهم مذكور
في الكتب الكلامية (قوله لأرجائهم الأمر) أى تأخيرها لأنهم يؤخرون العمل عن النية وعن
الاعتقاد من أرجاء أى آخره ومنه أرجاء وأخاه أى أمهله وأخره وفرقهم خمس اليونسية أصحاب
يونس النخري والعبيدية أصحاب عبيد المكذب والغسانية أصحاب غسان الكوفي والثوبانية
أصحاب ثوبان المريجي والتومنية أصحاب أبي معاذ التومني وبيان عقائدهم مذكور في الكتب
الكلامية (قوله متلازمان) يتنع انفسكأ أحد هما عن الآخر (قوله فله) أى الإسلام
(قوله والمنشأ) اذهونا عن ذلك (قوله والمظهر) اذ لا يتحقق ولا يظهر الا بهما

والاسلام والأظهر الذي قاله بعض المحققين واستصوب به الجهم الغفير من الاساطين انهم امتلأوا
 المفهوم فلا يعتبر في الخارج إيمان بلا اسلام ولا عكسه اذ لا ينفك أحد هما عن الآخر ودليل ذلك
 قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام ديناً فان الاسلام يتناول العمل والاعتقاد معا لان العامل الغير
 المعتقد ليس بذي دين مرضي ولا تصح أعماله بدون صحة الاعتقاد وقال تعالى ومن يتبع غير
 الاسلام ديناً فلن يقبل منه ولا يكون دين الاسلام مقبولا الا بانضمام التصديق اليه وبما فصلت
 استدلال الامام المزني وأبو الحسين البغوي على تالزمها فلا يكون المسلم مساهما اسلاما مقبولا الا اذا
 كان مؤمنا وكذلك لا يكون المؤمن مؤمنا مقبولا حتى يكون مساهما وقد ينفك الاسلام عن الايمان
 اذا أريد به الأعمال الظاهرة كما بسطنا في تحرير المعنيين وصحة الاطلاقين اذا علمت ذلك وتبينته
 هان عليك تقرير الأحاديث التي وردت في بيان الايمان والاسلام في حديث سؤال جبريل النبي
 صلى الله عليه وسلم الذي رواه الشيخان فاجابه عن الايمان بمتعلقاته من الايمان بالله وملائكته
 وكتبه ورسله واليوم الآخر

(قوله والاسلام) وجعوا معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ان الاسلام شهادة أن لا اله الا الله واقام الصلاة الحديث أي ان شعائر الاسلام والاصل عدم التقدير مع انهم قالوا ان الايمان هو التصديق بالقلب ثم قالوا الاسلام والايمان شئ واحد فيكون الاسلام هو التصديق وهذا الميقلة أحد من أهل اللغة وانما هو الطاعة والانقياد (قوله انهما) أي الايمان والاسلام (قوله مساهما) اذ لا بد للمؤمن من اسلام به يتحقق ايمانه ولا بد للمسلم من ايمان به يصلح اسلامه (قوله هان) سهل وخف (قوله بالله) أي بأنه تعالى واحمد في ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له في الربوبية ولا في الألوهية وهي استحقاق العبادة الى غير ذلك مما سيأتي ومما مر (قوله وملائكته) جمع ملائكة على غير قياس أوجع ملائكة على مفعول اذهو من الالوكة وهي الرسالة ثم خفف بنقل الحركة والحذف فصار ملائكة وقيل فيه غير ذلك والتاء لتأنيث الجمع وقيل للمبالغة غلبت في الاجسام النورية المبرأة عن الكذب كما برأت عن الجسمانية القدرة على التشكيل بالاشكال المختلفة أي بانهم عباد له مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وبأنهم سفراء الله بينه وبين خلقه صادقون فيما أخبروا به عنه وانهم بالغون من الكثرة ما لا يعلمه الا الله (قوله وكتبه) أي بأنها كلام الله تعالى وبأنه تعالى أنزلها على بعض رسله وبأن كل ما تضمنته حق وصدق وبعض أحكامها نسخ وبعضها لم ينسخ قال الزمخشري وغيره وهي مائة كتاب وأربعة كتب أنزل منها خسرون على شيث وثلاثون على ادريس وعشرة على آدم وعشرة على ابراهيم والتوراة والانجيل والزبور والفرقان (قوله ورسله) أي بأنه أرسلهم الى الخلق الى غير ذلك مما سيأتي (قوله واليوم الآخر) وهو من الموت الى آخر

وبالقدر خير وشبهه وعن الاسلام بالأعمال الظاهرة من النطق بالشهادتين والصلاة
والزكاة والحج وصيام رمضان وعكس في الجواب في حديث عبد القيس الذي رواه الشيخان
فاجاب عن الايمان بالأعمال الظاهرة المذكورة الا انه جعل بدل الحج اعطاء الخس من المغنم
وغير ذلك من الأحاديث التي اجتمع فيها ذكر الايمان والاسلام معا أو ذكر أحدهما فقط
وكذلك الآيات كقوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
وقوله عز من قائل قالت الأعراب أمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا الى غير ذلك من الآيات التي
ورد فيها الايمان مقررا بالاسلام أو مفروقا عنه حيث ورد ما يدل على تغايرهما باقتراحهما فهو
باعتبار ان المراد بالاسلام معناه الثاني الذي قدمناه وهو الأعمال الظاهرة وحيث ورد ما يدل على
اتحادهما بانفراد أحدهما فهو باعتبار تلازم المفهومين على ما حقق أو ترادفهما على ما قيل وإطلاق
الايمان في حديث عبد القيس على الأعمال باعتبار انها متعلق مفهوميها المتلازمين وهما التصديق
والانقياد وأما حديث جبريل المذكور فيه الايمان والاسلام معا فالمراد بالاسلام فيه بالمعنى الآخر
الذي هو الأعمال الظاهرة فقط المقررة بالايمان المفسر معه بذكر متعلقاته والآيات المذكورة
جارية على هذا الأسلوب من ان المراد بالاسلام فيها الأعمال الظاهرة باقتراحه مع الايمان
ويؤيده ما ورد

ما يقع يوم القيامة أي بوجوده وما اشتمل عليه من عذاب القبر ونعيمه ونسؤال الممسكين وغير ذلك مما
مر (قوله وبالقدر خير وشبهه) أي بأن ما قدره الله من الازل لا بد من وقوعه وما لم يقدره
مستحيل وقوعه وبأنه تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق وان جميع الكائنات بقضائه وقدره
وارادته (قوله بالشهادتين) وسيأتي تحقيقها (قوله والصلاة) وهي لغة الدعاء بخير وشرعا
أقوال وأفعال مفتوحة بالكبير مختصة بالتسليم غالبا (قوله والزكاة) وهي لغة النماء وشرعا اسم
للمخرج من المال (قوله والحج) هو بفتح الحاء وكسر هاء لغة القصد الى معظم وشرعا زيارة
مخصوصة في زمن مخصوص بفعل مخصوص (قوله وصيام) هو لغة الامساك وشرعا امساك
مخصوص (قوله المغنم) وهو مأخوذ من الكفار عنوة والحرب قائمة (قوله من المؤمنين) ممن
آمن بالوط والآية في الذاريات (قوله غير بيت) أي أهل بيت (قوله أو ترادفهما) الترادف هو الاتحاد
في المعنى دون اللفظ كالانسان والبشر (قوله على ما قيل) وقد علمت فساد (قوله وإطلاق
الايمان) جواب سؤال مقدر تقديره هو ان بتفسير الاسلام بما ذكرت وباطلاقه على ما حققت
من المعنيين يستقيم تقرير الأحاديث التي ظاهرها التعارض لكن إطلاق الايمان على الأعمال
الظاهرة في الحديث المذكور لا يستقيم على تفسيره للايمان فما تقول عنه فأجاب بقوله وإطلاق الح

عن ابن عباس وغيره انهم لم يكونوا منافقين بل كان اسلامهم ضعيفا ويدل عليه قوله تعالى
وان تطيعوا الله ورسوله الى آخرها الدال على ان معهم من الايمان ما تقبل معه اعمالهم وحينئذ يؤخذ
منه انه يجوز نفي الايمان عن ناقصه وعاليه الاحاديث الواردة بمثل ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وله محامل غير ذلك مما لو استقصيناها لطال المقال واستوسع المجال
فأدنى الى الملال لكن نذكر ما قاله ابن القيم في رسالة له في بيان اهجرة بيت الى الله ورسوله عند قوله
تعالى فأخرجنا من كان فيهما من المؤمنين فأوجدنا فيها غير بيت من المسلمين قال فرق بين الاسلام
والايمان هنا السر اقتضاه الكلامان فان الاخراج هنا عبارة عن النجاة فهو اخراج نجاة من العذاب
ولا ريب ان هذا يختص بالمؤمنين المتبعين للرسول ظاهر او باطنا وقوله فأوجدنا فيها غير بيت من
المسلمين لما كان للموجودين من المخرجين أو وقع اسم الاسلام عليهم لان امرأة لوط كانت من أهل
هذا البيت وهي مسلمة في الظاهر فكانت في البيت الموجودين لافي القوم الناجين وقد أخبر الله
سبحانه عن خيانة امرأة لوط له وخيانتها انها كانت تدل قومها على أضيافه وقيامهم معهم وليست خيانة
فاحشة فكانت من أهل بيت المسلمين ظاهرا وليست من المؤمنين الناجين ومن وضع دلالات
القرآن وألفاظه مواضعها تبين له من أسرارها وحكمها ما يهر العقول ويعلم منه التنزيل من حكيم حميد
وبهذا خرج الجواب عن السؤال المشهور وهو ان الاسلام أعم من الايمان فكيف استثنى الأعم
من الأخص وقاعدة الاستثناء تقتضي العكس ويتبين ان المسلمين مستثنون مما وقع عليه فعل
الوجود والمؤمنين غير مستثنى منهم بل هم المخرجون الناجون انتهى ما قاله بحروفه اذا علمت ذلك
فاعلم ان لها وزانا كثيرة وأمثلة مشهورة غزيرة فمنها الفقير والمساكين فانه اذا أفرد أحدهما دخل
فيه الآخر ودل بانفراده على ما دل عليه الآخرون قرن بينهم ما تغاير افراد بالفقير حينئذ من كان
محتاجا وبالمساكين من أسكنته الحاجة وان كان له ما يستمسك من حاجته بملك أو كسب حلال لائق
ولكنه لا يكفيه الكفاية اللازمة بحاله كن يحتاج عشرة وعنده ثمانية الى آخر ما قررره في هذا
المبحث ومنها البر والتقوى والفسوق والعصيان والمنكر والفاحشة وغير ذلك من الأشباه والنظائر

(قوله ابن عباس وغيره) في تفسير الآية وهو أصح التفسيرين (قوله الى آخرها) هي لا يتسكن
من أعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم والآية في الحجرات (قوله وهو مؤمن) وفيه قولان أحدهما
هذا والثاني لا ينفي عنه اسم الايمان من أصله ولا يطلق عليه لايها مكال ايمانه بل يقيده فيقال مؤمن
ناقص الايمان وأما اسم الاسلام فلا ينفي بانتفاء ركن من أركانه بل ولا بانتفاء جميعها ما عدا
الشهادتين وكان الفرق ان نفيه يتبادر منه اثبات الكفر بمبادرة ظاهرة بخلاف نفي الايمان قاله ابن
حجر (قوله العكس) أي استثناء الأخص من الأعم (قوله والنظائر) كالآثم والعدوان

وليكن الكلام الآن في البر والتقوى وهو ان حقيقة البر الكمال المطاوب والمنافع التي في الشيء فالبر كلمة جامعة لجميع أنواع الخير والكمال المطاوبين من العبيد ويقابله الأثم فان الأثم كلمة جامعة للنشر والعيوب التي تدم عليها العبيد فيدخل في مسمى البر الأيمان واجزاؤه الظاهرة والباطنة ولا ريب ان التقوى جزء هذا المعنى قد دل عليها البر بالدلالة التضمنية لكونها جزء مفهومه وأكثر ما يعبر بالبر عن بر القلب وهو وجود طعم الأيمان فيه وحالاته وما يلزم ذلك من طمأنينته وسلامته وانشراحه وقوته وفرحه بالأيمان كما قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فان للأيمان فرحة وحالاته ولذا ذة في القلب فمن لم يجد لها فهو فاقدا للأيمان أو ناقصه وهو من الذين قال الله عز وجل فيهم قالت الأعراب آمننا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الأيمان في قلوبكم فهو لاء على أصح القولين مسلمون غير منافقين وليسوا بمؤمنين اذ لم يدخل الأيمان في قلوبهم فيبشروا بحقيقته وأما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله إيمانا واحتسابا أمرأونها فيفعل ما أمر الله به إيمانا بالأمر وتصديقا بموعده ويترك ما نهى الله عنه إيمانا بالنهي وخوفا من وعيده وكل عمل لا بد له من مبدء وغاية فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدرا عن الأيمان ويكون هو الباعث عليه وغايته ابتغاء مرضاة الله وهو الاحتساب وبهذا يقرن بينهما كما في قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان إيمانا واحتسابا إلى آخره وقوله من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا إلى غير ذلك من نظائره ولا شك ان البر داخل في مسمى التقوى الذي هو جامع لجميع أصول الدين وفروعه هذا اذا افترقا وعند اقتران أحدهما بالآخر فالفرق بينهما فرق ما بين السبب المقصود والغاية المقصودة لنفسها فان البر مطاوب لنفسه اذ هو كمال العبد وصلاحه وأما التقوى فهي الطريق إليه لانها مأخوذة من الوقاية فاصلها وقوى والوقاية وسيلة وفي ذلك غنية لمن تدبر وتأمل حق التأمل واستبصر وبالجملة فجميع

والتوبة والاستغفار وأمثال ذلك (قوله إيمانا) تصديقا بثوابه وقوله واحتسابا اخلاصا وانتصا بهما على الحالية أو على انه مفعول له (قوله إلى آخره) أي غفر له ما تقدم من ذنبه (قوله من قام ليلة القدر) أي أحيائها (قوله احتسابا) غفر له ما تقدم من ذنبه (قوله من نظائره) كقوله صلى الله عليه وسلم من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه (قوله وقوى) قابت وأوها التي هي فاء السكامة تاء وزمت في تصريف الكلمة كما قبلت في تجاه فالتقوى في اللغة فرط الصيانة وأما معناها الشرعي فينقسم إلى قسمين قسم عام لأنواعها وهو الصيانة والاجتناب عن كل مضر يخاف في الآخرة وهو التقوى المرادة من قوله تعالى واتقوا الله حتى تفقهه وقسم خاص ببعض أنواعها وهو المتعارف في الشرع المراد عند الإطلاق وعدم القرينة وهو صيانة النفس عما يستحق به العقوبة من فعل للعصية أو ترك للطاعة فاجتناب الكبائر لازم في هذا المعنى الحاضر

ما يذكر في الآيات والأحاديث من بيان متعلقات الإيمان وشرائع الإسلام الباطنة والظاهرة فهو بيان
لجل يشملها اسم الدين وهو دين الإسلام المرضي عند رب العالمين والدين يطلق بوجه الاشتراك لغة
على العادة والسيرة والحساب والقهر والقضاء والحكم والطاعة والحال والجزاء ومنه مالك يوم الدين
والسياسة والرأي ودان عصي وأطاع وعز وذل فهو من الأضداد وشرعاً اسم لما شرعه لنا ووضع
الهي سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود إلى ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم وهو والملة والشرعية
ألفاظ متساوية تختلف مفاهيمها وتتحد ماصدقاتها فهو من حيث أنه يدان أي يخضع ويطاع له
يسمى ديناً ومن حيث أنه يجتمع على أحكامه يسمى ملة ومن حيث أنه يقصد لا نقاذ النفوس من
المهلكات يسمى شريعة وهو دين الإسلام الذي لا يرضى الله سبحانه بغيره قال تبارك وتعالى إن
الدين عند الله الإسلام وهو الدين الخالص من كل ما يشوبه من كفر أو شرك أو نفاق ففيها وان
حصل دين أي طاعة إلا أنهم لم تخلص لرب الأرباب وخالق المسببات والأسباب كما قال تعالى فاعبدوه
مخلصاً له الدين ألا الله الدين الخالص وما أمر إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وما أعظم هذا الدين
وأحلاه في القلوب وما جزاء من أخلاه فخالطت بشاشته فؤاده عند علام الغيوب ولقد كان صلى الله
عليه وسلم يكثر من أن يقول في دعائه اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فانظر إلى سيد الشفعاء

باتفاق لدخوله تحت الترك المعتبر في حقيقته وأما الصغائر فقليل لا يعتبر لتحققة تركها إلا أنها مكفرة
عن مجتنب الكبائر كما قال تعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فلاتستحق
بها العقوبة وقيل نعم يستحقها لوجود صورة الذنب وأما الكبائر المذكورة في الآية فقد حلتها بعض
المفسرين على أنواع الشرك لاجل مقابل الصغائر ويؤيده ما صرح به العلماء أن العقاب من الله
تعالى على الصغيرة جائز عقلاً وشرعاً ولو مع اجتناب الكبائر هذا هو مذهب أهل السنة (قوله لغة)
على أمور كثيرة كافي القاموس منها إطلاقه على العادة الخ (قوله يوم الدين) وكما تدان (قوله لغة)
(قوله وتتحد ماصدقاتها) فهم متحدون بالذات ومختلفون بالاعتبار (قوله شريعة) تشبيها
لها بشريعة الماء من حيث أنها تقصد لا نقاذ النفوس من العطش والجهة الجامعة أن في الشريعة حياة
الاشباح وفي الدين حياة الأرواح بل فيه حياة الأرواح والاشباح وعليه تكون الجهة الجامعة المقصد
للا نقاذ (قوله إن الدين عند الله الإسلام) لا يقال إن هذا مناف لما هو المختار من أن الدين اسم
جامع للإيمان والإسلام لانا نقول إن الدين كما يطلق على ذلك المجموع يطلق على هذا الفرد إما
بالاشتراك أو الحقيقة والمجاز والتواطئ أو غير ذلك (قوله مخلصاً له الدين) من الشرك والرياء
(قوله ألا الله الدين الخالص) أي هو الذي وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة فإنه المنفرد بصفات
الألوهية والاطلاع على الأسرار والضمائر (قوله مخلصين له الدين) لا يشركون به

وأفضل الأنبياء صلى الله عليه وسلم كيف كان يدعو ويطلب تثبيت قلبه الشريف عليه فأنت أيها
المسكين حري بمعرفة معرفته ومعرفة أضداده لتتميز عندك الأشياء وتنال العلياء وستأتيك تفاصيله
بتفصيل البعض من شرائعه وبيان جوامعه وقواطعه فايقظ لها فكرك واجمع لها ذكرك وفقنا الله
سبحانه لنيل حقائق التصديق وأذاقنا منه حلاوة الإيمان المقرون بعلم التحقيق آمين

﴿الباب الرابع في تحقيق معنى كلمة الإخلاص شهادة أن لا إله إلا الله﴾

وبيان أعرابها وغير ذلك

اعلم أن هذه الكلمة الطيبة هي التي أرسل الله بها جميع رسله إلى عباده وطالب منهم التحقيق بمعنى
مادات عليه من توحيد سبب حان بالوهيته وإفراده في عبادته فوعده من تحقق بها النعيم المقيم وتوعده
من لم يعمل بمقتضاها بالعذاب الأليم فهي العروة الوثقى لمن بها تمسك والقبلة الهادية لمن تعبد وتنسك
وتسمى بكلمة الإخلاص لأفادته من الخالص في معناها وهو موافقة الحال للمقال ولما كان الموحّد
الآتي بها قد قصر الألوهية على الله تبارك وتعالى في جميع أحواله وأظهر ذلك بمقاله سميت بكلمة
التوحيد لأفادته من التجرّد والتفريد وتسمى بالكلمة الطيبة أيضا لأنها طيبة في نفسها وعند
ربها ذات طيب بلسان قائلها ولذا أذنة في قلب الموحّد بها وقد مثلها سبب حان وتعالى بالشجرة الطيبة التي
طاب أصلها وزكي فرعها فأتاكها الندة لأتاكين شهيّا الناظرين فقال عز من قائل ألم تر كيف
ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها
وذلك هذه الكلمة الطيبة الكلمة الخبيثة وهي كل كلمة تضمنت شركا أو كفرا وقد مثلها سبب حان
بالشجرة المجتثة من فوق الأرض فلا قرار لأصلها فتثبت ولا ارتفاع لفرعها فتزكو فقال تعالى ومثل

(قوله حري) تحقيق (قوله الكلمة الطيبة) وهي كلمة الشهادة (قوله إلى عباده) كما سيأتي ذلك في
الباب الخامس (قوله العروة الوثقى) من الحبل الوثيق (قوله تمسك) وهو مستعار لتمسك الحق
(قوله والقبلة) وهي القبلة الح (قوله وتنسك) عطف تفسير على تعبد (قوله موافقة الحال
للمقال) وإنما سميت بذلك لأنها لا تكون سببا للإخلاص إلا إذا كانت مقرونة بالإخلاص
(قوله والتفريد) لله سبحانه عن الأشباه والأمثال وسيأتي تحقيق ذلك (قوله وعند ربها)
وطيبة عند ربها (قوله ذات) هي ذات (قوله بالشجرة الطيبة) وقد فسرنا بالنيحة وروى
ذلك مرفوعا (قوله ثابت) في الأرض بعروقه فيها (قوله وفرعها) أعلاها (قوله تؤتي
أكلها) تعطي ثمرها (قوله كل حين) أقره الله لأثمارها (قوله بإذن ربها) أي بإرادة خالقها
وتكوينه (قوله أو كفرا) أو دعوة إلى الكفر أو تكذيبا بالحق (قوله بالشجرة) الخبيثة
وقد فسرنا بالحنظل

كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار فلا بد من العلم بمعناها ليتحقق
القاتل بمعناها ولا ينال الاستعداد المؤدى إلى بلوغ المراد إلا بمعرفة الأمثال والأضداد وبذلك تنال
الرتبة القعساء وبضدها تنبئين الأشياء فالتوحيد يضاده الشرك فهي ضدان أو يقابله تقابل العدم
والمملكة فهي متقابلان ومثل ذلك الكفر والإيمان وكذلك الغفلة تناقض الذكر والهوى يناقض
الإخلاص وهذه الأربعة تحجب كثيفة تحجب العبد عما يراى من توحيده وإخلاصه وذكره له
وإيمانه بربه فاعلم ذلك وتيقن أن ليس المراد من أمر الله لك بها التماثل فقط بل العلم والتحقق بما
دلت عليه هذه الكلمة الشريفة فقد أمر الله سبحانه أشرف خلقه بالعلم بها فقال فاعلم أنه لا إله إلا هو
وخطابه تعريضا للغير ناهيا عن ضدها بقوله عز من قائل لنن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من
الخاسرين واعلم أن حاصل القول الفصل في هذا أن من تكلم بهذه الكلمة الطيبة مع قرينتهما من
الشهادة برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم حكمنا عليه بالسلام وفوضنا حكمه إلى العليم العلام لكن
لا بد في قبوله عند الله سبحانه أن يكون معتقدا لما يقول ولا يكون ذلك إلا بعد العلم المقبول ثم لا بد
في العمل بمقتضى عقيدته أن لا يأتي بالمنافي فإذا يكون قد أتى بالأمر التام الكافي ولما كانت هذه

(قوله اجتثت) استؤصات وأخذت (قوله من فوق الأرض) لأن عروقها قريبة
منه (قوله من قرار) أي استقرار (قوله وبذلك) أي بمعرفة الأمثال والأضداد (قوله
القعساء) الرفيعة (قوله ضدان) فالضدان هما المعنيان الوجوديان اللذان بينهما
غاية الخلاف ولا يتوقف تعقل أحدهما على تعقل الآخر كالسواد والبياض والمراد بغاية الخلاف
التنافي بينهما بحيث لا يصح اجتماعهما (قوله تقابل العدم والمملكة) والعدم والمملكة هما ثبوت أمر
ونفيه عما من شأنه أن يتصف به كالبحر والعمى مثلا فالبحر وجودى وهو المملكة والعمى نفيه عما
من شأنه أن يتصف به ولهذا لا يقال في الحائط أعمى (قوله الأربعة) أي الشرك والكفر والغفلة
والهوى وقوله حجب جمع حجاب الستر (قوله كثيفة) أي لا يدرك الشيء مما وراءها (قوله
تحجب) تستر (قوله بلبه) بعقله (قوله ذلك) أي الذى ذكرناه (قوله بل) المراد العلم
الحق (قوله بمادلت عليه الخ) فإن النطق بهما من غير فهم معناه لا يكفي عند الله تعالى (قوله
أشرف خلقه) محمد صلى الله عليه وسلم (قوله تعريضا للغير) لأن الخطاب له صلى الله عليه وسلم
خطاب لأمته (قوله عن ضدها) أي ضدها الكلمة الطيبة وهى الكلمة الخبيثة المتقدمة (قوله
لنن أشركت ليحبطن عملك) أو هذا على سبيل الفرض والمراد به اقنات الكفرة والأشعار على
حكم أمتهم (قوله ولتكونن من الخاسرين) وعطف الخسيران على الحبوط من عطف المسبب
على السبب (قوله بعد العلم) بمعناها

الكامة الطيبة أساس كل ملة وعليها انصبت القبلة اعتبرت لها هذه الامور على الوجه المذكور وأما
الاذكار من غيرها فلا بد من معرفة معناها وقصد له ليحصل الثواب لئلا اكره في شكره وحده وظاهر
كلام القاضي عياض وغيره ان مجرد الذكر باللسان لا ثواب فيه، بنزلة أصوات ما لا يعقل قال الجلال
البلقيني انه حق لا شك فيه وقال ابن حجر الهيتمي في شرح العباب وفي الفتاوى الحديثة بعد ان نقل
قول النووي في الاذكار الذكري يكون بالقلب وباللسان والافضل ما كان بهما فان اقتصر على
أحدهما فالقلب افضل الدال على ان مجرد الذكر باللسان يحصل فيه الثواب وثان ان تقول ان أريد
الثواب من حيث اللفظ فالحق عدمه لانه غير متعبد بلفظه أو من حيث المعنى وتعلق القلب به فالحق
الثواب والثاني افضل فكلامه صريح في انه اذا كان لذكر حيثيتان حيثية من جهة اللفظ وحيثية
من جهة المعنى واشتغال القلب به فالحيثية الثانية افضل وللاولى فضل لكونها مؤدية للثانية ووسيلة
اليها وأما اذا لم تكن له الا الحيثية الاولى كان عاريا عن الثواب والله اعلم ثم انه لا بد في حصول
الاسلام من التلغظ بالاله الا الله محمد رسول الله وهل يكفي ابدال كل كلمة بترادفها مثل لا معبود
الا الرزاق مثلاً وأحد رسول الفتح في ذلك اختلاف كبير ونقل كثير وأغلب العلماء على ان الشارع
لما تعبدنا بهذه الالفاظ بأعيانها وجب علينا الايمان بها حتى ان كثير من العلماء أوجب لفظ أشهد
ولم يكتف بما يراد فهم من أعلم أو اعترف أو غير ذلك قالوا هو الا حوط للدخول في باب الاسلام

(قوله أساس) أصل (قوله المذكور) ثم استطرده وقال وأما الخ (قوله وغيره) من
الأئمة (قوله ما لا يعقل) فيكون بالهذيان أشبه (قوله وقال) أحمد بن حنبل (قوله
بالقلب) وهو التفسير في جلال الله وصفاته وآياته في أرضه وسمواته وفي معاني الكتب
والأحاديث واعتباراته وهذا النوع أرفع الاذكار كما ذكره القاضي عياض (قوله أفضل)
لماروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة (قوله
الدال) أي قول النووي (قوله باللسان) من غير ملاحظة القلب (قوله ان تقول) هذا
مقول قول ابن حجر (قوله فكلامه) أي كلام ابن حجر (قوله به) أي بالمعنى (قوله وللاولى)
التي هي من جهة اللفظ (قوله مثله الخ) ولك ان تمنع التوازن لان مفاهيم هذه الالفاظ متغايرة كما
لا يخفى (قوله اختلاف كبير الخ) فالروايات والماوردى على انه لا يجوز الايمان بغير كلمة لا اله الا الله
وهو ما نقل عن أغلب العلماء وبعضهم جوز بما يؤدى معناه ومنهم من الحليمي (قوله لفظ أشهد)
ويوافقه رواية أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا بالشهادتين وهو ما اعتقده بعض المتأخرين من
الشافعية (قوله من ادلم) أي في افادة مطلق العلم لا مطلقا لما سيندكر ان الشهادة أخص من العلم
وبذلك يجمع بين كلاميه

والخروج عما به يلام بقى حكم قائل ذلك عندنا فى الظاهر لاندخله فى عدد المسلمين وتجري عليه
 أحكام المؤمنين فظاهر كلام الروضة عدم الاشتراط ومعنى أشهد أقر بالسانى وأذن فى قلبى عالما
 بذلك عالما خاصا كما ورد فى بعض الأحاديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه فى بعض
 الحوادث اذا علمت ذلك مثل الشمس فاشهدوا اذا كانت الشهادة أخص من العلم لكونها عبارة عن
 الشئ الصادر من صميم القوادى الصادق فى دعوى الاتحاد كانت حاملة لقائل كلمة التوحيد على العمل
 بمقتضاها والقول بوجهها وأما الإله فأنه من أسماء الأجناس يقع بأصل وضعه على كل معبود بحق
 أو باطل لكنه خصص بالاطلاق على المعبود بالحق وهو الله سبحانه وتعالى والمرجح انه اسم جنس
 غير صفة لأنك تصفه فتقول الله واحد صمد ولا يوصف به فلا تقول شئ الله وهو فى أصل وضعه واشتقاقه
 قيل مشتق من أله على وزن علم بمعنى تحير لأن الفطن تدهش فى معرفة المعبود فيكون الإله المألوه فيه
 وقيل من أله على وزن ضرب بمعنى عبد فيكون الإله بمعنى المألوه أى المعبود الا انه جعل من الموحدين

(قوله بقى) أى لكن بقى (قوله عندنا) أى السافعية (قوله كلام الروضة) فى
 الإيمان (قوله عدم الاشتراط) ويؤيدها كتنفائهم فى حق من لم يدن بشئ بآمنت وكذا
 أو من بالله بأن لم يرد به الوعد أو أسامت لله أو الله خالق أو ربى ثم يأتى بالشهادة الأخرى فاذا اكتفوا
 بنحو الله خالق مع انه لا شئ فيه من الوارد نظرا للمعنى دون اللفظ فالأولى الاكتفاء بالإله الا الله
 كما هو واضح لانه وجد فيه اللفظ الوارد نظرا الرواية حتى يقولوا (قوله ومعنى أشهد أقر)
 قلت فعلى هذا يكون معنى الشهادة فى أشهد أن لا إله الا الله اقرار باللسان وتصديق بالجنان ويشهد
 لذلك قول المفسرين ان شهد فى قوله تعالى شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وأولو العلم بمعنى بين فى
 حق الله تعالى وبمعنى أقر فى حق الملائكة وبمعنى أقر واحتج فى حق أولى العلم من الثقلين فان قلت
 فهنى على هذا المعنى حقيقة أم محار قلت ذكر وانها مجاز لغوى وحقيقة شرعية حيث شبه الاقرار
 والتصديق بشهادة الشاهد فى البيان والكشف فأطلق على ذلك الشهادة فيكون من قسم
 الاستعارة وان قلت الأصل ان يكون اللفظ حقيقة فالصارف عنه ههنا قلت الصارف عنه ههنا
 عدم استقامة المعنى اللغوى فى هذا المقام اذا الشهادة فى اللغة تجبى بمعنى الاخبار بصحة الشئ عن
 مشاهدة وعيان كما أشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله اذا علمت مثل الشمس فاشهدوا لا فدى وتجبى
 بمعنى الحضور كما يقال شهد شهودا اذا حضره وتجبى بمعنى القسم كما تقول أشهد بكذا بمعنى أحلف به
 وتجبى بمعنى تحمل الشهادة اذا جعلها عليك وتحملتها كما تقول فلان أشهد على الحادثة والواقف مثلا
 وكل هذا غير مستقيم كما لا يخفى (قوله أخص من العلم) فكل شهادة علم ولا عكس (قوله
 كانت) جواب اذا وقوله حاملة أى باعثة (قوله جنس) وهو ما وضع للماهية من حيث هى

المعبود بحق قاله فعال بمعنى مألود أى معبود فهو صفة مشبهة ككتاب بمعنى مكتوب نقى شهاب عن
البيضاوى فى حاشيته عليه وبما صحح من اسميته يكون قد نقل من الوصفية الى الاسمية كفاى كتاب
صيغة ونقلا ودليا وقال لمبرد هو مشتق من ألهت الى فلان أى سكنت اليه ومنه قول الشاعر

* ألهت اليها والحوادث حجة * فالخلق يسكنون ويطمئنون بذكره وقال الضحاك انما سمي
الخالق بالخالق لأنه فى حوائجهم أى يتضرعون اليه وقيل هو مشتق من اللاد وكل
مرتفع فهو لاد تقول العرب طلعت الالهة تعنى الشمس وقيل من لاد بمعنى احتجب وقيل من
اوله وأصل الاله لاد أى اللواتى همزة كفاى وشاح وان شاح لان الخلق يضرعون اليه ويأجئون اليه كما
يأله الطفل الى أمه قاله محي السنة فى معامله وقال ابن الأثير فى نهايته ما نصه قال الله تعالى قالوا نعبد
الهك يعنى الذى تلجأ اليه وتستغيث به وسميت أصنام المشركين آلهة لانهم كانوا يلجئون اليها
قال الله تعالى أله مع الله أى أيؤله الى غيره وقوله ويذكرك والاهتسك أى عبادتك ومن قرأ
وأطناك أراد أصنامك وقولوا الشمس آلهة لانهم عبدوا الشمس وقال الشاعر * وأبحنا الالهة ان تؤبنا *
وقال أبو الهيثم لا اله الا الله أى لا معبود الا الله والتأله التعبد وفى حديث وهيب اذا وقع العبد
فى الهانية الرب لم يجد أحدا يأخذ بقلبه انتهى وحاصل ما تقدم ان الاله اسم جنس يطلق على من
تأله القلوب بخواص الألوهية التى اجتمعت بالاله الحق سبحانه وتعالى فهو الاله الحقيقى ومتأله
بخواص الألوهية التى أوجبت له افراده بالعبادة هو الموجد وكل ادعى هذه الخواص أو بعضها
أوادعى له فهو اله باطل والمدعى له هو المشرك المعطل وسيأتى مزيد بحث لذلك وبيان للخواص
الالهية وما قالته الأئمة الأعلام وما يتفرع على ذلك من الأحكام فى الأبواب الآتية وفقنا الله لاتمامها
بمنه وفضله آمين والله علم لذات الواجب تعالى المستحق للعبودية لا يطاق على غيره أصلا وصرح امام

أى من غير اعتبار تغيرها فى الخارج أو النهن (قوله معبود) بحق (قوله شهاب) أى الخفاجى
(قوله كفاى كتاب) أى كما فعل ذلك فى كتاب المماثل له (قوله من ألهت) على وزن عامت
(قوله ومنه قول الشاعر) هو محمد بن يزيد (قوله يسكنون) أى اليه (قوله من اللاد) وهو
الارتفاع (قوله من لاد) يليه (قوله احتجب) اذا تدركه الأبصار (قوله أبدلت الواو
همزة) لاستئصال الكسرة عليها (قوله محي السنة) أى البغوى (قوله تؤبنا) أى ترجع
(قوله فى الهانية) فعلائية بضم (قوله لم يجد أحدا يأخذ بقلبه) أى اذا وقع العبد فى عظيمة الله
تعالى وجلاله وغير ذلك من صفاته تعالى وصرف همه اليها أبغض الناس حتى لا يميل قلبه الى أحد
(قوله والله علم لذات الواجب تعالى) الى آخره لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد من اسم تجري
عليه صفاته ولا ينصلح له مما يطاق عليه سواه (قوله لا يطاق على غيره أصلا) وهو علم مرتجل من

النسابة الخليل بن أحمد ان الله علم لذاته تعالى كما نقل عنه محيي السنة في تفسيره وعليه الغزالي
ومن زعم انه اسم لمفهوم الواجب لذاته وانه كلى انحصر في فرد كالشمس الا ان الشمس يمكن غيرها
من الافراد بخلاف أفراد الله فقد سبها سبوا فاحشا لان لا اله الا الله كلمة توحيد فلو كان اسما لمفهوم وقد
انحصر في فرد لم يفد التوحيد لان المفهوم من حيث هو يحتمل الكثرة واذ قد عرفت ذلك فاعلم ان
لانا فية للجنس واله اسمها مبني من اله على الفتح والاحرف لا يحجب النفي وابطاله ولا تسمى استثنائية
قال ابن هبيرة الالهة موحدة وليست استثنائية فان الله سبحانه لا يستثنى من شيء اذ ليس كذاته شيء
لان المثالية يطردها الاشتباه ولا يعرف الا بان لا يشبهه شيء فكيف يستثنى بل هو واجب الوجود واسم

غير اعتبار اصل اخذ منه كما عليه الاكثرون ومنهم ابو حنيفة ومحمد بن الحسن والشافعي والخليل
والزجاج وابن كيسان والخلعي وامام الحرمين والغزالي والخطابي وغيرهم وهو المختار وقيل انه
مشتق واختلفوا في اشتقاقه على عشرين قولاً كما في القاموس (قوله ان الله علم لذاته تعالى)
بشهادة افادة التوحيد فلو لم يكن علماً لما افاده كما ذكر لا يقال فيلزم من هذا دور لتوقف كل من
العامية والافادة على الآخر لانا نقول لان اسم لزوم ذلك فان وصف العامية موقوف على الافادة والافادة
على الجلالة نفسها لا على وصف العامية فلا يلزم لاختلاف الجهة وهذا تصوير المثلث بوضوح المعقول
لتقوية اثبات المطلوب على الوجه المقبول لا اثبات اللغة بالاستدلال حتى يقال انه غير جائز على المذهب
الحق على انا نقول ان الاعلام ليست من اللغة (قوله وعليه الغزالي) قال الغزالي في المقصد الاسنى الله
اسم للمفرد بالوجود الحقيقي الجامع لصفات الالهية والاشبه انه جار في الدلالة على هذا المعنى مجرى
الاعلام وكل ما ذكر في اشتقاقه تعسف وتكاف وهو اعظم اسمائه لانه دال على الذات مستجمع
جميع الصفات وغيره لا يدل الا على احاد المعاني كالقدرة والعلم ولانه اخص الاسماء به لانه لا يطاق على
غيره لا حتمية ولا محاز اولاً لانه لا يتصف به العبد البتة بخلاف البواقي ولانه يوصف بسائر الاسماء فيقال
الرحمن الرحيم من أسماء الله ولا يقال الله من أسماء الرحمن الرحيم لانه دال على كنه الحقيقة فاستغنى
عن تسميته بغيره وغيره يعرف به (قوله لانا فية للجنس) وتسمى لا التبرئة لانها تدل على نفي
الجنس كما انها تدل على البراءة منه لانها التنصيص على كل فرد من أفراد الجنس وعمت عمل ان من
نصب الاسم ورفع الخبر لسانها طافى التوكيد ولزوم المصدر والدخول على الجمل الاسمية (قوله
على الفتح) قيل لتضمنه معنى من الاستغراقية وقيل لتركيبه مع لا تركيب خمسة عشر ومحل النص
هذا عند الاخفش والمبرد وعند الزجاج ان حركة اسمها اعرابية فيكون منصوباً بالفتحة وادغم التنوين
لا ينافيها فانه ليس من لوازم الاسم والاعراب فيجوز انفساً كما كه عنه وعند البعض انها لا تعمل فيه
أصلاً وهو وحده مرفوع المحل على انه مبتدأ وأما خبرها في حذفه بالاتفاق

الله مرتفع بعد الإلانة له الألوهية وهذه الكلمة العلية قد اشتملت على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله وحده لا نك نفيت الآهة فكفرت بالطاغوت وأثبت الألوهية لله وحده فآمنت بدفع قوله إن الله لا يستثنى من شيء يريد أن الله بدل من اسم لا أي من محله فإنه مبتدأ في الأصل ويتعذر البديل على اللفظ فتعين الحل على المحل وتعذر على اللفظ بسبب أن البديل على نية تكرار العامل ولا هذه لا تعمل في المعارف وأيضا لما انتقض النفي بالأبطل عملها فيما بعد هاو أيضا لفتح اسمها على تضمن من الموجب لكونها نافية العموم وكان النفي منتقضا كما سلف كان في ذلك زيادة من في الإثبات وليس ذلك بجائز عند جمهور البصريين وهذا من ابن هبيرة مبالغة في التجرد والافتراط الاستثناء التصادق وهو مع الآهة متصادقان وعلى كل حال فالاسم المكرم المقدس مرفوع على أنه بدل بعض من محل اسم لا لكنه يخالف الإبدال من حيث أنه يناقضه في حكمه وليس فيه ضمير يرجع إلى المبدل مع أنه بدل بعض من كل فهذا من خواص بدل البعض

(قوله بالطاغوت) بالشیطان والأصنام وكل ما عبد من دون الله أو صد عن عبادة الله (قوله في الأصل) قبل دخول لا (قوله بسبب أن البديل على نية تكرار العامل) لأن الغرض منه أن يذكر الاسم مقصودا بالنسبة بعد التوطئة لذكره بالتصريح بتلك النسبة إلى ما قبله لافادة توكيد الحكم وتقريره (قوله ولا هذه) التي لنفي الجنس وقوله لا تعمل في المعارف بل أعمالها خاص بالتكررات المتصلة (قوله على تضمن من الخ) هذا على قول من قال علة البناء تضمن معنى من الاستغراقية وأما على القول الآخر من أنها علة التركيب فلا يتأتى ما ذكره (قوله وعلى كل حال فالاسم المكرم المقدس مرفوع الخ) فإن قلت هل يجوز نصبه قلت على مقتضى قواعد العربية أنه لا شك في جواز ذلك لكن السهيلي منعه في أماليه حيث قال لا يجوز في نحو لا إله إلا الله من نصب المستثنى ما جاز في نحو ما فاعاوده إلا قليل منهم كالم يحز في ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم إلا الرفع وذلك لنكتة بدعيعة لم ينب عليها من حذاق النحويين إلا قليل وهو أن النصب إنما حقه الإيجاب فإذا دخل النفي على كلام قائم بنفسه جاز لك من النصب ما جاز قبل دخول النافي وإذا دخل على كلام لا يستقيم تقديره عرياعنه تعين اعتبار حكم النفي وامتنع اعتبار حكم الإيجاب انتهى (قوله لكنه يخالف الإبدال الخ) والأقرب أن يكون البديل من الضمير المستتر في الخبر المقدر لأن الإبدال من الأقرب وهو الضمير أولى من الأبعد ولأنه لإدعاء إلى الاتباع باعتبار المحل مع إمكان الاتباع باعتبار اللفظ ثم البديل أن كان من الضمير المستكن في الخبر كان نظير البديل في نحو ما قام أحد الأزيد لأنه فيها باعتبار اللفظ وأن كان من الاسم كما ذكر كان نظير البديل في نحو لا أحد فيها الأزيد لأن البديل فيهما باعتبار المحل (قوله في حكمه) أي أن حكمه مخالف لحكم المبدل منه إيجابا وسلبا (قوله مع أنه بدل بعض من كل) كما صرح جوابه لأنه ليس عين

الواقع بعد الا وقال الكوفيون في ذلك الاحرف عطف عطف اسم الله سبحانه على الله وهي عندهم بمنزلة لا العاطفة في ان ما بعدهما يخالف ما قبلها والفرق بينهما ان لا نفي الايجاب والا لايجاب النفي واما خبر لا فيقدر من الأفعال العامة كموجود والمعنى حينئذ لا مستحق للعبودية في الوجود أو موجود الا الله أي الفرد الذي هو خالق جميع الكائنات ولا يجوز ان يكون مستثنى مفرغا من ضمير موجود الذي هو الخبر وان كان الضمير يرجع الى الله لانه يفيد حينئذ اثبات وجود الله تعالى لا وحده انثى وليس ذلك بما اراد اذ لم ينكر أحد وجوده وانما اشرك به المشركون مع اقرارهم بأنه الخالق الرازق المدبر للعالم بأن عبده وامعه غيره للتقريب اليه قال تعالى حاكما عنهم وما نعبدهم الا ليقرّبونا الى الله زلفى وقوله سبحانه واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وكان اخلاصهم الدين بأن تركوا الشرك معه فالتقص من هذه الكلمة الطيبة انما هو اثبات الوحدةانية له تعالى وتفرد بالالهية وله ان تسمى كلمة التوحيد لا كلمة اثبات وجوده تعالى ولا خفاء ان التوحيد مرتبة أخرى بعد الوجود لانه اذا ثبت الشيء في الخارج يسأل عنه أهو واحد أوله شريك فالمراد به حينئذ ما يقطع عرق الشركة الشاملة للشركة في الوجود

المبدل ولا مشتق لا عليه ولا يمكن وقوع بدل الغلط في كلام الله تعالى فتعين بدل البعض اذ لا خامس فان قلت هل يمكن اعرابه بغير البدلية من سائر التواضع قلت لا يمكن ان يكون عطف نسق لعدم توسط الحرف ولا صفة لعدم الاشتقاق ولو تقدير اولا عطف بيان لعدم الايضاح ولانا كيد الفظيا لعدم اتحاد اللفظين في مادة الحروف وهياتهما ولانا كيد المعنى بعدم الألفاظ المخصوصة فتعين ان يكون بدلا كما يقتضيه السبر والتقسيم وخص البدل بالبعض لعدم استقامة غيره كذا كراهه (قوله الواقع بعد الا) كما قال ابن الضائع بالاضاد والعين لوقيل ان البدل في الاستثناء قسم على حدة ليس من تلك الابدال التي تبينت من غير الاستثناء لكان وجهها وهو الحق انتهى (قوله عطف) وذلك عندهم في باب الاستثناء خاصة قاله أبو حيان ورد ما عندهم بقولهم ما قام الازيد وليس شيء من احرف العطف يلي العامل وأجيب بأنه ليس تأليها في التقدير اذ الأصل ما قام أحد الازيد (قوله كموجود) فان قلت فلم لم يقدر الخبر المندوف ممكنا كما قدره بعض أهل الاستدلال مع ان نفي الامكان يستلزم نفي الوجود من غير عكس فيكون أبلغ في الرد قلت أجيب عن ذلك بأن عدم تقدير الامكان لعدم قرينة دلالة عليه ولأن التوحيد هو بيان وجوده ونفي غيره لا بيان الامكان وعدم امكان غيره على ان هذا القول رد لخطأ المشركين في اعتقاد تعدد الآلهة في الوجود فيكون الامكان مسكوتا عنه بحسب دلالة القول ومقتضى المقام فتقدير الخبر المندوف ممكنا ونحوه غير صحيح لفظا وان كان صحيحا عقلا والواجب على المتكلم رعاية المقام واعطاء كل مقام حقه (قوله بأن تركوا الشرك معه) حيث لا يذكرون الا الله

وفي عبادة المعبود قال الباذلي والأولى ان يقدر الخبر مؤخر ابعدا لئلا يظن انه استثناء مفرغ وقد
صرح الشافعي في تلويعه أيضا بأنه لا يجوز ان يكون الاستثناء مفرغا وههنا كلام لصاحب المنتخب
والامام تاج الدين السبكي وغيرهما مشغل على أولوية عدم تقدير الخبر وفيه من المناقشات الباردة
بما ليس لديه عائدة أعرضت عنه خوف حصول السئام وعروض الملل وحاصله ان صاحب المنتخب
لا يجعل الله مبتداً بل كلمة مفردة لا معربة ولا مبنية فلا يثبت له خبر افتقار تابع بذلك بنى تميم فانهم
لا يثبتون له خبرا وفيما فات من جعل الاله بمعنى المعبود بالحق والله علم على الذات المقدسة يستقيم
مقصود الكلام من غير خصام قال الفاضل الباذلي فان قلت اذا قدرت الخبر فلم تقدره مفردا ولم
تقدره جمعاً مثل موجودون اذ لا بد من التعدد في المبدل منه عند من قال بالبدلية واذا كان مفردا
كيف يدخل المستثنى فيه حتى يخرج فلا يصلح للاستثناء عند القائل بالاستثنائية وأقول لا يجوز
جمعه في مثل هذا التركيب لان الجمع مجموع ومعنى العام جميع والمفرد في سياق النفي عام في افراده لا جمع

ولا يدعون سواه لعلمهم بأنه لا يكشف الشك اذ الاله هو (قوله استثناء مفرغ) وهو ما اذا فقد التمام
من الكلام المنفي بأن لم يصرح فيه بالمستثنى منه وسمى مفرغا لان ما قبل الافتراغ للعمل فيما بعده
(قوله بأنه لا يجوز ان يكون الاستثناء مفرغا) واقعا موقع الخبر لان المعنى على نفي الوجود عن آلهة
سوى الله تعالى لا على نفي مغايرة الله عن كل اله وعدم جواز كون الاستثناء مفرغا هو ما عليه النجاة
بل ما بعد الا مرفوع على البدلية كما تقدم (قوله وههنا كلام لصاحب المنتخب) حيث اعترض
على النجاة في تقدير الخبر في كلمة الشهادة فقال يلزم من قولهم في لا اله الا الله التقدير لا اله في الوجود
الا الله ان يكون ذلك نفي الوجود الاله ومع اوم ان نفي الماهية أقوى في التوحيد البصر من نفي
الوجود فكان اجراء الكلام على ظاهره والاعراض عن هذا الاضمار أولى وأجاب أبو عبد الله
محمد بن أبي الفضيل المرسى عن ذلك في رى الظما أن فقال هذا كلام من لا يعرف لسان العرب فان اله
في موضع المبتدأ على قول سيبويه وعند غيره اسم لا وعلى التقديرين فلا بد من تقدير الخبر وما قاله
من الاستثناء عن الاضمار فاسد وأما قوله اذ لم يضمن يكون نفي الماهية فليس بشئ لان نفي الماهية
هو نفي الوجود اذ لا تصور الماهية الا مع الوجود فلا فرق بين لا ماهية ولا وجود وهما مذهب أهل
السنة خلافا للمعتزلة فانهم يثبتون ماهية عارية عن الوجود انتهى فاذا عرفت ذلك تبين عندك ان
عدم تقدير الخبر فاسد من جهة اللفظ والمعنى (قوله فقد تابع بذلك بنى تميم) أى تابعهم في عدم
الاثبات فقط والافهم يقدرون جعلهم الاسم مبتدأ يحتاج الى خبر مقدّر غير جائز اثباته عندهم (قوله
ومعنى العام جميع) لان مدلوله من حيث الحكم عليه كلمة أى محكوم فيه على كل فرد مطابقة اثباتا
أو سلبا (قوله عام في افراده) أى وضعه لما ذكرنا من ان الحكم العام على كل فرد مطابقة

فكيف يجمع والاستثناء يقتضي التعدد لا الجمعية بدليل جواز الاستثناء من العدد وكذلك البديل
 البعض فإنه يقتضي التعدد في البديل منه انتهى محصل مقاله وهذه الكلمة الطيبة قد اشقت على
 قضيتين أحدهما سالبة كلية مشتملة على موضوع وهو الاله ومحمول منوى وهو وجود ونسبة بينهما
 وحكم هو الانتزاع وبعد هذه القضية قضية موجبة شخصية فإنه أوقع على موضوعها وهو الله الحكم
 كما انتزع عن الاله فهنا قضيتان سالبة وهي لا مستحق للالهية في الوجود وموجبة وهي الله هو
 المستحق للالهية فهو مثل المركبات من الموجهات لكن العبرة عند المناطقة بالقضية الأولى في إطلاق
 اسم السلب والایجاب وقدم السلب مبالغة في تنزيهه سبحانه عن الشريك وهذه خلاصة ما قيل
 في هذه الكلمة الطيبة من بيان المفردات والأعراب على أحد الوجوه وبقيت وجوه أخرى صحيحة

(قوله من العدد) نحو أخذت عشرة الأربعة الاثنين (قوله على قضيتين) القضية قول يصح ان
 يقال لقائله انه صادق فيه أو كاذب فيه (قوله سالبة) وهي ما إذا كان الحكم فيها بالانتزاع وقوله كلية
 وهي ما إذا كان موضوعها كلياً بين فيه كمية الأفراد وكان الحكم فيها على كل الأفراد واللفظ الدال
 على كمية الأفراد يسمى سوراً وقوله على موضوع وهو المحكوم عليه وسمى موضوعاً لأنه وضع ليحكم
 عليه وقوله ومحمول وهو المحكوم به وسمى به لجهه على الموضوع وقوله منوى أى مقدر وقوله ونسبة
 بينهما يربط المحمول بالموضوع وتسمى نسبة حكمية وقوله وحكم هو اسناداً من إلى آخر إيجاباً أو
 سلباً والإيجاب هو إيقاع النسبة والسبب هو الانتزاع أى انتزاع النسبة (قوله قضية موجبة) وهي
 ما إذا كان الحكم فيها بالإيقاع وقوله شخصية وهي ما إذا كان موضوعها جزئياً وسميت شخصية
 لأن موضوعها شخص معين (قوله فهو مثل المركبات من الموجهات) فنطوقه نفي الألوهية عن
 غير الله ومفهومه اثبات الألوهية لله تعالى وحده قال الجلال المحلى في لأعلم الأزيد منطوقه نفي العلم
 عن غير زيد ومفهومه اثباته لزيد (قوله وبقيت وجوه أخرى صحيحة) منها ما ينسب إلى الزمخشري
 أن لا اله في موضع الخبر والاله في موضع المبتدأ ولا يخفى ضعفه لأنه يلزم منه أن يكون الخبر مبنياً
 مع لا وهي لا يبنى معها المبتدأ ومنها أن الاسم المعظم مرفوع بلا كير رفع الاسم بالضم وذلك بأن
 يكون الاله بمعنى مألوه فيكون الاسم المعظم مرفوعاً على أنه نائب الفاعل ساداً مسدداً الخبر كما في قولنا
 ما مضروب العمران ولا يخفى أيضاً ضعفه لأن الاله ليس بوصف فلا يستحق عملاً ومنها أن الاله بمعنى غير
 والاسم المعظم صفة لا سم لا باعتبار المحل ذكر ذلك الشيخ عبد القاهر الجرجاني عن بعضهم والتقدير
 لا اله غير الله في الوجود ولا شك بأن الاله في هذا التركيب وان كان لا مانع له من جهة الصناعة النحوية
 لكن المعنى يمنع ذلك لأن المقصود من كلمة التوحيد أمران نفي الألوهية عن غير الله وإثباتها لله تعالى
 ولا يفيد هذا التركيب فإن قيل يستفاد ذلك بالمفهوم قيل أين دلالة المفهوم من دلالة المنطوق ثم هذا

لكن المذكور هو المشهور بين النعمانيين ومشي عليه ابن مالك وغيره من النحاة وأجابوا عن وجوه مخالفته لا بدال بأجوبة لا تنفي هذه العجالة ببسطها ولكن نذكر وجهاً آخر صحيحاً اختاره ناظر الجيش في شرح التسهيل وغيره من أن المجموع من لامع اسمها في موضع رفع بالابتداء والخبر المقدر لهذا المبتدأ ولم تعمل فيه لا عند سيدييه وإذا كان النفي قد أبطل بالألا كان الأخبار عن الإله بأنه الله والمعنى المستحق للعبادة هو الله وحده لا شريك له وقد أسلفت البيان لمعنى الإله وأنه الذي تتأله القلوب بتخصيصه بما يختص بالوحيته فهو إذا المستحق للعبادة والمنفرد بذلك الولاية والسيادة وقد ارتضى

المفهوم أن كان مفهوماً لقب فلا عبرة إذ لم يقل به إلا الدقاق وبعض الخنابلة وإن كان مفهوماً صفة فقد عرف في أصول الفقه أنه غير مجمع على ثبوته فقد تبين ضعف هذا القول لا محالة (قوله لكن المذكور) من القول بالبدلية (قوله ومشي عليه ابن مالك وغيره الخ) فإن ابن مالك لما تكلم على حذف خبر لا العاملة عمل إن وأكثر ما يحذفه الحجازيون مع الانحولا لا الله وهذا الكلام منه يدل على أن رفع الاسم المعظم ليس على الخبرية وحينئذ يتعين رفعه على البدلية وصرح كثير من النحاة بالرفع على البدلية (قوله اختاره القاضي ناظر الجيش الخ) قال ناظر الجيش وأما القول بالخبرية فقد قال به جماعة والذي يظهر لي أنه أرجح من القول بالبدلية وقد ضعف القول بالخبرية ثلاثة أمور وهي أنه يلزم من القول بذلك كون خبر لا معرفة ولا لا تعمل في المعارف وإن الاسم المعظم مستثنى والمستثنى لا يصح أن يكون عين المستثنى منه لأنه لم يذكر الالبيين به ما قصد بالمستثنى منه وإن اسم لا عام والاسم المعظم خاص والخاص لا يكون خبراً عن العام لا يقال الحيوان إنسان والجواب عنها أما الأول فأنك قد عرفت أن مذهب سيدييه أن حال الاسم المعظم مع لا لا عمل لها في الخبر وأنه حينئذ مرفوع بما كان مرفوعاً به قبل لا وقد علل ذلك بأن شبهها بأن ضعفها حين ركبت وصارت كجزء كلمة وجزء الكلمة لا يعمل ومقتضى هذا أن يبطل عملها في الاسم لكن أبقوا عملها في أقرب المعمولين وجعلت هي مع معمولها بمنزلة مبتدأ والخبر بعدها على ما كان عليه مع التجرد وإذا كان كذلك لم يثبت عمل لا في المعرفة وأما الثاني فلأن اسم لا هو المستثنى منه وذلك أن الاسم المعظم إذا كان خبراً كان الاستثناء فيه مفرغاً والمفرغ هو الذي لا يكون المستثنى منه منه كورائهم الاستثناء فيه إنما هو من شيء مقدر لصحة المعنى ولا اعتداد بذلك المقدر لفظاً ولا خلاف يعلم في نحو ما زيد القائم إن قائماً خبر عن زيد ولا شك أن زيداً فاعل في قوله ما قام إلا زيد معني مستثنى عن مقدر في المعنى التقدير ما قام أحد إلا زيد فعلى هذا لا منافاة بين كون الاسم المعظم خبراً عن اسم قبله وبين كونه مستثنى من مقدر إذ جعل خبراً منظوراً فيه إلى جانب اللفظ وجعله مستثنى منظوراً فيه إلى جانب المعنى وأما الثالث فهو أنه يقال إن قولك بأن الخاص لا يكون خبراً عن العام مسلم لكن في

الامام السنوسي تفسير الاله بالغنى المطلق عن كل ما سواه المفتقر اليه جميع من عداه وهذا ان الوصفان
 يوجبان له التعزز بجميع صفاته العليا واسماؤه الحسنى ويوجبان له عز شأنه التفرد بملك الضر والنفع
 والعطاء والمنع فليس للمخلق ولي من دونه ولا شفيع الا من بعد اذنه وكلهم داخلون تحت ظلال امره
 والمتقدمون من المشركين الأولين وان كانوا يعامون ان ذلك خاص بالله وحده فذلك كانوا
 يسمونه سبحانه وتعالى اله الآلهة زاعمين ان الله تبارك وتعالى لا يسمع الخلق كافهم وانهم قد جعلوا
 اشياء من صور وتماثيل يسمونها آلهة ولا يعتقدون حقيقة الألوهية فيها بل يرون انها وسائل تقر بهم
 الى الله وتشفع لهم عند الله وانما أنكر واعلى النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بكملة التوحيد وقالوا
 اجعل الآلهة اهلوا واحدا والدليل على ذلك قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض
 وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الى غير ذلك من الآيات التي تفيد اقرارهم بملكه

لا اله الا الله لم يخبر بخاص عن عام لان العموم منفي والكلام انما سبق لنفي العموم وتخصيص الخبر
 المذكور بواحد من افراد ما دل عليه اللفظ العام (قوله بالغنى المطلق الخ) فيكون معنى كلمة
 التوحيد لا مستغن عن جميع ما سواه ولا مفتقر اليه جميع من عداه الا الله (قوله وهذا ان
 الوصفان) اعني استغناءه عن كل ما سواه وافتقاره من عداه اليه وقوله يوجبان له التعزز بجميع
 صفاته الخ اما استغناؤه عن جميع ما سواه فيوجب له الوجود والعدم والبقاء اذ لو لم يجب له تعالى هذه
 الصفات لكان محتاجا الى محدث لان انتفاء شيء من هذه الصفات يستلزم الحدوث وكل حادث مفتقر
 الى محدث وكذا يوجب له التنزه عن النقائص ويدخل في التنزه عنها وجوب السمع والبصر
 والكلام اذ لو لم يجب له تعالى هذه الصفات لكان متصفا بالنقائص ومحتاجا الى من يدفع عنه تلك
 النقائص وكذا يوجب له تعالى التنزه عن الأغراض في أفعاله وأحكامه اذ لو لم يجب له تعالى التنزه عن
 الأغراض لكان محتاجا الى ما يحصل به غرضه وكذا يوجب له تعالى أن لا يجب عليه فعل شيء من
 الممكنات ولا تركه اذ لو وجب عليه فعل شيء منها لكان محتاجا الى ذلك الشيء ليتكامل به اذ لا يجب له
 تعالى الا ما هو كمال وأما افتقار جميع ما عداه اليه فيوجب له تعالى القدرة والارادة والعلم والحياة
 اذ لو لم يجب له تعالى هذه الصفات لكان عاجزا عن ايجاد شيء من الكائنات وكذا يوجب له تعالى
 الوحدة اذ لو لم يجب له بل كان معه ثان في الألوهية لم يفتقر اليه شيء من الكائنات ويؤخذ من افتقار
 جميع ما عداه اليه تعالى حدوث العالم بأسره اذ لو كان شيء منه قديما لكان مستغنيا عنه غير محتاج
 اليه (قوله ويوجبان له التفرد بملك الضر والنفع الخ) اذ لو كان في شيء من المخلوقات تأثير في أثر ما
 لكان ذلك الأثر مستغنيا عنه تعالى غير مفتقر اليه (قوله اجعل الآلهة اهلوا واحدا) بأن جعل
 الألوهية التي كانت لهم لواحد (قوله فأنى يؤفكون) يصرفون عن توحيد بعد اقرارهم بذلك

الحقيقي هذه الأمور الجسام والأحكام العظام وقوله سبحانه وانزل عليهم نبأ إبراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظال لها كما كفينا قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون يدل دلالة لا محيد عنها على أنهم كانوا لا يعتقدون استقلال آلهتهم بالنفع والضرو غيرهما وكذلك ما رواه أحمد في مسنده والترمذي في جامعه من حديث حصين بن المنذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا حصين كم تعبد قال سبعة ستة في الأرض وواحد في السماء قال فمن الذي تعبد في رغبته ورهبتك قال الذي في السماء إلى آخر الحديث يدل دلالة ظاهرة على أنهم يفردون تلك الأمور وأنهم كانوا يقولون في تلبيتهم لا شريك لك الا شريك تملكه وما ملك فجميع ذلك يدل على أنهم لا يسمونها آلهة بالمعنى الذي ذكره الامام السنوسي وإنما يعبدونهم ليقربوهم إلى الله زلفى وان أطلقوا عليهم اسم الآلهة وبه صرح المحقق الشريف في شرحه للمواقف واذا لم يكن ذلك مراد من هذه الكلمة الطيبة فالأولى تفسير الآلهة بما تقدم وهو المناسب لوجود الاستعمال والقاطع لمواد الفساد الجامع لما من الموحدين اذ ليسكن مراده رحمه الله تعالى انه اذا قال الموحدين وتأمل في معنى هذه الكلمة التي هي كلمة التقوى فوصف الله تعالى بالغنى الذاتي عن كل ما سواه وافتقار جميع من عداه اليه فهو سيده ومولاه فبرزت أنوار التوحيد من آفاق فؤاده وأخلص سره عن شوب الشرك والحادة تيقن ان ذلك الموصوف العظيم والمهيمن

(قوله وقوله سبحانه) مبتدأ خبره يدل على (قوله وانزل عليهم) أى على مشركى العرب (قوله ماذا تعبدون) سألتهم ليريه ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة وقوله فنظال نظال هنا بمعنى ندوم (قوله هل يسمعونكم) أى يسمعون دعاءكم أو يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة اذ تدعون وقوله اذ تدعون أى عليه (قوله أو ينفعونكم) على عبادتكم لها وقوله أو يضرون من أعرض عنها (قوله بل وجدنا آباءنا كذلك) أضر بوا عن أن يكون لهم سمع أو يتوقع منهم نفع أو ضرر والتجؤا إلى التقليد (قوله يدل) خبر المبتدأ (قوله زلفى) قربى أو منزلة (قوله وافتقار) احتياج (قوله فبرزت) أشرقت (قوله آفاق) جمع أفق الناحية (قوله شوب) خاط (قوله العظيم) فسر صاحب المواقف العظيم بقوله أى انتفت عنه صفات النقص فرجعه صفة سلبية وقيل معنى العظيم انتفى عنه جميع صفات النقص وحصل له جميع صفات الكمال فيرجع إلى الصفات السلبية والثبوتية معا (قوله المهيمن) أصله مؤمن من الأمن قلبت همزة هاء ومعناه الشاهد وفسر كونه شاهدا تارة بالعلم فيرجع إلى صفة العلم وأخرى بالتصديق بالقول فيرجع إلى صفة الكلام وقيل معنى المهيمن الأمين أى الصادق في قوله وقيل هو بمعنى الحفيظ وقال البيضاوى المهيمن الرقيب الحفيظ لكل شئ

الكريم هو المختص بالوحدانية من العابدین المطالبين قضاء الخوائج لجميع العالمين فاذا قال لا اله الا الله اقر وأذعن اذعانا وافيوا واعترف اعترافا صحيحا كافيا أن لا مستحق للألوهية وهي استحقاق العبادة الا الله وحده فبرئ عن عبادة كل معبود ونفى ان يكون له غيره بهذا الوصف موجود وأثبت الألوهية لاستحقاقها ووضعها في موضعها فكان أحق بها وأهلها فلا بد للمسلم ان يعرف ما تعبد به الله به من أنواع العبادات ويميزها عما التبتت به من سبب العبادات ليخصها بالاله الحق خالق الأرض والسموات ومن نظر بعين البصيرة في الآيات القرآنية والسير النبوية علم كيف يكون المدخل والمخرج فازداد تبصرا ونورا قائلا رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وهذه الكلمة الطيبة هي مبنى العقائد الدينية وأساس المقاصد الإسلامية قد فطر الله عليه جميع الناس وأطلع بدرها في غياهب الالتباس وبالتحقق بما تؤدیه أمر العباد ولاجلها جردت سيوف الجهاد فليس لاحد غيره فيارضيه واختاره مما هو مختص بجلاله وعظمته من صنوف العبادات نصيب بل هي مختصة بالمالك الصمد القريب المجيب فاشهد الله سبحانه ولا يشهد كل انى أعلم وأعمل بقتضي ما أعلم أن لا معبود بحق في الوجود الا الله وحده لا شريك له فمن عبد من دونه أو معه فعبادته

(قوله الكريم) ذو الجود وقيل المقتدر على الجود ورجعها الفعل والقدر وقيل معناه العلى الرتبة فيرجع الى صفة اضافية وقيل الذى يغفر الذنوب وفي بعض شروح الحديث الكريم هو الذى اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا أعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالي كم أعطى ولمن أعطى وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفى عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذبه والتجاء ويغنيه عن الوسائل والشفعاء من اجتمع له جميع ذلك لا بالاكساف فهو الكريم المطلق وذلك له تعالى فقط (قوله وأذعن اذعانا) انقادا لقيادا (قوله فى الآيات) جمع آية وهي طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها (قوله القرآنية) المنسوبة الى القرآن وهو اسم الكتاب ان الله تعالى وقد اختلفوا في وجه تسميته بالقرآن والصحيح ما روى عن الامام الشافعى وهو ما قال به جماعة من أهل العلم انه اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله تعالى مثل التوراة والانجيل (قوله والسير) جمع سيرة وهي السنة والطريق (قوله النبوية) المنسوبة الى النبي صلى الله عليه وسلم (قوله مدخل صدق) ادخالا مرضيا (قوله مخرج صدق) اخراجا ملقى بالكرامة (قوله سلطانا نصيرا) حجة تنصرني بها على من خالفني (قوله الدينية) المنسوبة الى دين محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وأساس) أصل (قوله فطر) خلق (قوله بدرها) البدر القمر اذا اكمل (قوله غياهب الالتباس) ظلمة الاشتباه (قوله بالمالك) المتصرف في مخاويله كيف يشاء (قوله الصمد) المصمود اليه أى المقصود في جميع الخوائج (قوله المجيب) لادعية

زور وبهتان وأنا بريء من عبادة غيره مستعين بالله من غوائل الشيطان فلا أعبد إلا إياه وبه أستعين في ملازمة ما يحبه ويرضاه ولا حول لي عن المعصية ولا قوة لي على الطاعة ومنها هذا التحول إلى الله وحاصل القول الفصل ما قاله الفاضل ابن القيم في شرح منازل السائرين إلى رب العالمين عند إرادته مقامات الكمال من الصالحين وتغييرهم عنها بالبقاء والفناء وغير ذلك ما نصه والجامع لهذا كله تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله علما ومعرفة وعملا وحالا وقصد أو حقيقة هذا النفي والاثبات الذي تضمنته هذه الشهادة هو الفناء والبقاء فيغني عن تأله ما سواه علما وإقرارا وتعبدا ويبقى بتأله وحده فهذا الفناء وهذا البقاء هو حقيقة التوحيد الذي اتفقت عليه المراسلون وأنزلت به الكتب وخلقت لأجله الخليفة وشرعت له الشرائع وقامت عليه سوق الجنة وأسس عليه الخلق والأمر وحقيقته أيضا البراء والولاء البراء من عبادة غير الله والولاء لله كما قال تعالى لقد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدأيننا وبيدكم العداوة والبغضاء أبدأ حتى تؤمنوا بالله وحده

عباده (قوله زور وبهتان) كذب وشرك وباطل (قوله مستعين) ملتجأ (قوله غوائل) دواهي (قوله ولا حول لي عن المعصية) أي لا تحويل ولا انصراف لي عن معصية الله إلا بعصمة الله أي بحفظه (قوله على الطاعة) أي طاعة الله أي عبادته (قوله إلا بالله) أي بمعونة (قوله والفناء) وهو الذي يسميه الصوفية بتوحيد خاصة الخاصة حيث انهم قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام توحيد العامة وتوحيد الخاصة وتوحيد خاصة الخاصة وتحقيق ذلك مذكور في كتب الصوفية قال شارح العقيدة الطحاوية وهو أي توحيد خاصة الخاصة الذي ينتهي إلى الفناء ورب حظير يفضي إلى الاتحاد انظر إلى ما أنشده شيخ الإسلام أبو اسمعيل الأنصاري رحمه الله حيث يقول

ما وحده الواحد من واحد * إذ كل من وحده جاحد

توحيد من ينطق عن نعته * عارية أبطلها الواحد

توحيد إياه توحيد * ونعت من نعت لا حد

وان كان قائله رحمه الله لم يرد الاتحاد لكن ذكر لفظا مجازا جذب به الاتجاه إليه وأقسم بالله جهده أيمانه أنه معه ولو سلك الألفاظ الشرعية التي لا اجال فيها كان أحق مع أن المعنى الذي حمله لو كان مطاوعا بمنالبيه الشارع عليه ودعا الناس وبينه فان على الرسول البلاغ المبين فأين قال الرسول هذا توحيد العامة وهذا توحيد الخاصة وهذا توحيد خاصة الخاصة إلى آخر ما قال (قوله سوق) جمع ساق (قوله أسوة) قدوة اسم لما يأتي به (قوله برآء) جمع برىء (قوله بكم) أي بدينكم أو بعبودكم أو بكم وبه (قوله حتى تؤمنوا بالله وحده) فتشقلب العداوة والبغضاء الفقة ومحبة

وقوله تعالى واذ قال ابراهيم لأبيه انى برى مما تعبدون الا الذى فطرني فانه سيهدين وقال
 أيضا يا قوم انى برى مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض
 حنيفا وقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون الى آخر
 السورة وهذه براءة منهم ومن معبودهم وسماها براءة من الشرك وهى حقيقة المحو والاثبات
 فيمحو الهية ما سوى الله من قلبه عاما وقصد اوعبادة كماهى بمحوه من الوجود ويثبت فيه
 الهيته سبحانه وحده وهى حقيقة الجمع والفرق فيفرق بين الاله الحق ومن ادعى ان الهية الالهية
 بالباطل ويجمع تأله وعبادته وحبه وخوفه ورجاءه وتوكله واستغاثته على الهه الحق الذى لا اله سواه
 وهى حقيقة التجريد والتفريد فيتجرد عن عبادة ما سواه ويفرده وحده بالعبادة فالتجريد ينفي
 والتفريد يثبت ومجموعهما هو التوحيد فهذا كله متعلق بتوحيد الهية وهو النافع المثمر المنجى
 الذى به تنال السعادة والفلاح وأما تعلقه بتوحيد الربوبية الذى أقربه المشركون بعباد الأصنام
 فغايته فناء فى تحقيق توحيد مشترك بين المؤمنين والكفار وأولياء الله وأعدائه لا يصير به وحده
 الرجل مسلما فضلا عن كونه عارفا محققا وهذا الموضوع مما غلط فيه أكابر من الشيوخ والمعصوم من
 عصمه الله والله المستعان انتهى وقال أيضا فى مكان آخر من هذا الشرح فالفسكرة فى التوحيد
 استحضار أدلته وشواهد الدال على بطلان الشرك واستحالة وان الهية يستحيل ثبوتها لاثنيين
 كما يستحيل ثبوت الربوبية لاثنيين فكذلك باطل عبادة اثنيين والتوكل على اثنين بل لا تصلح
 العبادة الا للاله الحق والرب الحق وهو الله الواحد القهار هذا كلامه فى الموضوعين فليتأمل فيه
 ذو عينين وفيما ذكرناه مع ما نقلناه كفاية للمستبصرين وذكري للناظرين اللهم اهدنا الصراط
 المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين

(قوله واذ قال ابراهيم) واذ كروقت قوله هذا (قوله براء مما تعبدون) برى عن عبادتكم
 أو معبودكم (قوله الا الذى فطرني) استثناء منقطع (قوله سيهدين) أى سيثبتنى على الهداية
 أو سيهدين الى وراء ما هدى الى اله (قوله وقال) أى ابراهيم (قوله مما تشركون) يعنى الأصنام
 (قوله حنيفا) مأثلا عن الباطل الى الحق (قوله الا للاله الحق) أى المتحقق وجوده أى
 الثابت فأحق الموجودات بأن يكون حقا هو الله تعالى قال فى شرح المواقف معناه العدل وقيل
 الواجب لذاته أى لا يفتقر فى وجوده الى غيره وقيل معناه المحق أى الصادق فى القول وقيل مظهر
 الحق (قوله الواحد) هو الذى لا يتجزأ ولا يتصور فيه التجزؤ وقالوا واحد هو الذى لا جزء له (قوله
 القهار) هو الغالب الذى لا يغلب فهو صفة فعالية وسلبية (قوله أنعمت عليهم) وهم الأنبياء (قوله
 غير المغضوب عليهم) وهم اليهود لقوله تعالى منهم من لعنه الله وغضب عليه (قوله ولا الضالين)

الباب الخامس في بيان توحيد الله في ربوبيته وألوهيته واستحقاق عبادته وبيان

معنى العبادة وأنواعها وما يلزم المكلف من أفراد معاملته تعالى

بما يختص بالالهية

اعلم أن التوحيد فعل للموحد وهو وصف الله تعالى بالوحدانية وذلك نوعان توحيد في ربوبيته وهو الذي يسميه أهل الكلام توحيد الأفعال الحاصل بعد توحيد الذات والصفات وتوحيد في ألوهيته وهما خواص قد اختص الله سبحانه بجميعها فهو الإله الحق المختص بأن يعامل بها ولا بد لكل موحد أن يفرد بالمعاملة بكل واحدة منها فلو عامل غيره ولو بواحدة من هذه الخواص فقد عطل معاملة الإله الحق الذي يجب عليه أفراد هذه المعاملة ويكون حينئذ ذلك الغير الها باطلا له قد تأله بمعاملته العاطلة التي هي من خواص الإله الحق وهذا هو الشرك في الألوهية ولما كان من أجلي خواص الألوهية استحقاق العبادة والتفرد بجميع أنواعها وكانت العبادة نسبة بين عابد ومعبود اقتضى الحال بيان العبادة بأنواعها بعد بيان توحيد الربوبية والألوهية وبيان خواص الألوهية مما يلزم المكلف من أفراد معاملة الإله الحق بكل فرد منها فنقول وبالله التوفيق ويبدء أزيمة التحقيق توحيد الربوبية هو الذي أقرت به الكفار جميعهم ولم يخالف أحد منهم في هذا الأصل إلا الثنوية وبعض المجوس وسيأتي الكلام على ما قالوه في بيان الشرك الأكبر أعاذنا الله منه وأما

وهم النصارى لقوله تعالى فقد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا (قوله توحيد الأفعال الحاصل بعد توحيد الذات والصفات) وهذا التوحيد حق لا ريب فيه وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية ولم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم بل القلوب مغطورة على الإقرار به أعظم من كونها مغطورة على الإقرار بغيره من الموجودات كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم قالت رسالهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض وأشهر من عرف تجاهله وأظا هره بانكار الصانع فرعون وكان مستيقنا في الباطن كما قال له موسى لقد علمت ما أنزل هؤلاء الأرب السموات والأرض بصائر وقال تعالى عنه وعن قومه ومجده واجها واستيقنتها أنفسهم ظاهرا وعلاوحتي أن الثنوية من المجوس والمناوية القائلين بالأصاين النور والظلمة وأن العالم صدر منهما متفقون على أن النور خير من الظلمة وهو الإله المحمود وأن الظلمة شريرة مذمومة وهم متنازعون في الظلمة هل هي قد يمة أو محدثة فلم يثبتوا رين متماثلين ولكن النزاع إنما هو في توحيد الألوهية (قوله بعد بيان توحيد الربوبية) وبيان أن الله خالق كل شيء (قوله والألوهية) وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له (قوله التوفيق) وهو خلق قدرة الطاعة في العبد (قوله أزيمة) جمع زمام (قوله الاثنوية وبعض المجوس الخ) وأما النصارى القائلون

غيرهم من سائر فرق الكفر والشرك فقد اتفقوا على ان خالق العالم ورزقهم ومدبر أمرهم ونافعهم
 وضارهم ومجيرهم واحد لا رب ولا خالق ولا رازق ولا مدبر ولا نافع ولا ضار ولا مجير غيره كما قال سبحانه
 وتعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله قل
 لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك
 السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله
 ولا يستقيم التوحيد لاربو بية فضلا عن توحيد الألوهية لا بتوحيد الصفات المترتب على توحيد
 الذات لان صفاته تعالى لا تشبه صفات المخلوقين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقد مر ان أهل
 الكلام يسمون هذا النوع من التوحيد توحيد الأفعال لما ذكره بعض المحققين ان حقيقة الربوبية
 تستلزم جميع صفات الفعل وصفة الألوهية تستلزم جميع أوصاف الكمال والاحلال الى آخر ما قال
 وأما توحيد الألوهية فهو افراد العبادة لله الواحد الصمد لان الاله من يقصد للعبادة فهو يعامل بما
 يجب على المكلفين من افراد الاله الحق به من سائر وجوه المعاملات التي هي من العبادات المختصة
 بالله الأرض والسموات كما قال تعالى وما خلت الجن والاناس الا ليعبدون ولقد بعثنا في كل أمة رسولا
 أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاعات وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه والقرآن طافح من أمثال ذلك

بالتأليف فانهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض بل هم متفقون على ان صانع العالم
 واحد بل الرب عندهم هو واحد بالذات ثلاثة بالاقنوم والاقانيم يفسرونها تارة بالخواص وتارة
 بالصفات وتارة بالاشخاص وفساد ذلك مبين في محله (قوله ولئن سألتهم من خلق السموات
 والأرض ليقولن الله) لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطررنا الى اذعانه
 (قوله ولئن سألتهم من خلقهم) أي العابدين أو المعبودين (قوله أم من يملك السمع والأبصار)
 أي أم من يستطيع خلقهما وتسوية سماؤهم من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من
 أدنى شئ (قوله ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) أي ومن يحيي ويميت أو من
 ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه (قوله ومن يدبر الأمر) ومن يسلي تدبر الأمر من العالم من
 الإيجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك وهو تعميم بعد تخصيص (قوله الا ليعبدون) أي
 الا لأمرهم بالعبادة أو ليعبدوا (قوله أن اعبدوا الله الخ) أي يأمر بعبادة الله واجتناب
 الطاعات (قوله وقضى ربك) أي أمراً مطوعاً به (قوله أن لا تعبدوا الاياه) لان غاية
 التعظيم لا تجوز الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام (قوله من أمثال ذلك) بل غالب سور القرآن
 وآياته متضمنة لنوعى التوحيد وبيانها وتحقيق شأنهما فان القرآن اما خبر عن الله وأسمائه وصفاته
 وأفعاله فهو التوحيد العاصي الخبري وامادعوة الى عبادته وحده لا شريك له وقلع ما يعبد من دونه

ولاشك ان من عبده معه غيره سبحانه وتعالى فقد جعل ذلك الغير شركا لاله الحق في اهليته سواء سماه اهل ايم لم يسمه فان هذا الفعل الصادر منه جعل واتخاذ واللّه تعالى قد عبر عن شركهم هذا باجعل واتخاذ فقال عز من قائل واتخذوا وجعلوا ويجعلون الى غير ذلك من صدور الآيات البينات التي رد الله عليهم بها اذا علمت هذا تبين لك ان المعركة بين اهل التوحيد والمشركون في الألوهية فقط وان اهل التوحيد يفر دونه سبحانه بحقوقها والمشركون يجعلون بعضها لمن تألهوه من متخذاتهم ففرقوا دينهم وقادروا أمرهم واجعلهم الجميع له كما قال تعالى وقاتلواهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله الا الله الدين الخالص أى من شوائب الشرك وجميع الرسل من أولهم الى آخرهم دعوا الى توحيد الله وعبادته فقال نوح لقومه يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وكذلك قال هود وصالح وشعيب وابراهيم على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقد قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون وبذلك يكون التحقيق بمعنى قوله تعالى اياك نعبد المفيدة افادة صريحة ان العبادة مقصورة عليه ومخصوصة به واليه فهي الغاية القصوى والوسيلة الوثيقة وقد

فهو التوحيد الادارى الظلي واما أمر ونهى والزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته واما خبر عن اكرامه لاهل توحيدهم وما فعل بهم في الدنيا وما بكرمهم به في العقبى فهو جزء توحيدهم واما خبر عن اهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحصل بهم في العقبى من العذاب والسلاسل والاغلال فهو جزء من خرج عن حكم التوحيد فالقرآن كله في التوحيد وحقوق أهله وجزائهم وفي شأن ذم الشرك وعقوق أهله وجزائهم (قوله اتخذوا) قال تعالى فاؤلا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرىانا آلهة وقال تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون وقال لا تتخذوا الهين اثنين (قوله وجعلوا) قال تعالى وجعلوا لله شركاء الجن وقال وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله وقال ولا تجعل مع الله الها آخر (قوله ويجعلون) قال تعالى ويجعلون لئلا يعلمون نصيبا مما رزقناهم أى لا تهتمهم التى لا علم لها لانها جاد (قوله المعركة) موضع العراك (قوله حتى لا تكون فتنة) أى لا يوجد فيهم شرك (قوله ويكون الدين كله لله) ويضمحل عنهم الاديان الباطلة (قوله اعبدوا الله) أى وحده (قوله وكذلك قال هود وصالح وشعيب) أى قال كل منهم لقومه يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره (قوله وابراهيم) كما قال تعالى وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلك خير لكم ان كنتم تعامون (قوله وقد قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه الخ) وقال ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت (قوله القصوى) أى البعيدة (قوله ونقل عن علقمة الخ) أخرجه الحاكم في مستدركه والبيهقي في الدلائل والبخاري في مسنده من طريق الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن

جعل الله سبحانه العبودية وصفاً لكل الخليقة وأقر بهم اليه وذكر نبينا صلى الله عليه وسلم بهما في
 أسنى مقاماته وأضاف خواص المؤمنين بوصف العبودية اليه في مخاطباته يعلم ذلك من تأمل في آي
 القرآن العزيز فإنا جعل صلى الله عليه وسلم احسان العبادات أعلى مراتب الدين وفي مرتبة عين
 اليقين هذا وقد رد الله سبحانه على من خالف هذا الأصل وحكم على الوصل بحكم الفصل وهم
 المشركون الذين وحدوه بالربوبية وأثركوا به في الألوهية توحيدهم فأقامه حجة بالغة وساطة أميننا
 قام بالشرك في الألوهية موجبا لافراده فيها أيضا وأنه ينبغي أن لا يعبد غيره كما أنه لا خالق غيره ولا رب
 سواه يعلم ان العبادات لغة الذل والانقياد واصطلاح اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال
 والأعمال الباطنة والظاهرة كالنحو حيد فانه عبادته في نفسه والصلاة والزكاة والحج وصيام رمضان
 والوضوء وصلة الأرحام وبر الوالدين والدعاء والذكر والقراءة وحب الله وخشية الله والانابة اليه
 وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته
 والخوف من عذابه وغير ذلك مما رضى وأحبه فأمر به وتعبد الناس فيه قال العلامة عمر بن
 عبد الرحمن الفارسي في كشفه على الكشاف للزمخشري عند تفسير قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا
 ربكم الذي خلقكم وهو خطاب للمشركي أهل مكة ونقل عن علقمة ان كل خطاب بيا أيها الناس فهو
 مكّي و بيا أيها الذين آمنوا فهو مدني ما لفظه تحرير الكلام فيه ان العبادات قد تطلق على أعمال
 الجوارح بشرط قصد القربة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف
 عابد وهي على هذا غير الإيمان بمعنى التصديق والنية والإخلاص بل مشروطة بها وقد تطلق على
 التحقيق بالعبودية بارتسام ما أمر السيد جل وعلا ونهى وعلى هذا تناول الأعمال والعقائد القلبية
 أيضا فيدخل فيها الإيمان وهو عبادته في نفسه وشرط لسائر العبادات انتهى وقال ابن القيم في شرح
 منازل السائرین مانصه فالعبادة تجمع أصليين غاية الحب بغاية الذل والخضوع والعرب تقول طريق
 معبد أي منزل والتعبد التذلل والخضوع فمن أحببته ولم تكن خاضعا له لم تكن عابدا له ومن خضعت
 له بلا محبة لم تكن عابدا له حتى تكون محبا خاضعا ثم قال في مكان آخر من شرحه هذا مراتب العبودية

عبد الله قال ابن عطية وغيره هو في بيا أيها الذين آمنوا صحيح وأما في بيا أيها الناس فقد يأتي في المدني
 وقال ابن الحصار قد اعتنى المتشاعلون بهذا الحديث واعتمدوه على ضعفه وقد اتفق الناس على ان
 النساء مدنية وأهلها بيا أيها الناس وعلى ان الحج مكية وفيها بيا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا قلت
 فعلى هذا يكون الخطاب بيا أيها الناس مكّي و بيا أيها الذين آمنوا مدني انما هو في الاكثر كما قال
 مكّي أو يحمل على انه خطاب المقصود به أو جعل المقصود به أهل مكة أو المدينة كما قال غيره والبحث
 مستوفى في الاتقان للإمام السيوطي (قوله طريق معبد أي مدني) وثوب ذو عبدة اذا كان في

وأحكامها لكل واحد من القلب واللسان والجوارح فواجب القلب منه متفق على وجوبه ومختلف فيه فالمتفق على وجوبه كالاخلاص والتوكل والمحبة والصبر والانابة والخوف والرجاء والتصديق الجازم والنية للعبادة وهذه قدرزائد على الاخلاص فان الاخلاص افراد المعبود عن غيره ونية العبادة لها مرتبتان أحدهما تمييز العبادة عن العادة والثانية تمييز مراتب العبادات بعضها عن بعض والأقسام الثلاثة واجبة وكذلك الصدق والفرق بينه وبين الاخلاص ان للعباد مطاوعا وباطلها فالاخلاص توحيد مطاوع به والصدق توحيد التطلب فالاخلاص أن لا يكون المطاوع منقسما والصدق أن لا يكون الطلب منقسما فالصدق بذل الجهد والاخلاص افراد المطاوع واتفقت الأمة على وجوب هذه الأعمال على القلب من حيث الجملة وكذلك النصيح في العبودية ومدار الدين عليه وهو بذل الجهد في إيقاع العبودية على الوجه المحبوب للرب المرضي به وأصل هذا واجب وكماله مرتبة المقر بين وكذلك كل واحد من هذه الواجبات القلبية له طرفان واجب مستحق وهو مرتبة أصحاب اليمين وكمال مستحب وهو مرتبة المقر بين انتهى بعض ما قاله في بعض عبودية القلب وعقبه بعبودية اللسان الواجب منها والمستحب وعبودية الجوارح الواجب منها والمستحب أيضا ومن اشتغل بالنظر إلى أنواع العبادات هان عليه تمييزها وتبيينها والله الهادي إلى سواء السبيل وبالجملة فكل عبادة فهي مقصورة على الإله الواحد من أعمال القلوب والجوارح فكما لو صلى لغير الله أو صام على وجه التقرب إليه كان كافرا مشركا عند جميع الناس فكذلك من تقرب إليه بالأعمال القلبية المذكورة من التوكل والانابة والخوف والرجاء وغير ذلك لكان ما كانت هذه الأمور القلبية من التأله وكان الأولون يتأهلون بها ويسمون من تؤله بها الها وكان مرجع كل ذلك إلى القلب وأعماله التي هي منبع التوحيد ومصدر هذا الدين والمرجع إليه في الشك واليقين ومع ذلك فهي الفارقة بين الإله الحق الذي اختص بها على الدوام والإله الباطل الذي لا يحوم الموحد حوله بهذا المقام كان ذلك هو الداعي للتخصيص والموجب للتبسيط وأيضا فالكلام مع من حصل منه الشرك بما تأله في قلبه ورسخ بفؤاده ولبسه من الأعمال الغير المختصة بالمسلمين وأما هذه الأعمال الظاهرة الشرعية المختصة بهم فلا يتعاطاها أحد من سوادهم نرها تعمل إلا لله ولم يعبدوا بها إلا إياه فهذا هو الذي أوجب تخصيصهم لهذه الأعمال القلبية وبعض البدنية كالسجود وخلق الرأس عبودية والجميع العبادات قلبية وقوليها وبدنيها المختصة به سبحانه وتعالى لا تصلح الإله قال المحقق السعد التفتازاني في شرحه للمقاصد ما نصه اعلم ان حقيقة التوحيد اعتقاد عدم الشريك في الألوهية وخواصها ولا نزاع بين أهل الاسلام ان خلق الأجسام وتدبير العالم واستحقاق العبادة من الخواص ثم قال في آخر

غاية الصفاقة (قوله الجهد) الطاقة (قوله هان) سهل (قوله ورسخ) ثبت

هذا المبحث وبالجملة فان التوحيد في الألوهية واجب شرعا وعقلا وفي استحقاق العبادة شرعا وما أمر والى عبد والها واحد سبحانه وتعالى عما يشركون انتهى وحيث اتسع الكلام بحسب المقام ننقل ما قاله الفاضل ابن القيم في كتابه الجواب الكافي عن الدواء الشافي مانصه ومن خصائص الالهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب العبادة كلها له وحده والتعظيم والاحلال والخشية والدعاء والرجاء والانابة والتوبة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب كل ذلك يجب عقلا وشرعا وفطرة ان يكون له وحده ويمنع الغير التشبيه به من لا شبيه له ولا مثل له ولا ند له وذلك أقبح التشبيه وأبطله واشد قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه عباده انه لا يغفره مع انه كتب على نفسه الرحمة ومن خصائص الالهية العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما وهما غاية الحب مع غاية الذل هذا تمام العبودية وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم في هذين الأصلين فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبه به في خالص حقه وهذا من المحال ان تجيء به شريعة من الشرائع وقبحه مستقر في كل فطرة وعقل ولكن غيرت الشياطين فطرا أكثر الخلق وعقولهم وأفسدتها عليهم واغتالتهم عنها ومضى على الفطرة الأولى من سبقت له من الله تعالى الحسن فأرسل اليهم رساله صلى الله عليهم وسلم وأنزل كتبه بما يوافق فطرتهم وعقولهم فازدادوا بذلك نورا على نور يهدي الله لنوره من يشاء اذا عرفت هذا فمن خصائص الألوهية السجود فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق به ومنها التوكل فمن توكل على غيره فقد شبه به ومنها التوبة فمن تاب الى غيره فقد شبه به ومنها الخلف باسمه تعظيما واجلالا فمن حلف بغيره على هذا الوجه فقد شبه به به انتهى ما قاله والمقصود من ذلك كله القيام بالقسط الذي هو التوحيد وهو عبادة الله وحده لا شريك له قال عز من قائل قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين وقال تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون فهذا التوحيد أعظم العدل وأقومه وأصل الدين ومحكمه وذلك بأن يكون الدين كله لله قولا وعملا واعتقادا باخلاص هذه الكلمة الطيبة في لفظها ومعناها شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وروح هذه الكلمة افراد الرب جل ثناؤه وتقدس استأشأوه

(قوله بالقسط) بالعدل وهو الوسط من كل أمر المتجاني عن طرفي الإفراط والتفريط (قوله وأقيموا وجوهكم) أي توجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها (قوله عند كل مسجد) أي في وقت كل سجود أو مكانه وهو الصلاة أو في أي مسجد حضرتم الصلاة (قوله وادعوه) أي اعبدوه (قوله مخلصين له الدين) فان اليه مصيركم (قوله من رسلنا) أي رسل أممهم وعلماء دينهم (قوله أجعلنا الخ) هل حكمنا بعبادة الاوثان أو هل جاء في ملة من مللهم والمراد به الاشتهار

ولا اله غيره بالمحبة والاحسان والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك من التوكل والانابة والرغبة
والرهبة فلا يجب سواه وكل ما يجب غيره فانه ما يجب به المحبة وتبع المحبة وكونه وسيلة الى زيادة محبته ولا يخاف
سواه ولا يرجو سواه ولا يتوكل الا عليه ولا يرغب الا اليه ولا يرهب الا منه ولا يعمل عملا قد تعبد
الناس به الا افرده به ولا يشرك غيره معه فيكون قد جمع جميع أنواع العبادات فيه قوله وعملا
واعقادا وتحقق بما قال وهو كلمة لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون وهذه
الحقوق التي هي حق الله تعالى على جميع عبادته وحكمه الذي اوجبه على سائر مخلوقه تميز المسلمون
واستسلم اليه المسلمون ولما كان الدعاء لا يصدر في الغالب الا من قام بقلبه كمال الذل والافتقار لاسما
في حالة الانكسار والاضطرار كان كما ورد في الحديث مخ العبادات ومن وفق له فقد اوتي الحسنى وزيادة
وهذا الذي ذكرته ملخص ما اشار اليه المحققون مجردا عن اللجاج عريانا عن الاحتجاج وقد احتج
المتكلمون على نفي تعدد الالهة ببرهان التمايز المشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا
وتقريره انه لو أمكن الهان لأمكن بينهما التمايز بأن يريد أحدهما حركة جسم في وقت معين
والآخر سكونه في ذلك الوقت والتالي وهو امكان التمايز باطل فاللزوم مثله اما بيان الملازمة فلان
الحركة والسكون كل منهما أمر ممكن في نفسه وكذا اتعلق الارادة بكل منهما أمر ممكن اذ لا تضاد بين
الارادتين بل بين المرادين وهو ظاهر واما بطلان التمايز فلان التمايز باطل لانه حينئذ اما أن يحصل

باجتماع الانبياء على التوحيد (قوله مخلصين له الدين) من الشرك (قوله ولو كره المشركون)
ذلك الاخلاص وشق عليهم (قوله ببرهان التمايز) من المنع وانما سمي هذا البرهان به لان
ارادة كل منهما تمنع صاحبه عن تنفيذ ارادته وقدرته (قوله لو كان فيهما آلهة الخ) اعلم ان لوفي
هذه الآية ليست لا تتفاء الثاني في الماضي بسبب اتفاء الاول كما هو أصل اللغة بل للاستدلال باتفاء
الجزاء على اتفاء الشرط من غير دلالة على تعيين زمان اه وقد ظن طوائف من أهل الكلام ان
هذه الآية دليل على توحيد الربوبية وغفلوا عن مضمونها فانه سبحانه أخبر انه لو كان فيهما آلهة
غيره ولم يقل أرباب وأيضا فان هذا التمايز بعد وجودهما وان كان فيهما وهما موجودتان اله سواه
لفسدنا وهذا فساد بعد الوجود ولم يقل لم يوجد اودلت الآية على انه لا يجوز ان يكون فيهما آلهة
متعددة بل لا يكون اله الا واحد وعلى انه لا يجوز ان يكون هذا اله الواحد الا الله سبحانه وتعالى
وان فساد السموات والأرض يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة ومن كون اله الواحد غير الله وانه
لا صلاح لهما الا بأن يكون اله فيهما هو الله وحده لا غيره فلو كان للعالم الهان معبودان لفسد نظامه
كأن بقاءهما انما هو بالعدل وبه قامت السموات والأرض وأظلم الظلم على الاطلاق الشرك وأعدل
العدل التوحيد وتوحيد الالهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس (قوله في وقت واحد)

مرادهما فيجتمع الضدان ويكون العالم موجودا معدوما واما لا يحصل مراد كل منهما وهو محال لان الجسم لا يخلو عن الحركة والسكون مع انه يلزم أيضا عجزهما حيثئذ وأيضا يكون العالم لا موجودا ولا معدوما واما ان يحصل مراد أحدهما دون الآخر فيلزم عجز الآخر فاذا كان التمانع باطلا كان امكانه باطلا أيضا لان امكان المحال محال أيضا وقد خُص بعض الأفاضل الدليل على غير هذا الوجه فقال اما في الألوهية عما سواها فان طريق الشرع في ذلك هي الطريقة التي نص الله عليها في كتابه العزيز وذلك في ثلاث آيات احدها قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا والثانية قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا ذهب كل اله بما خلق ولعل بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون والثالثة قوله تعالى قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لا يتغوا الى ذي العرش سبيلا فاما الآية الأولى فدلائلها فطرية مغروزة بالطبع وذلك ان من المعلوم انه اذا كان ملكا كان كل واحد منهم ما فعله فعل صاحبه ليس يمكن ان يكون عن تدبيرهم مدينة واحدة لانه لا يكون عن فاعلين فعل واحد من نوع واحد فيجب ضرورة ان فعلا معان تفسد المدينة الواحدة الا ان يكون أحدهما يفعل ويبقى الآخر عطلا وذلك متتف في صفة الآلهة فانه متى اجتمع فعلا ان من نوع واحد على محل واحد فسد المحل ضرورة أو تمانع الفعل فان الفعل الواحد لا يصدر الا عن واحد فهذه معنى قوله سبحانه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وأما قوله تعالى اذا ذهب كل اله بما خلق فهو رد على من

وفي حالة واحدة (قوله فيجتمع الضدان) قيل يلزم أيضا عجزهما حيث عجز كل منهما عن دفع مراد الآخر وفيه بحث لان مريدا أحد الضدين ساكت عن الضد الآخر لا مريدا عدمه لكن يلزم من عدمه ثبوت ضده فاذا فرض ثبوت الضدين لزوم عدمه فلا يلزم العجز أيضا وانما يلزم في الفرض الآخر كما سيذكره (قوله مع انه يلزم أيضا عجزهما) فيرتفع الضدان (قوله فيلزم عجز الآخر) وهو أمانة الحدوث وأيضا العاجز لا يصلح ان يكون الها قال تعالى أي شركون ما لا يخلقون شيئا وهم يخلقون وقال تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون (قوله لان امكان المحال محال أيضا) وبما ذكره يندفع ما يقال انه يجوز ان يتفق من غير تمانع وأما قول العلامة التفتازاني الآية حجة اقناعية أي يظن في أول الأمر انه حجة ويؤول ذلك عند تحقق المعرفة والملازمة عادية على ما هو اللائق بالخطائيات فان العادة جارية بوجود التمانع والتغالب عند تعدد الحاكم فالحقون كالغزالي والبيضاوي وابن الهمام وغيرهم ما قنعوا بالاقتناعية وجعلوها من الحقائق القطعية والمسئلة مستوفاة في الكتب الكلامية قلت كأن السعد ظن ان هذه الآية مخصوصة للإشارة الى الدليل الذي ذكره فقال ما قال وليس كذلك بل هي تنزل على أي دليل أقيم من دلائل التوحيد فان مدارها على لزوم كون الواجب ممكنا على تقدير التعدد (قوله بعض الأفاضل) وهو صاحب مناهج الأدلة

يضع آلهة كثيرة مختلفة الأفعال وذلك أنه يلزم في الآلهة المختلفة الأفعال التي لا يكون بعضها طبيعا لبعض أن لا يكون عنها وجود واحد بل موجودات كثيرة فيكون العالم أكثر من واحد وهو معنى قوله تعالى لاذهب كل الله بما خلق ولما كان العالم واحدا وجب أن لا يكون موجودا عن آلهة كثيرة متقنة الأفعال وأما قوله تعالى لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لا بتغوا إلى ذي العرش سبيلا فهي كالأية الأولى أعني أنه برهان على امتناع إلهين فعليهما واحد ومعنى هذه الآية أنه لو كان فيهما آلهة قادرة على إيجاد العالم وخلق غير الإله الموجود حتى تكون نسبتها من هذا العالم نسبة الخالق له لوجب أن يكونوا مستوين على العرش معه فكأن يوجد موجودان متماثلان ينسبان إلى محل واحد نسبة واحدة والمتماثلان لا ينسبان إلى محل نسبة واحدة لأنه إذا اتحدت النسبة اتحد المنسوب والمراد أنهما لا يجتمعان في النسبة إلى محل واحد كما لا يحلان في محل واحد إذا كانا شأنيهما أن يكونا بمحل وان كان الأمر في نسبة الإله الحق إلى العرش ضد هذه النسبة أعني أن العرش يقوم به لانه يقوم بالعرش ولذلك قال تعالى وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظها فهذا هو الدليل الموافق للطبيع والشرع في معرفة الوحدة انية انتهى وهو تلخيص حسن قد أجزاه على غير الطريقة الأولى كما ترى وقد فصل ابن القيم ذلك في كتابه الدواء النافع فقال كل شيء له إرادة ومحبة وعمل بحسبه وكل متحرك فاصل حركته المحبة والإرادة ولا صلاح للوجودات إلا بأن تكون حركاتها ومحبتها لفاطرها وبارئها وحده كما لا وجود لها إلا بإداعه وحده ولهذا قال تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ولم يقل سبحانه لما وجدتا لو كانتا معدومتين إذ هو سبحانه قادر على أن يبقيهما على وجه الفساد لكن لا يمكن أن يكونا على وجه الصلاح والاستقامة إلا بأن يكون الله وحده هو معبودهما ومعبود ما حوته وسكن فيهما ما فلو كان للعالم إلهان لفسد نظامه غاية الفساد فان كل إله كان يطالب مغالبة الآخر والعلو عليه وتفرده ونبه بالألوهية إذا الشرك نقص ينافي كمال الإلهية والإله لا يرضى بنفسه أن يكون إلهان ناقصا فان قهرا أحدهما الآخر كان هو الإله وحده والمقهور ليس باله وإن لم يقهر أحدهما الآخر لزم عجز كل منهما ونقصه ولم يكن تام الإلهية فيجب أن يكون فوقهما إله قاهر لهما حاكم عليهما والذهب كل منهما بما خلق وطلب كل منهما العلو على الآخر في ذلك فساد أمر السموات والأرض ومن فيهما كما هو المعبود من فساد البلد إذا كان فيه ملكان متكافيان وأصل فساد العالم إنما هو من اختلاف الملوك والخلفاء ولهذا لم يطمع أعداء الإسلام فيه في زمن من الأزمنة إلا في زمن تعدد ملوك المسلمين واختلافهم وانفراد كل منهم ببلاد وطلب بعضهم العلو على بعض فصلاح

(قوله ولو كانتا معدومتين) أي ولا قال لعدو لنا (قوله وطلب بعضهم العلو على بعض) فلا بد من ثلاثة أمور إما أن يذهب كل إله بخلق وسلطانه وإما أن يعلو بعضهم على بعض وإما أن يكونوا تحت قهر ملك

السموات والأرض واستقامتهما وانتظام أمر المخلوقات على أتم نظام من أظهر الأدلة على أنه لا اله الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وان كل معبود من لدن عرشه الى قرار أرضه باطل الا وجهه الأعلى قال تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا ذهب كل اله بما خلق ولعل بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون وقال تعالى أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهم ما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وقال تعالى لو كان معه آلهة كما يقولون اذا ابتغوا الى ذى العرش سبيلا فقل المعنى لا بتغوا السبيل اليه بالمغالبة والقهر كما يفعل المملوك بعضهم مع بعض ويدل عليه قوله تعالى في الآية الأخرى ولعل بعضهم على بعض قال شيخنا والصحيح ان المعنى لا بتغوا اليه سبيلا بالتقرب اليه وطاعته فكيف يعبدونهم من دونه وهم لو كانوا آلهة كما تقولون لكانوا عبيدا لله قال ويدل على هذا وجوه منها قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه أي هؤلاء الذين تعبدونهم من دونه هم عبادي

واحد يتصرف فيهم كيف يشاء ولا يتصرفون فيه بل يكون وحده هو الاله وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه وانتظام أمر العالم كله واحكام أمره من أدل دليل على ان من دبره اله واحد وملك واحد ورب واحد لا اله الا للخلق غيره ولا رب لهم سواه كما قد دل دليل التمانع على ان خالق العالم واحد لا رب غيره فلا اله سواه فذلك تمنع في الفعل والايجاد وهذا تمنع في العبادة والالهية فكما يستحيل ان يكون العالم ربان خالقان متكافئان كذلك يستحيل ان يكون لهم الهان معبودان فالعلم بأن وجود العالم عن صانعين متماثلين متمتع لذاته مستقر في الفطن معاوم بصريح العقل بطلانه فكذلك تبطل الهية اثنين فالآية الكريمة موافقة لما ثبت واستقر في الفطن من توحيد الربوبية دالة مثبتة لازمة لتوحيد الهية (قوله من ولد) لتقدمه عن مماثلة أحد (قوله من اله) شابهه في الألوهية (قوله عما يصفون) من الولد والشريك (قوله والشهادة) قال البيضاوي وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقه في أنه المنفرد بذلك ولذلك رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء (قوله من الأرض) صفة لآلهة أو متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص (قوله هم ينشرون) الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعائهم لها الألوهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد تجهيلهم واتهمهم وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهوم لاختصاص الانسار بهم (قوله لا يسأل عما يفعل) لعظمته وقوة سلطانه وتفرد به بالألوهية والسلطنة الذاتية (قوله وهم يسألون) لانهم لما كانوا مستعبدين والضمير للا الهة أو للعباد (قوله بالتقرب اليه وطاعته) وهو المنقول عن السلف كقتادة وغيره وهو الذي ذكره

يرجون رحمتي ويخافون عذابي فلماذا تعبدونهم دوني الثاني انه سبحانه لم يقل لا تبغوا عليه سبيلا بل قال لا تبغوا اليه سبيلا وهذا اللفظ انما يستعمل في التقرب كقوله تعالى اتقوا الله وابغوا اليه الوسيلة وأما في المغالبة فأنما يستعمل بعلى كقوله تعالى فان أطعكم فلا تبغوا عليهم سبيلا الثالث انهم لم يقولوا ان آلهتهم تعال به وتطلب العاو عليه وهو سبحانه قد قال لو كان معه آلهة كما يقولون وهم انما كانوا يقولون ان آلهتهم تبغى التقرب اليه وتقر بهم زلفى اليه فقال تعالى لو كان الأمر كما يقولون لكانت تلك الآلهة عبيدا فلماذا تعبدون عبيده من دونه انتهى وقد رأيت في رسالة لأولها أظنها من مؤلفات الشيخ تقي الدين بن تيمية وأظنها التي سماها المسودة وفيها تضعيف الطريق الذي ذهب اليه المتكلمون في حل هذا الدليل الذي أسلفناه وتأيد ما به عقبناه من كلام ابن القيم وما قبله بان قال ما ملخصه وأما ما يتكلفه الأشعرية من الدليل الذي يستنبطونه من هذه الآية فليس يجري مجرى الأدلة الطبيعية ولا الشرعية ووجه الضعف فيه انه كما يجوز العقل اختلافهما قياسا على الشاهد كذلك يجوز اتفاقهما وهو أليق بالآلهة من الاختلاف واذا اتفقا على صناعة العالم كانا مثل الصانعين اتفقا على صنع ما اذا كان هذا هكذا فلا بد ان يقال ان أفعالهم اولوا اتفاقا كانت تتعاقب بورودها على محل واحد فلو قال قائل فلعل هذا يفعل بعضا والآخر بعضا ولعلهم ما يفعلان على المداولة قلنا له ان الذي يقدر على اختراع البعض يقدر على اختراع الكل فيعود الأمر الى قدرتهما على كل شئ فاما ان يتفقا واما أن يختلفا وكيفما كان تعاقب الفعل واما التداول فهو نقص في حق كل واحد منهما واعلم ان المحال الذي أفضى اليه دليلهم غير المحال الذي أفضى اليه الدليل المذكور في الآية وذلك ان المحال الذي أفضى اليه الدليل الذي زعموه انه دليل الآية أكثر من محال واحد لانهم قسموا الأمر الى ثلاثة أقسام وليس في الآية تقسيم فدليلهم الذي استعملوه هو الذي يعرفه أهل المنطق

ابن جرير ولم يذكر غيره (قوله أظنها من مؤلفات الشيخ تقي الدين الخ) قلت هذه الرسالة تبينت بعد ذلك انها مناهج الأدلة لابن رشد (قوله من الدليل الذي يستنبطونه من هذه الآية) وهو الذي يسمونه دليل التمايز وتقدم تقريره في أول البحث (قوله كذلك يجوز اتفاقهما) لكن يرد عليه ما يقال لو توافقا فاما أن يتوافقا مع العجز من الممانعة فيلزم العجز أو مع القدرة فيصير كل منهما مقدورا والآخر والمقدور لا يصلح الها أو يقال لو توافقا فاما أن يوجد الموجود منهما على طريق التعاون فيلزم عجزهما واحتياج كل منهما الى معين وان كان أحدهما معينا دون الآخر لم يصلح الآخر للالهية فان انفرد كل واحد منهما بالفعل فهو محال (قوله على صنع ما) أي مصنوع (قوله الى ثلاثة أقسام) كما تقدم تقسيم ذلك في أول الدليل (قوله وليس في الآية تقسيم) بل هي انما سيقت للاستدلال بامتناع الفساد على امتناع تعدد الآلهة كما لا يخفى

بالقياس الشرطي المنفصل ويعرفونه هم في صناعتهم بدليل السبر والتقسيم والدليل الذي في الآية هو الذي يعرف في صناعة المنطق بالشرطي المتصل وهو غير المنفصل ومن نظر في تلك الصناعة تبين له الفرق بين الدليلين وإيضافان المحالات التي أفضى اليها دليلهم غير المحال الذي أفضى اليه دليل الكتاب وذلك ان المحال الذي أفضى اليه دليلهم هو ان يكون العالم اما لا موجودا واما لا معدوما واما أن يكون موجودا معدوما واما أن يكون الاله عاجزا مغاوبا وهما مستحيلات دائمة الاستحالة والمحال الذي أفضى اليه دليل الكتاب ليس مستحيلا على الدوام وانما عاقت الاستحالة فيه في وقت مخصوص وهو ان يوجد العالم فاسدا في وقت الوجود فكانه قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لوجد العالم فاسدا في الآن ثم استثنى انه غير فاسد فوجب أن لا يكون هنالك اله الا واحد انتهى ما قاله وقد ذكرت هذه الأدلة اذ لا تخالو من فائدة لمن أمعن فيها النظر والله أعلم وقد تقدم الدليل النقلى في اثبات التوحيد بمعونة ان العلم بصحة الدلائل النقلية لا يتوقف على العلم بأن الاله واحد حتى يلزم الدور بل العلم بصحتها متوقف على العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وهو على دلالة المعجزة على صدقه لا على التوحيد فافهم وتبصر في دلائل توحيدك واعمل به بعد عقد طويتك عليه واصرف فؤادك في جميع أحوالك اليه وتحقق بقوله تعالى اياك نعبد وياك نستعين فهي الآية التي قسمها الله بينه وبين عباده كما ورد في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه فافراد العبادة حق الله الواجب عليك فاستمعن به في اسبال نعمه التي أعظمها الهداية الى دينه ثبتنا الله سبحانه وتعالى على دينه الحق القويم وهذا انا بفضل الله ومنه الصراط المستقيم آمين

(قوله بالقياس الشرطي المنفصل) وهو ما اذا كانت الشرطية الموضوعية فيه منفصلة فان كانت حقيقية فاستثناء عين أحد الجزئين ينتج نقيض الآخر واستثناء نقيض كل جزء ينتج عين الآخر وان كانت مانعة الجمع فاستثناء عين كل جزء ينتج نقيض الآخر لا غير وان كانت مانعة الخلق فاستثناء نقيض كل جزء ينتج عين الآخر لا غير (قوله ويسمونه بدليل السبر والتقسيم) الذي هو طريق من الطرق التي ذكرت في أصول الفقه لا ثبات العلة المشتركة وبيان عليتها بالحكم وهو ايراد أوصاف الأصل وابطال بعضها ليتعين الباقي للعلة كما يقال علة الجدوث في الشيء اما التأليف أو الامكان والثاني باطل بالتخلف لان صفاته تعالى ممكنة وليست بحادثة فتعين الأول وكما يقال علة كون السواد مرئيا اما وجوده أو كونه عرضا أو محدثا أو لونا أو كونه سوادا أو كمالا باطل سوى الوجود والله موجود فتصح رؤيته (قوله بالشرطي المتصل) وهو ما اذا كانت الشرطية الموجودة فيه متصلة فاستثناء عين المقدم ينتج عين التالي واستثناء نقيض التالي ينتج نقيض المقدم (قوله تبين له الفرق بين الدليلين) فيجد أحدهما مقابلا لا آخر لا يمكن ان يطلق على الآخر كما لا يخفى على من له أدنى المسام في علم المنطق (قوله انتهى ما قاله) أي ابن رشد

باب السادس في بيان الخلاف الواقع في جواز الاستشفاع والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وبغيره من الانبياء والصالحين والمنع عن ذلك وان من منع هل يحكم على فاعله بالكفر لكونه عنده من خواص الالوهية أم بالحرمة فقط وبيان ما احتج به الفريقان مع تقويم بيان الشفاعة وما فيها من المباحث وغير ذلك

اعلم ألهمني وإياك الرشيد والهداية وجنبنا منه الضلال والغواية ان الشفاعة في الاصل صفة تقوم بمن يستوهب لغيره شيئا ويطلب له حاجة مأخوذة من الشفع ضد الوتر كأن صاحب الحاجة كان فردا فصار الشفيع له شفعا أي زوجا فكانه شاركه وشفعه في حاجته وهذا المعنى هو المقصود منها حيث أطلقت وقد اعتبر الشفاعة باعتبار كون الشفيع شافعا للمسؤول منه قضاء الحاجة بكونها قضيت بسبب شفاعته فكانه الحامل على قضاها وبذلك شفيع المسؤول منه وشاركه بانفاذ المطلوب بوجه السببية وهذا المعنى غير مراد ولا معروف بل هو مخالف ومناقض لما جاء به التوحيد الواجب على العبد لان الله سبحانه وتعالى لا يشفعه شيء أبدا ولا يرتاب في ان الشفاعة نسبة بين شافع وهو من تلبس بها ومشفوع له وهو المطلوب لاجله الحاجة ويقال له أيضا مشفوع لاجله كما يقال للشافع شفيع وكذا يقال له بعد حصول البغية وانجاح الطلبة مشفع واما المسؤول منه قضاؤها فانه يقال له مشفوع اليه وعنده فاذا الشفاعة تكون نوع اعانة لطالب الحاجة بدعاء ومنه الاستغفار وسؤال وفعل وغير ذلك مما يفيد الاعانة في المطلوب اقتضاء ما هو مرغوب وقدا أجمع أهل السنة والجماعة على ثبوتها للنبي صلى الله عليه وسلم وكونه من المؤمنين وكونه من الانبياء والمرسلين وللملائكة والصالحين ولا فراط المؤمنين وكذلك لم يخالف في ثبوت أصلها الثابت بالا حاديث الصحيحة أحاد من المسلمين فمنها ما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل نبي دعوة مستجابة وإنى خبأت دعوتي شفاعة لأمي وهي نائلة منكم ان شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيئا وروى حديث الشفاعة بطوله أنس بن مالك رضي الله عنه وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها

(قوله ولا فراط المؤمنين) والعلماء والشهداء والفقراء (قوله لكل نبي دعوة) أي مرة من الدعاء (قوله وإنى خبأت دعوتي) متيقنا جابتها وقد صرفها كل نبي الى شيء في هذه الدار كسليمان عليه السلام سأل الملاك ونوح عليه السلام سأل أهلاك أهل الدنيا فان قلت اختباء الشيء يقتضي حصوله وتلك الدعوة انما تحصل له يوم القيامة فكيف تكون مدخرة قلت أجيب عن ذلك بأنه يجوز ان يخبر الله النبي عليه السلام بين ان يدعو تلك الدعوة المستجابة في الدنيا وبين ان يدعو في الآخرة فاختار الدعوة في الآخرة فسمى ذلك الاختيار اختباء (قوله وروى حديث الشفاعة الخ)

نهضة ثم قال أناسيد الناس يوم القيامة وهل تدرون من يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد
فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتد نومهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون
وما لا يحتملون ثم ساق الحديث وهو طويل جدا وقد وردت في الشفاعة أحاديث كثيرة كادت تبلغ
مبلغ التواتر فلما لم ينكر أصلها أحد من جميع الفرق الإسلامية وله صلى الله عليه وسلم شفاعات
كثيرة منها الشفاعة العظمى لفصل القضاء التي هي من خصائصه والمرادة من المقام المحمود في قوله
تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقد أجمع المفسرون على أن المراد بالمقام الذي وعده وأمر
أمته بسؤاله قبل كل صلاة ليعود ثواب الدعاء ونفعه اليهم ولما فيه من الإشارة إلى أن الكامل لا يستغنى
عن السكال هو الشفاعة العظمى التي يغبط بها الأولون والآخرين ومنها الشفاعة لمن يدخل من
أمته بغير حساب وهذه أيضا كالأولى من خصائصه ويشارك في البواقي على الأصح في البعض ووفقا
في الباقي ومنها الشفاعة لقوم استحقوا دخول النار فلم يدخلوها وفي قوم حبستهم الأوزار عن
دخول الجنة ولبعض أهل الجنة في رفع درجاتهم ولما مات في المدينة ولم يزاره في قبره صلى الله عليه

أخرجه الشيخان (قوله يوم القيامة) سمي به لأن الناس يقومون فيه من قبورهم أول قيامهم
إلى الحساب (قوله المفسرون) منهم ابن عباس رضي الله عنهما قال في تفسيره أي مقاما يحمدك
فيه الأولون والآخرين وتشرف على جميع الخلائق فتسأل فتعطي وتشفع فتشع (قوله وعده) أي
في الآية المذكورة (قوله ليعود ثواب الدعاء ونفعه اليهم) كما روى البخاري عن جابر رضي
الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة
القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعده حلت له شفاعتي (قوله هو
الشفاعة العظمى) لما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال هو المقام الذي أشفع
فيه لأمتي ولا شعاري بأن الناس يحمدونه لقيامه منه وما ذاك إلا مقام الشفاعة (قوله يغبط بها
الأولون والآخرين) بفتح حرف المضارعة وسكون الغين المعجمة وكسر الموحدة ويجوز الفتح من
الغبطة وهي أن تقضى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها عنه وهي جائزة شرعا بخلاف الحسد
وهو تمنى زوال نعمة الغير فإنه حرام من الكاثر والأولون أي من تقدمه من الأنبياء وغيرهم
والآخرين بكسر الخاء وهم من بعده صلى الله عليه وسلم (قوله بغير حساب) ويحسن أن
يستشهد لهذه الشفاعة بحديث عائشة بن محسن حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعله من
السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب والحديث مخرج في الصحيحين (قوله لقوم
استحقوا دخول النار الخ) قال النووي ويجوز أن يشركه في هذه الأنبياء والعلماء والأولياء (قوله
في رفع درجاتهم) فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم

وسلم ان صح الحديث بذلك ولفتح باب الجنة كما رواه مسلم ولمن أجاب المؤذن ولقوم كفارهم سابق
خدمة له صلى الله عليه وسلم في تخفيف عذابهم ولمن سأل له الوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة وقد
أنكرت المعتزلة الشفاعة في درء العقاب وأثبتتها في ترتب الثواب لرفع الدرجات وأنكرت حديث
الدخول بغير حساب واستندت بالآيات النافية للشفاعات مثل قوله تعالى من قبل أن يأتي يوم لا بيع
فيه ولا خلة ولا شفاعة وقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا
تنفعها شفاعة وغير ذلك من الآيات النافيات وبنوا ذلك على ما أصابوه من ان من تكب الكبيرة
ان لم يتب عنها ومات فهو في منزلة بين الكفر والإيمان مخلف في النار مستحق للبوارد اخل في الظالمين
ذوي الأوزار السكار قال تعالى ما للظالمين من حيم ولا شفيع يطاع فأخبر سبحانه أن ليس للظالمين
أحد يواليهم ولا تقبل شفاعة من يشفع لهم وأنه لا تجزي كل نفس عن كل نفس أي شيء كان ولا يحصل
له نفع بشفاعة أحد أو يدل على ذلك وقوع النفس النكرة في سياق النفي فيكون عاما فالضمير
العائد اليها يكون عبارة عن النفس المبرمة فيعم أيضا لوقوعه في سياق النفي أيضا كما إذا قلت لم أسمع
رجلا دخل الدار ولم أره والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وإن الاختار المحققون من المتكلمين
الجواب عنه بتخصيص ذلك بالكفار جمعاً بين الأدلة فإنه قد ثبت بالأحاديث الصحيحة وقوع

(قوله في تخفيف عذابهم) فإن قيل فقد قال تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قيل له لا تنفعه
في الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون منها (قوله وهي أعلى درجة
في الجنة) كما روى مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا
سمعت المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإن من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشر
ثم اسألوا الله لي الوسيلة فأنهم منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبده من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو
فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة ومن الشفاعة شفاعة في أقوام قد تساوت حسناتهم
وسيناتهم فيشفع فيهم فيدخلون الجنة (قوله من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) أي
من قبل أن يأتي يوم لا تقدر ون على تدارك ما فرطتم والخصاص من عذابه إذا لا بيع فتحصلون
ما تنفقونه أو تقتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه خلاؤكم أو يسامحونكم
ولا شفاعة (قوله واتقوا يوما) أي ما فيه من الحساب والعذاب (قوله ولا يقبل منها
عدل) أي من النفس الثانية العاصية أو من الأولى (قوله من حيم) أي قريب مشفق
(قوله لهم) لظالمهم (قوله والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) فلا يرد على المعتزلة ما قيل في
الجواب عن الآية بأنه لا عموم له في الأعيان لأن الضمير لقوم معينين هم اليهود فلا تنفع الشفاعة لهم
ولا عموم له في الأزمان أيضا لا ندلوقت مخصوص وهو اليوم المذكور فيه فلا يلزم عدم نفيها في غير ذلك

الشفاعة لأهل السكائر من أمته قال الحلبي احتج المخالف بأن الوعيد كالوعد في امتناع الخلف فيه لاستحالة الكذب على الله تعالى وبأن صاحب الكبيرة فاسق غير مؤمن إذ الفسق منزلة بين الإيمان والكفر والجنة دار المؤمنين فلا يدخلها غير المؤمن ولا يصح القول بشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام لأصحاب السكائر لقوله تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون أي لخشيته لا تشفع الملائكة إلا لمن ارتضى فيدل ذلك على أن الشفاعة لأصحاب السكائر مخالفة لخشية الله تعالى فلا يجوز وجودها من النبي عليه الصلاة والسلام ولأن الله تعالى وصف يوم الدين بأنه يوم لا تأكل فيه نفس لنفس شيئاً ولو حصلت الشفاعة لأصحاب السكائر ونفعتهم لما كت نفس الشافع أعظم الأشياء وهو الخلاص من النار ولما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين قال النبي صلى الله عليه وسلم يا بني عبد مناف اشتروا أنفسكم من الله تعالى فاني لا أغني عنكم من الله شيئاً وخص غير واحد منهم فقال يا فاطمة بنت محمد اشترى نفسك من الله تعالى فاني لا أغني عنك من الله شيئاً وأيضا يجوز وجود الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم لأصحاب السكائر لما جاز أن يخبر بها أمته وإن كان إخفاء خبرها عنهم أولى من إخفاء ليلة القدر لئلا يتكلموا عليها فيجترى الفساق على الانهمالك في ضروب الفسق ويكون النبي صلى الله عليه وسلم كأنه قال لهم لا بأس عليكم فاني أشفع لكم وهذا غير جائز والجواب عن قياس الوعيد على الوعد أن تقدير استثناء المشيئة في آيات الوعيد على ما مر يمنع الخلف فيها ويؤيد ذلك التقدير أن الله تعالى خاطب عباده بما هو من عاداتهم في مخاطبتهم ومن المعهود في مخاطبات الناس غالباً أن يكون وعدهم بآثار الوعيد معلقة بما في مخالفة الوعد من ترك الفضل إلى

الوقت كما ذكر ذلك في شرح المواقف ثم قال والامام الرازي بعدما ورد شبهات المعتزلة في اثبات ما ادعوه قال والجواب عنها اجمالاً ان يقال ان دلائلكم في نفي الشفاعة لا بد ان تكون عامة في الاشخاص والافات ودلائلنا في اثباتها لا بد ان تكون خاصة فيهم لا نالاً ثبت الشفاعة في حق كل شخص ولا في جميع الاوقات والخاص مقدم على العام فالترجيح معنا وأما الاجوية المفصلة فتد كورة في التفسير الكبير انتهى (قوله في اتقاء الخلف لاستحالة الكذب على الله تعالى) وفيه نظر لان ما ذكر يدل على وقوع العذاب ولا يدل على وجوبه وهو المتنازع فيه كذا في شرح المواقف والجواب الحاسم ما ذكره الدواني وهو تخصيص المذهب المغفور عن عمومات الوعيد بالنصوص الدالة على وقوع مغفرة جميع ذنوب بعض المؤمنين وهو الذي سيزكره الحلبي (قوله الاقرب بين) أي الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم أهم (قوله فاني لا أغني عنك من الله شيئاً) قال شراح هذا الحديث أي لا أقدر على دفع مكروء عنكم في الآخرة ان أراد الله ان يعذبكم فأنما أشفع لمن أذن الله لي فيه وإنما يأذن لي اذ لم يرد تعذيبه وإنما قال عليه السلام في حقهم هكذا الترغيبهم على

مالا فضل فيه وفي مخالفة الوعيد من ترك ما لا فضل فيه بل فيه الأذى والعقوبة الى ما يقابله فاللائق
 بأهل الفضل بت الوعد وتعليق الوعيد بنحو المشيئة والشفاعة وما جرى مجراها لا يقال فينبغي
 أن لا يحنث من حلف ليضرب بن عبده اليوم فلم يضربه عملا بمقتضى التعليق المقدر لانا نقول انما
 يحتمل الوعيد على التعليق المذكور اذا كان مطلقا فاما اذا كان كداليتين التي يحترز بها في العادة عن
 الخلف فالبت أولى بظاهره من التعليق ما لم يعارضه معارض أرجح منه وقولهم صاحب الكبيرة
 فاسق غير مؤمن مردود بأنه لو خرج بالفسق من الايمان لم يعد اليه بمجرد التوبة من فسقه بل
 احتاج الى تجديد الاقرار ولا يحتاج اليه باجماع الأمة وقوله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر
 ومنكم مؤمن يبطل القول بقسم ثالث واذا لم يكن الفاسق كافرا وجب كونه مؤمنا وكما ان حسنات
 الكافر لا تخرجه من الكفر لان الايمان لم يحركه عليها بل طلب الذكر وما أشبهه وجب أن لا يخرج
 المؤمن سيما ته من الايمان لانه لم يحركه الكفر عليها بل اتباع الهوى كيف ولم يقصد بهامضادة أصل
 الايمان ثم ان الايمان أكبر الطاعات وكل ذنب دون الكفر ليس بأكبر المعاصي فلا يجوز ان يحبط

الايمان والعمل لئلا يعتدوا على قرابته ويتهاونوا (قوله بت الوعد وتعليق الوعيد بنحو المشيئة
 والشفاعة الخ) على ان بعض العلماء ذهب الى ان الخلف في الوعيد جائز على الله تعالى ومنهم
 الواحدى فانه صرح به في تفسيره الوسيط في قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا جزاؤه جهنم الآية
 حيث قال والأصل في هذا ان الله يجوز ان يخلف الوعيد وان كان لا يجوز ان يخلف الوعد وبهذا
 وردت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبرنا أبو بكر بن أحمد بن محمد الأصفهاني حدثنا
 عبد الله بن محمد الأصفهاني وزكريا بن يحيى الساجي وأبو حفص السامي وأبو يعلى الموصلي قالوا حدثنا
 هدي بن خالد بن سهل بن أبي خزم حدثنا ابن السائب البناني عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من وعده الله على عمل ثوابا فهو منه جزله ومن أوعده على عمل
 عقابا فهو بالخيار وأخبرنا أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن حمزة حدثنا أحمد بن خليل حدثنا الأصمعي
 قال جاء عمرو بن عبيد الى أنى عمرو بن العلاء قال يا أبا عمرو ويخلف الله ما وعده قال لا قال أفرأيت من
 أوعده الله على عمله عقابا يخلف الله وعيده فيه فقال أبو عمرو ومن العجمة أتيت يا أبا عثمان ان الوعد
 غير الوعيد ان العرب لا تعد عيبا ولا خلفا ان تعده شرأثم لا تفعله بل ترى ذلك فضلا وكرما وانما الخلف
 ان تعد خيرا ثم لا تفعله قال فأوجد لي هذا قال نعم أما سمعت قول الشاعر

واني اذا أوعدته أو وعدته * تخلف ايعادى ومنجز موعدى

والذى قاله أبو عمرو ومن ذهب الكرام ومستحسن عند كل أحد خلف الوعيد كما قال السرى الموصلى
 شعرا اذا وعد السراء أنجز وعده * وان أوعد الضراء فالعقوباته

الأصغر الأكبر وأما الشفاعة فقد وردت فيها أخبار كثيرة نحو قوله صلى الله عليه وسلم شفاعة لاهل
 البكائر من أمتي وقوله لكل نبي دعوة مستجابة واختبات دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وورد
 انه يشفع لامته فيخرجون من النار وقد صاروا حماوا واستفاضت الاخبار بذلك بحيث قاربت
 التواتر فلا عذر في الذهاب عنها وقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى معناه الا لمن ارتضى ان
 يشفعوا له كما قال من ذا الذي يشفع عنده الا بذنه ولا بد من تقييد الارتضاء بذلك لان المرتضين عند
 الله لا يحتاجون الى الشفاعة ولا يصح ان يقال ان الله لا يرتضى ان يشفع لصاحب الكبيرة لان
 المذنب هو الذي يحتاج الى الشفاعة وكلما كان ذنبه أكبر كانت حاجته اليها أشد فكيف يجعل اشتداد
 حاجته حائلا بينه وبين الشفاعة وامتناع الشفاعة للكافر ليس اعظم ذنبه ليرد على هذا بل لمحجده الشافع
 والمشفوع عنده ولاخبار الله تعالى بأنه لا يشفع فيه أحد وقد اتفقت في ذلك في صاحب الكبيرة وإذا
 كانت الشفاعة بعد الاذن لم تكن مخالفة لحشية الله وأما قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا
 فلا تدفع الشفاعة لان المراد بالملك الدفع والذب بالقوة كما يكون في الدنيا من ذب الاقوياء عن
 أنفسهم وعن غيرهم بالشوكة والشفاعة ليست كذلك لانها تدل من الشافع للمشفوع عنده وقوله
 عليه الصلاة والسلام يا بني عبد مناف الى آخره قد يخرج على نهيهم عن التقصير في حقوق الله تعالى
 اتسكا لا على قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى انهم لا يسألون لذلك عما يعملون
 فأخبرهم ان اتصا بهم به لا يسقط عنهم تبعات أعمالهم وانهم يحاسبون كغيرهم وليست الشفاعة اغناء
 عنهم من الله شيئا لانها فيما بيننا ليست بموجبة فكيف يشوهم كونها عند الله موجبة وأما اخبار أمته
 صلى الله عليه وسلم بشفاعته فهو كما خبرهم بأن التوبة تجب ما قبلها من الاوزار وان عظمت وطالت
 مدتها فكما جاز ذلك اتفاقا فليجز هذا فان قيل لا يجزيه في ذلك اذ لا يعلم الخاطيء ان التوبة تنفق له
 أم لا قلنا وكذلك لا يعلم ان الشفاعة تناله أم لا انتهى ويجوز العفو عن البكائر بدون التوبة عند
 أهل السنة اما محض فضل الله تعالى أو بشفاعة الشافعين لقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به

ولقد أحسن يحيى بن معاذ في هذا المعنى حيث قال الوعد والوعيد حق فالوعد حق العباد على الله اذا
 ضمن لهم انهم اذا فعلوا ذلك ان يعطيهم كذا ومن أوى بالوفاء من الله والوعيد حقه على العباد اذا قال
 لا تفعلوا كذا فاني أعذبكم ففعلوا فان شاء عفا وان شاء أخذ لانه حقه وأولاهما العفو والسكرم لانه
 غفور رحيم انتهى (قوله شفاعة لاهل البكائر من أمتي) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن
 ماجه وابن حبان والحاكم (قوله حيا) جمع حمة وهي الفحمة (قوله قلنا وكذلك لا يعلم ان
 الشفاعة تناله أم لا) وهو جواب حسن (قوله ويجوز العفو الخ) والمراد بالعفو ترك عقوبة
 المجرم والستر عليه بعدم المؤاخذه (قوله ان الله لا يغفر أن يشرك به) لان ذنبه لا يمحي عنه

ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وتقييده بالتوبة تحكم بحت وأما الشرك الاكبر الذي هو المراد عند الاطلاق فليس بمغفور ولا تجرى فيه شفاعته ولنا في اثبات الشفاعاة لأهل الكفا من الكتاب قوله تعالى واستغفر لذنوبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله تعالى فاتنفعهم شفاعاة الشافعين فان اسلوب هذا الكلام يدل على ثبوت الشفاعاة في الجملة والامساك لنفي نفعها عن الكافرين عند القصد الى تقبيح حالهم وتحقيق بأسهم معنى لان مثل هذا المقام يقتضي ان يؤسروا بما يخصهم لا بما يععمهم وغيرهم قاله السعد التفتازاني ولما رأت المعتزلة أصل العفو والشفاعة ثابتا بالدلائل القطعية من الكتاب والسنة واجماع سلف الأمة قالت بالعفو عن الصغائر مطلقا وعن الكبائر بعد التوبة وبالشفاعة لزيادة الثواب هذا واعلم انه لما تعارضت النصوص من الكتاب والسنة باثبات الشفاعاة تارة ونفيها أخرى وكان سبب حانها وتعالى قد قيد الشفاعاة المثبتة بشرطين أحدهما رضاه عن المشفوع له والآخر اذنه للشافع فتى لم يوجد مجموع الامرين لم توجد الشفاعاة قال الله تعالى ما من شفيع الا من بعد اذنه وقال تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقال سبحانه يومئذ لا تنفع الشفاعاة الا لمن اذن له الرحمن ورضى له قولا وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون

(قوله ويغفر مادون ذلك) أى مادون الشرك صغيرا كان أو كبيرا (قوله لمن يشاء) تفضلا عليه واحسانا (قوله وتقييده بالتوبة تحكم) كما ذكر ذلك المعتزلة حيث علقوا الفعلين على معنى ان الله لا يغفر أن يشرك به لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر مادونه لمن يشاء وهو من تاب وقوله بحت اذ هو تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة أولى منه ونقض لذهبهم فان تعليق الأمر بالمشيئة يناهى وجوب التعذيب قبل التوبة والصفتح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذلك شرك وان صاحبه مخلد في النار (قوله وللمؤمنين) أى والذنب المؤمنين لدلالة القرينة السابقة وهي ذكر الذنب فيع الكبائر (قوله فاتنفعهم شفاعاة الشافعين) له شفعوا لهم جميعا (قوله قال السعد الخ) أى في شرح المقاصد (قوله الا من بعد اذنه) تقرير لعظمته وعز جلاله وفيه رد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عنده وفيه اثبات الشفاعاة لمن اذن لهم (قوله الا باذنه) بيان لكبرياء شأنه وانه لا احد يساويه أو يدانيه يستقل بأن يدفع ما يريد به شفاعاة واستسكانة فضلا عن ان يعاوقه (قوله الا من ارتضى) أن يشفع له (قوله الا لمن اذن له) أى الا شفاعاة من اذن أو الا من اذن في ان يشفع (قوله ورضى له قولا) أى رضى لأجله قول الشافع بشأنه (قوله قل) أى للشركين (قوله زعمتم من دون الله) أى زعمتموهم آلهة والمعنى ادعواهم فيما يهيمكم من جلبة نفع أو دفع ضرر لعلمهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم أجاب عنهم

مشقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع
الشفاعة عنده إلا لمن أذن له وقوله تعالى وكنتم من ممالك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من
بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى فقد أخبر سبحانه أنه ما من شفيع إلا من بعد إذنه وأنكر
أن يشفع أحد إلا بإذنه وأخبر سبحانه أنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضاهم وهم الموحدون ويجب
حمل الآيات النافية على الشفاعة المطلقة التي كان المشركون يستعملونها مع آلهتهم ليقر بوجههم إلى
الله زلفى وكانوا يقولون كما أخبر الله سبحانه عنهم هؤلاء شفعاءنا عند الله وإن الله يرضى لهم
بهذا الفعل لكونهم قد أرادوا التقرب بشفاعتهم إليه لينالوا ما لديه فأنكر الله سبحانه ذلك
عليهم وأنهم فعلوا ذلك بالتقليد المحض والتشريك فهذه الشفاعة المنفية هي الشفاعة الشركية
وأما الشفاعة المثبتة التي أثبتها الكتاب والسنة فهي الشفاعة للمؤمنين الموحدين وهم الذين شاءهم الله
للشفاعة وحدهم للشفاعين كما ورد في حديث الشفاعة الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم حين
يفتح عليه بالدعاء فيحمد الله بحماد يفتحها الله عليه يقال له يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع واشفع
تشفع وقد قال سيد الشفعاء في آخر هذا الحديث الشريف ويحد لي حداً ألا أتجاوزَه قال الشراح من
المحدثين يعني يقال له اشفع في الموصوفين بكذا أو كذا أو كذا من أوصاف الكائنات الموجبة للعقاب
وقد ارتضاهم سبحانه بما أفردوه به من العبادة التي لا تليق بالعبيد وتختص بالخالق المالك الجيد
وأما المشركون فلا نصيب لهم في هذه الشفاعة لهمضمهم حق ألوهيته وسعيهم بالمعنى في تمزيق ربوبيته
فهذه الشفاعة المستثناة هي الشفاعة المثبتة وتلك الشفاعة المطلقة المحمولة على المقيدة هي الشفاعة
المنفية وبهذا الاطلاق المخصوص بهذا التقييد يستقيم الأمر على الوجه السديد وعلى ذلك مشى
كثير من المحققين معرضين عما فيه ضعف وتوهين وبالجملة فالتقييد لا بد منه في كلا الشفاعتين إلا
أنه يقيد كل من الشفاعتين بقيد يناسبه فالمراد من الشفاعة المثبتة الشفاعة بعد الإذن والرضاعن

أشعارا بتعيين الجواب وأنه لا يقبل المكابرة فقال لا يملك كون الخ (قوله مشقال ذرة) أي من خير
أو شر (قوله وما لهم) في أمر ما وذكروا للعموم العرفي أولاً لأن آلهتهم بعضها سماوية كاللائكة
والسكواكب وبعضها أرضية كالأصنام (قوله من شرك) لا خالق ولا ملوك (قوله من ظهير)
يعينه على تدبير أمرهما (قوله عنده) أي فلا تنفعهم شفاعة كما يزعمون إذ لا تنفع الشفاعة عند
الله وقوله إلا لمن أذن له أن يشفع (قوله وكنتم من ممالك) أي كثير من الملائكة (قوله لا تغني
الخ) ولا تنفع (قوله إلا من بعد أن يأذن الله) في الشفاعة (قوله لمن يشاء) من الملائكة
أو من غيرهم (قوله ويرضى) ويراه أهلاً لذلك (قوله وأنكر أن يشفع أحد إلا بإذنه) فكيف
يشفع الأصنام لعبادتهم (قوله الصحيح) الذي رواه أنس رضي الله عنه

المشفوع له ومن الشفاعة المنفية الشفاعة قبل الاذن وبغير رضاه عن المشفوع له فكل الشفاعتين
المطلقتين مقيدتان الا انه اعتبر تقييد المنفية منهما بعكس ما قيدت به المثبتة وقد اطلت في ذلك المقال
لكونه مقتضى الحال قال المحقق الفارسي في الكشف عند قول صاحب الكشف في تفسير قوله
تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون فعلم انها أي الشفاعة
لا تقبل في العصاة ما نصه استدلال بالآية على عدم قبول الشفاعة للعصاة لانه نفي أولا ان تقضي نفس
عن نفس حقامن الحقوق ثم نفي ان تقبل الشفاعة في ذلك بطريق العموم وأجاب القاضي رحمه الله
بأن النصرة منع مع قوة فلا يلزم من نفي النصرة نفي من تنفعهم بطريق آخر وفيه ان الاستدلال بقوله
ولا يقبل منها شفاعة لا بقوله ولا هم ينصرون وأما تخصيص الخطاب بالكفار فلا يسبى لانه وصف
اليوم بالعام ليقنوا ولم تناولا أو ليا بل الجواب انه عام مخصوص بالاتفاق لانهم خصوصاً يجب أن تحت
فيه وبنوا عليه تخصيص الشفاعة في ذلك ولا يلزم من العطف على الخاص الخصوص لانه يبقى قبولها
في زيادة الفضل وهم قائلون بالقبول والعام المخصوص بحجة فيها شبهة بخلاف ان تخصه الأحاديث الواردة
في القبول لعصاة الأمة بالاتفاق على انه اذا وجب التخصيص فهو بما خصه تعالى في مواضع أحق وهم
بما قبل الاذن لقوله لا تنفع الشفاعة عنده الا ان أذن له وظاهره وسعيه في بيان النظم ما يؤيده
وأما تخصيصهم فتخصيص من غير دليل انتهى فقد علمت كيف حل المطابق على المقيد وسلك سبيل
الأمثال والأشياء فالمراد حينئذ من الشفاعة المنفية الشفاعة قبل الاذن وبالرضاه على المشفوع له
وذلك منفي بلا شبهة وأما الشفاعة المثبتة فهي المقيدة بعبء الاذن والرضا فهنا شفاعتان
أحدهما قد نقاه الله تعالى وهي الشفاعة قبل الاذن منه سبحانه وبغير رضاه على المشفوع لهم وهي
الشفاعة الشريكية اتخذوا فيها آلهتهم وسائط بينهم وبين ربهم ليشفعوا لهم عنده وتعلقوا عليهم فتحرروا
لهم النجاة واستنصروا بهم ودعواهم عند ربهم وطلبوا منهم شفاعة عندهم الى غير ذلك من
جهالاتهم وغواياتهم وسموهم آلهة وقد نزل القرآن الحكيم بالرد عليهم وتسفيه أعلامهم وتضليل
آرائهم ونفي تلك الشفاعة التي قد جعلوها محجة لهم وطريقا الى شركهم وفساد قياسهم حيث يقولون
ان الملوك والسلاطين لا بد ان يكون بينهم وبين الرعية وسائل وشفعاء يستشفع بهم الرعية اليهم
فكيف بمن هو ملك الملوك وسلاطان السلاطين ومنهم من يقول انهم مشون بالخطايا مدنسون
بالذنوب فليس لنا قابلية القرب اليه فإذ جعل بيننا وبينه شفعاء أولى جاء عريض لا يرد الله عليهم
مسؤولهم ولا يخيب رجاءهم فهم شفعاؤنا في جميع مهامنا عندهم ومنهم من يصرح بكلمة كفره

(قوله فيها شبهة) لوقوع الخلاف في حجته كما ذكر في كتب الأصول (قوله ملك الملوك) يعز من
يشاء ويدل من يشاء (قوله وسلاطان) السلطان من السلاطة وهي الحدة والقهر

ويظهر بذلك لشافعه كمال فقره فيقول نطلب منهم وهم يطلبون من ربهم فشبهم والخالق بالحق اوق
 والمالك بالمالك وذلك من مفاسد هذا القياس وارتباك ذلك الالتباس فان السلاطين جاهلون
 لأحوال الخلق لا بمنه يذهبهم على ما خفي عليهم من أحوالهم عاجزون عن تدبيرهم الا بظهير ومعين فهم
 محتاجون الى قبول شفاعتهم رغبة في رضائهم وحذر من تكدر أسرارهم وكثيرا ما يقبلون
 شفاعتهم على السكره لأجل صلاح أغراضهم فينسب قضاء الأمر بالحقيقة الى الشفعاء لا اليهم والله
 سبحانه وتعالى هو العالم بما في السموات وما في الأرض وما بينهن وما وما تحت الثرى يعلم السر وأخفى
 لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع غير محتاج سبحانه لواعظ يذكره أو وزير يفتنه سبحانه وتعالى
 عما يقول الظالمون عداوا كبيرا وهؤلاء المشركون هم أجهل الناس بحق الرب الخالق مالك الرقاب
 ومنزل الكتاب كيف والخلق محتاجون الى من يعاونهم أو يسعى في حوائجهم أو يقضي لهم أغراضهم
 والله سبحانه هو الغنى بالذات الذي غناه من لوازم ذاته فلا يحتاج الى كل شيء لو أهلك الجميع لم ينقص
 من ملكه وعزه وسلطانه وبو بيته مثقال ذرة ولا نقص وان الذي يؤثر في شفاعته ولا يخيب بل
 بظفر بسعايته لا يخاو من أحد أمور ما ان يكون ذاملك معه فان لم يكن فشر يكافان لم يكن فظاهرا
 معينان لم يكن فشفيعا وقد نفى الله سبحانه هذه الأربع تقياسا من الأعلى الى الأدنى فقال
 سبحانه قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض
 وما لهم فيهم ما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له فكفى بهذه الآية نورا
 ساطعا وبرهانا لا معاقطع عائق البطلان عن حياية قبة التوحيد والايان ولذلك جعل الله
 الشفاعات كلها بأنواعها مذكورة فقال تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون
 شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض فهو المالك الشفيع الى نفسه
 بنفسه ليرحم عبده وهو الذي يأذن للشفعاء أن يشفعوا لمن أراد رحمة فتكون الشفاعة جميعها لله
 وحده لا شريك له فالشفاعة بعد اذنه اذا أراد أن يرحم المشفوع لهم ليست شفاعة من دونه ولا
 الشفيع شفيعا من دونه بل شفيعا بعد اذنه والله سبحانه هو العالم بمن يصلح للشفوعة فيه والمالك
 الغنى

(قوله وأخفى) منه وهو ضمير النفس (قوله الخالق) أي الموجد لصور الأشياء وكيفياتها كما أراد
 (قوله من أحد أمور) أربعة (قوله فان لم يكن) مالم يكن (قوله فان لم يكن) شريكا (قوله فان لم
 يكن) مظاهرا أو معينا (قوله مرتبا) منتظلا (قوله من الأعلى الى الأدنى) فتنفى الملك والشركة
 والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك وأثبت الشفاعة التي لا نصيب فيها للمشرك وهي الشفاعة بأذنه
 (قوله والايان) والقران بما مر من أمثالها ونظائرها (قوله الغنى) الذي لا يفتقر الى شيء

العزیز القاهر مالک يوم الدين الحاکم بعامه القديم بين العالمين والفرق بين الشفاعةين ظاهر لدى
 عینین فالشفیع من دونه شریک بحکمه والشفیع بعد اذنه عبد مملوک متبع لأمره خاضع لألوهيته
 فی سره وجهه وجیع مخلوقاته من أنبیائه ورسوله وملائکته له خاضعون ومن خشيته مشفقون
 لا یسبقونه بالقول وهم بأمره یعملون وقد کان سید الشفعاء نبیاً صلی الله علیه وسلم من أتق الناس
 وأخشاهم له وکان یسمع لصدره الشریف أن یرز کازیز المرجل والأزیز الغلیان والمرجل بکسر المیم
 واسکان الراء وفتح الجیم القید کل ذلك من خشية الله تعالى لکمال معرفته بجلال قدسه وعظیم
 قدره فانظر أیها العاجز الفقیر المسکین الی آثار نبیک واشدد باتباعه أزرک وعامل الله ببعض ما کان
 یعامله سبحانه سید المرسلین ولا تعد قدرک وبالجلة فلا یغنی عن الله سبحانه وتعالى أحد کما لا یجیر
 علیه أحد لا ملک مقرب ولا نبی مرسل ولو نظر المتأمل بعین فؤاده الموصول له الی مراده فیما رواه
 البخاری ومسلم والترمذی والنسائی عن ابن عباس رضی الله عنهما قال لما أنزل الله وأنذر عسیرتک
 الأقربین أتى صلی الله علیه وسلم الصفا فصعد علیه ثم نادى یا صباحاه فاجتمع الناس الیه بین رجل
 یحیی مؤ بن رجل یبعث رسوله فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم یا بنی عبد المطلب یا بنی فھر أرا یتیم
 لو أخبرتکم ان خیلاً یسفع هذا الجبل تریدان تغیر علیکم صدق قونی قالوا نعم قال فانی نذیر لکم بین
 یدی عذاب شدید الحدیث وروی البخاری عن عائشة قالت لما أنزل الله وأنذر عسیرتک الأقربین
 قام رسول الله صلی الله علیه وسلم فقال یا فاطمة ابنة محمد یا صفیة ابنة عبد المطلب یا عباس بن عبد
 المطلب لا أملك لکم من الله شیئاً سلونی من مالی ما شئتم وروی مسلم والترمذی عن أنس بن هريرة رضی
 الله عنه نحوه فقال فی آخره یا فاطمة ابنة محمد انقذی نفسک من النار فانی والله لا أملك لکم من الله
 شیئاً وخرجانی الصحیحین من حدیث الزهري عن سعید بن المسیب وأبی سامة بن عبد الرحمن عن
 أنس بن هريرة نحوه وتفرّد البخاری أيضاً بنحوه من طریق آخر علم ان انداره صلی الله علیه وسلم للعام
 والخاص وتخصیص ابنته الزهراء بالتولیه هذا الانذار وقسمه لها وهي بضعت المؤمنة بجمیع ما جاء به
 من عند ربّه المتأبرة علی فعل الخیر فرضه ونذبه دلیل واضح وبرهان راجح علی أن لا یتکمل علی

(قوله العزیز) الغالب (قوله القاهر) لجمیع عبادہ (قوله وأخشاهم له) لان الخشية علی حسب
 العلم قوة وضعفا قال الله تعالى انما یخشى الله من عباده العلماء ولا یماتل له صلی الله علیه وسلم من
 الممکات فی علمه بالله تعالى ومعرفته به فلا جرم انه أشدهم خشية له سبحانه (قوله وکان) أى اذا
 قرأ باللیل بکی حتی الح (قوله کل ذلك من خشية الله تعالى الخ) مع ان الله تعالى غفر له ما تقدم
 من ذنبه وما تأخر فغیره أحق بذلك (قوله یا صباحاه) یعنی یا قوم احذروا من شر توجّه الیناصباحا
 وهذه کلمة تنقال عند خوف الغارة وناداهم نفاذاً (قوله لا أملك لکم من الله شیئاً) یعنی

شفاعته صلى الله عليه وسلم أحد ولو كفى ذلك لكانت فاطمة سيدة نساء العالمين أولى بها فالشفاعة ثابتة بالوصف لم ترد لشخص ولا لشخص على التعيين فليُنظر الإنسان إلى أعماله فليصالحها من المعايير وليحط بها بجميع الرغائب وليستعن بالله في صلاح أحواله وليبتغ عند الله الوسيلة بصلاح أعماله فقد روى مسلم في صحيحه أن ربيعة بن كعب الأسلمي وكان خادماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي له بوضوئه وحاجته أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له سألني قال فقلت سألتك مرافقتك في الجنة فقال أو غير ذلك فقلت هو ذلك قال فأعني على نفسك بكثرة السجود ففي هذا الحديث من الغوائد أن النبي لم يبادر إلى إجابته تعليماً منه لنا بكون الأمر يومئذ كالهالة وكذلك السائل لم يسأله الدخول بل سأله المرافقة كما كان معه في الدنيا من خدمته والجلوس عنده وآخر ذلك أمره صلى الله عليه وسلم بإخلاص الأعمال الصالحة من السجود الذي هو غاية التذلل والخضوع للرب المعبود وأمره أيضاً بكثرته وكثرته بكثرة الصلاة التي هي عماد الدين ومعارض رب العالمين وبهذه الأحاديث المتقدمة تنحسم مواد المبتلين ويستبين سبيل المؤمنين وذلك بما لاحظته كانت الصحابة عليه من المثابرة على الأعمال الصالحة وقد كانوا مع ذلك لم يتسكوا عليه صلى الله عليه وسلم بشفاعته وهو بين أظهرهم بل كان هذا صالِحاً قد كدح في صالح أعماله وتألق في تخليص نفسه في سائر أحواله وهذا أثقلته بعض الأوزار فأخبر عنه صلى الله عليه وسلم بأنه يعذب وهو مؤمن موحد قد جاءه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعلاء كلمة الله وثابر على جميع الصالحات وتباعد عن السيئات ولو لم يكن له إلا نصيب الصحبة ورؤية ذي الطلعة المباركة الشريفة صلى الله عليه وسلم لكفاه كما أخبر صلى الله عليه وسلم عن غل شمله وعن يعذب بالغميمة وعن عذاب بعدم محافظته على الاستبراء وغير ذلك مما لا يخفى على من تتبع الآثار النبوية والأخبار المصطفوية فليت شعري هؤلاء الأصحاب وهذه أحوالهم وتلك خشيتهم وأعمالهم وهذا سيد المرسلين معهم وقدرضى الله عنهم وقد عملوا من الأعمال التي تفردوا بها عن غيرهم من نصر الدين وجهاد المشركين وفراق الأهل والوطن وهجر الولد والسكن طلب الرضى الله ورسوله ومحبة فيهم ما ولا يخفى على المتتبع أعمالهم الشريفة وأحوالهم المنيفة من أنهم إلى أن ماتوا كانوا يداؤبون في الطاعات قداً جهداً وأنفسهم بالبكاء والاختبات ولم يتكوا على شفاعتهم فلم ينقل لنا أنهم طلبوا هامة في حياته ولا من بعده والرزية العظمى والبليّة الكبرى في

لا أقدر على دفع مكروهم عنكم في الآخرة أن أراد الله أن يعذبكم فأنما أشفع لمن أذن الله لي فيه وإنما يأذن إذا لم يرد تعذيبه (قوله عن غل) الغل هو الخيانة من الغنيمة وسيأتي الحديث في ذلك في الباب الحادي عشر (قوله وعن يعذب بالغميمة) هي ثقل كلام بعض الناس إلى بعضهم على وجه الفساد بينهم به (قوله على الاستبراء) كما روى الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال

هذا اليوم فترى أحدهم في جميع لحظاته مخاضا لجميع أنواع البكائر في ملبسه ومأكله ومشربه
 ومجلسه ومكسبه يتفاخر في ارتكاب المحظورات فكأنه خلق للسعي الشديد في ما لبسته هذه
 القاذورات ومع هذا فقد تخلق بأخلاق الشياطين ولم ير ضه إلا أن نازع في الصفات العليا من الكبر
 والجبر وترب العالمين وقد حسن له إبليس اللعين أن مجرد طلب الشفاعة من نبينا صلى الله عليه وسلم
 أو من غيره من الأنبياء أو من الصالحين يكفيهم في بلوغ الأمنية وإن يجعله ذخرا له عند حلول المنية
 وباليته اتبع من اكتفى بالاستشفاع به في بعض أقواله أو تأسي بأدنى أحواله هذا ما كان من
 ظواهرهم ومن استكشف عن عقائدهم الخبيثة علم أن ليس لهم في الإسلام نصيب فرأى منهم كل
 عجب عجيب وتيقن أنهم قد أنكروا الحشر بالمعنى وتفننوا بالفسوق والعصيان فنافنا ولقد صدق
 عليهم إبليس ظنه فاتبعوه ومن دون الله سبحانه خدموه واستعانوا به فعبادوه فيا ضيعة الإسلام
 وخسارة الدارين في هذه الأيام واذ قد فرغت مما قد ذكرت من بيان الشفاعة وما وقع فيها من
 الاختلاف وتلخيصه على وجه يحصل به الجمع والاتلاف فقد آن الشروع فيما قالته الأئمة الأعلام في
 جواز الاستشفاع والاستغاثة به ومنعها محررا دلائل الفريقين منقحا المراد لهم من الجانبين ولعمري
 لقد بذلت الوسع في استقصاء المباحث على الوجهين فاستخرجت الآلي الكامنة من الصادقين
 فهناك تحرير أجامع هذه المعارك والوقائع صالحة للتثبت به عند الدفاع والتنازع قد سئمتك الأمر بما
 فيه لتتظرف في ظاهره وخافيه راجيا من الله تعالى أن يهدي الناظرين إلى طريق الصواب فانه ولي الأمر
 واليه المسأب اعلم أن القائلين بالجواز جماعة كثيرون وأفاضل محققون فنههم الإمام السبكي فانه
 قد قال كما نقله عنه المناوي في شرحه الكبير للجامع الصغير مانصه ويحسن التوسل والاستغاثة
 والتشفع بالنبي إلى ربه ولم ينسك ذلك أحد من السلف والخلف حتى جاء ابن تيمية فأنسك ذلك وعدل
 عن الصراط المستقيم وابتدع ما لم يقله عالم قبله وصار بين أهل الإسلام مشادة انتهى وقال شارح
 البخاري الإمام القسطلاني في المواهب اللدنية وينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة
 والتشفع والتوسل به صلى الله عليه وسلم فخير أن من استشفع به أن يشفعه الله فيه وقالوا أيضا أن
 الاستغاثة طلب الغوث فالمستغيث يطالب من المستغاث أن يجعل له الغوث منه ولا فرق بين أن يعبر
 بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو التشفع أو التوجه لأنهم من الجاه والوجهة ومعناه عا والقدر والمنزلة وقد
 يتوسل بصاحب الجاه إلى من هو أعلى منه ثم قالوا إن كلامنا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه كما
 أنهم يعبثان وما يعذبان في كبير يعني عند الناس زاد البخاري في رواية بلي أنه كبير يعني عند الله أما
 أحدهما فكان يمشي بالتميمة وأما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله (قوله محررا) مهذبا (قوله
 منقحا) مهذبا (قوله ولعمري) اللام فيه لا ابتداء والعمر بفتح العين وضمة هاء البقاء وهو

قاله في تحقيق النصرة ومصباح الكلام واقع في كل حال قبل خلقه صلى الله عليه وسلم وبعد خلقه في
 مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البرزخ وفي عرصات القيامة وقال السهمودي
 في خلاصة الوفا للتوسل والتشفع به صلى الله عليه وسلم وبجأه و بركته من سنن المرسلين وسير
 السلف الصالحين وقال ابن حجر المكي في الدر المنظم من خرافات بعض المحرومين التي لم يقلها أحد
 قبله وصار بها بين أهل الاسلام مثله أنه أنكر الاستغاثة والتوسل به صلى الله عليه وسلم وليس كما افترى
 بل التوسل به صلى الله عليه وسلم حسن في كل حال قبل خلقه وبعده في الدنيا والآخرة ثم ساق الدليل
 قال بعضهم ولما تقرر ان الاستغاثة والتوسل بمعنى واحد فاعلم ان المالكية ذكروا جواز التوسل الى الله
 ببعض مخلوقاته من غير نزاع واستدلوا بقصة عمر مع العباس رضي الله عنهما وستأتي وذكر في الحصن
 الحصين ان من آداب الدعاء ان يتوسل الداعي الى الله بأنبيائه والصالحين من عباده وقد جعل
 الفقهاء كلهم التوسل بالصالحين مشروعاً في الاستسقاء كما استسقى عمر رضي الله عنه بالعباس وقال
 ابن الحاج المالكي في المدخل ما لفظه وأما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلات الله وسلامه عليهم
 أجمعين فيأتي اليهم الزائر ويتعين قصدهم من الأماكن البعيدة فاذا جاء اليهم فليتصرف بالذل
 والانكسار والمسكنة والفقر والفاقة والاضطراب والخضوع ويحضر قلبه وخاطره اليهم والى
 مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره لأنهم لا يباون ولا يتغيرون ويثني على الله بما هو أهله ثم يصلى عليهم
 ويترضى عن أصحابهم ويترحم على التابعين لهم باحسان الى يوم الدين ثم يتوسل الى الله تعالى بهم في
 قضاء ما آربه ومغفرة ذنوبه ويستغيث بهم ويطلب حوائجهم ويحزم بالاجابة ببركتهم ويقوى
 حسن ظنه في ذلك وانهم باب الله المفتوح وجرت سنة الله سبحانه على قضاء الحوائج على أيديهم
 وبسببهم ومن عجز عن الوصول اليهم فليرسل بالسلام عليهم ويدكر ما يحتاج اليه من حوائج ومغفرة
 ذنوبه وستر عيوبه الى غير ذلك فانهم السادة الكرام والكرام لا يردون من سألهم ولا من توسل
 بهم ولا من لجأ اليهم هذا في زيارة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وأما في زيارة سيد الأولين
 والآخرين فيزيد على ما ذكرنا ضعفاً مضاعفاً أعني في الانكسار والذل والمسكنة لانه الشافع المشفع
 الذي لا ترد شفاعته ولا يخيب من قصده ولا من نزل بساحته ولا من استعان واستغاث به فانه قطب
 دائرة الكمال وعروس المملكة قال الله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى وقال علاماؤنا رجعهم

مبتدا خبره محذوف أي لعمرى قسمي فان قلت هذا قسم بغير الله وهو منهي عنه كما سبذ كره المؤلف
 فكيف صدر منه قلت اما يحمل على ان المقسم به مضاف محذوف أي وواهب عمرى واما يحمل على
 جريانه بحسب العادة من غير قصد اليمين على انا نقول أراد به توكيد الكلام لا القسم فانه كما قال ابن
 الأثير في النهاية يجري في كلام العرب للتوكيد لا القسم واستدل بقول الشاعر

الله تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم هو عروس المملكة فن توسل واستغاث أو طالب حوائجه منه فلا يرد ولا يحجب لما شهدت به المعاني والآثار ويحتاج الى الأدب الكلي في زيارته وقد قال عامرنا الزائر يشعر نفسه بأنه واقف بين يديه عليه الصلاة والسلام كما هو في حياته ولا فرق بين موته وحياته أعني في مشاهدته لأتمته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم كل ذلك عنده جلي لا خفاء به وإذا كان من اتقى الله الى الآخرة من المؤمنين يعاملون أحوال العباد غالباً وقد وقع ذلك بحيث المنتهى من حكايات وقعت عنهم وقد أخبر الصادق عليه الصلاة والسلام بعرض الأعمال عليهم فلا بد من وقوع ذلك والكيفية فيه غير معروفة فلا يستذكر ذلك في الأنبياء انتهى وقال صاحب المبدع يستحب الاستسقاء بمن ظهر صلاحه لأنه أقرب الى الإجابة وقد استسقى عمر بالعباس واستسقى معاوية بين يدي الأسود التابعي المشهور وقال صاحب التلخيص من الحنابلة لا بأس بالتوسل في الاستسقاء بالشيوخ والعلماء المتقين وصرح بذلك جميع الفقهاء الشافعية وقال صاحب التلخيص يجوز ان يستشفع الى الله برجل صالح وقيل يستحب وذلك بنقل صاحب المنتهى في فقه الحنابلة وقال في منتهى الإرادات للحنابلة ويباح التوسل بالصالحين وكذلك قال ابن مفلح الحنبلي في فروعهم وكلام الفقهاء من الأئمة الأربعة في مثل ذلك كثير وبالجملة فقد جوز هؤلاء المذكورون ومن تبعهم التوسل والاستغاثة والاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم ومن له قدر عريض عند الله تعالى كالأنبياء والمرسلين وجميع عباد الله الصالحين وجعلوا هذه الألفاظ مؤدية معنى واحداً وهو التوجه الى الله بهم وانهم موعودون بالنجاح مسؤولهم ومأمولهم وحاصل دلائلهم من الكتاب والسنة وأقوال السلف والقياس قد جاءت متفرقة وقد أحبت نقلها كما ذكروها معزوة لأهلها قال القسطلاني بعد استحسانه التشفع والاستغاثة به في الأحوال الثلاثة السابقة مانصه فاما الحالة الأولى فحسبك ما قامته في المقصد الأول من استشفاع آدم عليه السلام به لما خرج من الجنة والذي ذكره في المقصد الأول ان قال بعد بسط طويل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي فقال الله تعالى يا آدم وكيف عرفت محمد ولم أخلقه قال لا تك يارب لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوب بالاله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تصف الى اسمك الا أحب الخلق اليك واذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك رواه البيهقي في دلائله من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال تفرد به عبد الرحمن ورواه الحاكم وصححه وذكره الطبراني وزاد فيه وهو

لعمر أبي الواشين لا عمر غيرهم * لقد كلفني خطة لا أريدها
قال فهذا توكل لا قسم لأنه لم يقصد ان يحلف بأبي الواشين وهو في كلام منهم كثيراً انتهى

آخر الأنبياء من ذريتك وقول الله تعالى يا آدم لو تشفعت اليّ نادمي في أهل السموات والأرض
 لشفعناك وأما التوسل به بعد خلقه في مدة حياته فن ذك الاستغاثة به من الجوع ونحو ذلك مما
 ذكرته في مقصد المعجزات ومقصد العبادات انتهى والذي ذكره القسطلاني في باب الاستسقاء من
 مواهبه ما رواه البيهقي في الدلائل من طريق يزيد بن عبيد السامي قال لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عليه وسلم في غزوة تبوك أتاه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلاً وفيهم خارجة بن حصن والحرب بن قيس
 وهو أصغرهم فنزلوا في دار ربيعة بنت الحارث من الأنصار وقد موا على ابل يخافوهم مستنون فأتوا
 مقرين بالاسلام فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقالوا يا رسول الله اسننت بلادنا
 وعريت عيالنا وهلك مواشينا فادع ربك أن يغثنا وتشفع الي ربك ويشفع ربك اليك فقال
 صلى الله عليه وسلم سبّحان الله ويالك أنا شفعت الي ربي فن ذك الذي يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العظيم
 وسع كرسيه السموات والأرض وهو يئط من عظمتهم وجلاله كما يئط الرجل الجديد الي آخر الحديث
 وهو طويل وروى البيهقي أيضاً عن أنس بن مالك قال جاء اعرابي الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وهو قاعد في المسجد فقال يا رسول الله لقد أتيتك وما لنا صبي يغط ولا بعير يئط أي ما لنا بعيراً أصلاً لان
 البعير لا بد أن يئط وانشد

أتيتك والعذر ايدى ايمانها * وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
 وألقي بكفيه الفتى لاستكانة * من الجوع ضعف ما يمر ولا يحلى
 ولا شيء مما يأكل الناس عندنا * سوى الخنظل العامى والعلهز الغسل
 وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الناس الا الي الرسل

فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الي السماء الي آخر الحديث المساق فيه
 دعاؤه صلى الله عليه وسلم واجابة الله تعالى له والمراد باللبان الصدر والمراد ان الحرة لا تمتهانها نفسها في
 الخدمة حيث لا تقدر على خادم تدمي صدرها وقوله ما يمر وما يحلى من المرارة والحلاوة أي ما ينطق
 بخير ولا بشر من ضعف الجوع والخنظل العامى نسبة الي العام لانه يتخذ في عام الجذب كما قالوا للجدب

(قوله وقول) عطف على المجرور بمن وهو بعض من حديث أورده القسطلاني في المقصد الأول
 من رواية لم يذكروا رواها (قوله العظيم) المستحق بالاضافة اليه كل ما سواه (قوله كرسيه) هو جسم
 بين يدي العرش (قوله السموات والأرض) كما روى عنه صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع
 والأرضون السبع مع الكرسي الا الحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على
 تلك الحلقة (قوله يئط) من الأطط صوت نحو الجلد عند الجلوس عليه (قوله ولا بعير يئط) يحن
 ويصيح (قوله لا بد ان يئط) ومنه المثل لا آتيك ما أطت الابل (قوله والمراد باللبان الصدر)

السنة والعلز بالسكسر طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير في سني المجاعة قاله الجوهري
والغسل الرذل وحسبك ما رواه النسائي والترمذي عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلا
ضرب أخته صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله أن يعافيني قال فأمره أن يتوضأ فيمحيسب وضوءه
ويدعو بهذا الدعاء اللهم اني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد اني أتوجه بك الى ربي
في حاجتي لتقضي لي اللهم فشفعه في وصححه اليه في وزاد فقام وقد أبصر وقد رواه السيوطي في
الجامع الصغير من ابن ماجه أيضا وقال الحاكم على شرطهما وأقره الذهبي وفي رواية وشفعني في
نفسى وفي رواية أخرى وشفعني فيه أى في قضائها وقال القسطلاني أيضا وأما التوسل به صلى الله
عليه وسلم بعد موته في البرزخ فهو أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصاء وفي كتاب مصباح الظلام
في المستغيثين بخير الأنام طرف صالح من ذلك ثم ذكر القسطلاني ما جرى له من الشدائد العظام
فكشفت ببركة الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وأطال الكلام من غير إقامة برهان ثم قال وأما التوسل

وبالعداء البكر (قوله وحسبك ما رواه النسائي الخ) هذا الحديث لا دليل فيه لما ذكره فأنه
طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له ليرد الله عليه بصره فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم دعاء
أمره فيه أن يسأل الله قبول شفاعته نبيه فيه فهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم شفع فيه
وأمره أن يسأل الله قبول الشفاعته فإن قوله أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة أى بدعائه
وشفاعته كما قال عمر كائن توسل إليك بنبينا فلنفظ التوسل والتوجه في الحديثين بمعنى واحد ثم قل يا محمد
اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضي لي اللهم فشفعه في وطلب من الله أن يشفع فيه نبيه وقوله
يا محمد هذا أو مثاله نداء يطلب به استحضار المنادى في القلب فيخاطب المشهود بالقلب كما يقول المصلي
السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته والانسان يفعل مثل هذا كثيرا يخاطب من يتصوره في
نفسه وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب فلنفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه
اجمال واشترائك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة يراد به التسبب به لكونه داعيا وشافعا مثلا
أو لكونه داعي محبالة مطيعا لأمره مقتديا به فيكون التسبب اما المحبة السائل له واتباعه له واما بدعاء
الوسيلة وشفاعته ويراد به الاقسام والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لاشئ منه ولا بشئ من السائل
بل بذاته لمجرد الاقسام به على الله فهذا الثاني هو الذي نهوا عنه وكذلك لفظ السؤال قد يراد به المعنى
الأول وهو التسبب لكونه سببا في حصول المطاوب وقد يراد به الاقسام ومن الأول حديث الثلاثة
الذين آووا الى غار وهو حديث مشهور فهم دعوا الله بصالح الأعمال لان الأعمال الصالحة هي أعظم
ما يتوسل به العبد الى الله ويسأله به لانه وعد ان يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم
من فضله نقل ذلك من اقتضاء الصراط المستقيم (قوله نبي الرحمة) أى التراحم بين الأمة أو مخبرها

به صلى الله عليه وسلم في عرصات القيامة فاقام عليه الاجماع وتواترت به الاخبار يريد بذلك ما رواه
 أهل السنن من أحاديث الشفاعة التي أجمعت المحققون على صحتها وقال السهمودي في خلاصة
 الوفا في معرض استدلاله على حسن التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد موته روى البيهقي والطبراني
 عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه ان رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة
 وكان لا يلتفت اليه ولا ينظر في حاجته فشكى ذلك لابن حنيف فقال له انت الميضاة فتوضأ ثم أتت
 المسجد فصل ركعتين ثم قل اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة
 يا محمد اني أتوجه بك الى ربك لتقضي حاجتي وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب
 عثمان فجاءه البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان رضي الله عنه فأجلسه معه على الطنفسة فقال
 ما حاجتك فذكر حاجته وقضاها له ثم قال له ما ذكرت حاجتك حتى الساعة وما كانت لك من حاجة
 فاذكرها ثم خرج من عنده فلقى ابن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي حتى كلمته
 فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكنني شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ضمير فشكى اليه
 ذهاب بصره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أو تصبر فقال يا رسول الله انه ليس لي قائد وقد يشق عليّ
 فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت الميضاة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات انتهى وقد
 ذكر الفقهاء هذه الصلاة في النوافل واستحبوا لمن كانت له حاجة أن يصليها ويدعو بهذه الدعاء
 ويسمونه دعاء الحاجة كما يسمون الصلاة بذلك ونقل ابن أبي شيبة كما ذكره السهمودي أيضا ان
 النبي صلى الله عليه وسلم لم ينزل في قبر أحد الا خمسة قبور وعد منها قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم ففي
 الكبير والأوسط للطبراني رجال الصحيح الروح بن صلاح ففيه مقال وقد وثقه ابن حبان والحاكم
 ولا يخلو عن ضعف عن أنس قال لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فجلس عند رأسها وقال رحمتك الله يا أمي بعد أمي وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرد وأمر بحفر قبرها
 قال فلما بلغوا اللحد حفر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وأخرج ترابه بيده فلهما قرع دخل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي
 فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فانك أرحم الراحمين ثم قال
 السهمودي وذكر المحبوب والمعظم قد يكون سببا للإجابة وفي العادة ان من توسل بمن له قدر عند
 شخص أجاب أكرامه وقد يتوجه بمن له جاه الى من هو أعلى منه واذا جاز التوسل بالأعمال الصالحة
 كما صح في حديث الغار الذي رواه البخاري وغيره وهي مخلوقة فالسؤال به صلى الله عليه وسلم أولى

عن رحمة الله وجعل ذاته نفس الرحمة قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (قوله وهو حي)
 الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له تعالى فهو واجب له ولا يزول قاله البيضاوي

ولا فرق في ذلك بين التعبير بالتوسل أو الاستغاثة أو التشفع أو التوجه أي التوجه به صلى الله عليه وسلم في الحاجة وقد يكون ذلك بمعنى ضابط أن يدعو كما في حال الحياة أذهو غير ممنوع مع علمه بسؤال من سألته وقد روى البيهقي وابن أبي شيبة بسند صحيح عن مالك الدار وكان خازن عمر رضي الله عنه قال أصاب الناس قط في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق لأمتك فانهم قد هلكوا فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له أنت عمر فافقره السلام وأخبره أنهم مسقون وقل له عليك الكيس الكيس فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر ثم قال يارب ما ألوأ ما عجزت عنه وذكر بعضهم أن الذي رأى هذا المنام بلال بن الحارث أحد الصحابة رضي الله عنهم وذكر السهمودي شيئاً كثيراً مما وقع للعلماء والصالحين من الشدائد فالتجوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحصل لهم الفرج بأذن الله تعالى وقال أبو سليمان داود الشاذلي في كتابه البيان والاعتصار عقب ذكر كثير من ذلك وقد جرت العادة أن الذي يكون بأمره صلى الله عليه وسلم سيما إذا كان طعاماً إنما يكون من الذرية إذا من أخلاق الكرام إذا سئلوا ذلك أن يتولوه بأنفسهم أو ممن يكون منهم وحكى أبو محمد الأشبيلي حكايات على هذا النسق مما يحكم العقل فيه بصحة ما وقع وقد مضى الخبر بجواز الاستسقاء بقبره صلى الله عليه وسلم بل يجوز كما قال التاج السبكي التوسل بسائر عباد الله الصالحين وقد سئل العز بن عبد السلام عن الداعي يتوسل بالذوات الفاضلة إلى الله تعالى فقال إن صحيح حديث الأعمى فهو مقصور على النبي صلى الله عليه وسلم لعن رتبته وسمو مرتبته ويكون ذلك خاصاً به صلى الله عليه وسلم ورد عليه التاج السبكي وتبعه المتأخرون كابن حجر الهيتمي وغيره وقالوا الماصح الحديث جاز التوسل به صلى الله عليه وسلم وبغيره والقول بالخصوص قول بلا دليل إذ لا بد لثبوت الخصوصية من دليل ولا دليل فثبت حسن التوسل به صلى الله عليه وسلم وفاقوا وبغيره على الأصح وعلى ذلك درج جميع العلماء ولا يسمع لذلك مانع في كل الأعصار من جميع أهل الأمصار وحاشاه هذه الأمة أن تجتمع الأعلى هدى كما أخبر به الصادق المصدوق وقد أوجب الله علينا معاشر المسلمين تعظيم أمره وتوقيره وبره فقال تعالى أنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً التؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه الآية وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون الثلاث الآيات فأوجب الله تعزيره

(قوله شاهداً) على أمتك وقوله ونذيراً على الطاعة والمعصية (قوله الآية) وتسبحوه بكرة وأصيلاً (قوله أن تحبط أعمالكم) لأن في الرفع والجهر استخفافاً يؤدى إلى الكفر المحبط وذلك إذا انضم إليه قصد الإهانة وعدم المبالاة وقد روى أن ثابت بن قيس لما نزلت هذه الآية تخلف عن رسول الله

وتوقيره وألزم أكرامه وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه وتجأوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه ونقل القاضي عياض في كتابه الشفاء عن الساجي اتقوا الله في أهمال حقه وتضييع حرمة أنه سميع لقواكم عليهم بفعلكم وذكر القاضي أيضاً في الشفاء آثاراً عن الصحابة وكيف كانوا مطرقيين في حضرته كأن على رؤسهم الطير مبالغة في تعظيمه وساق حديث الحديبية الذي قال فيه عروة بن مسعود حين وجهته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقاً ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأ كفهم فدل كواهم أوجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها وإذا أمرهم بأمر ابتدروا وأمرهم وإذا تسكعوا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيماً له وكثير مما وقع في ذلك بعده موته صلى الله عليه وسلم فأنهم كانوا يتغالون في شراء آثاره الشريفة فيشترون ذلك بنفائس أموالهم كالبردة التي اشتراها معاوية من ورثة كعب بن زهير وكانت الصحابة يوصون بأن تدفن معهم كما أوصى أنس بن مالك بدفن شعرات مع كل ذلك لطلب بركته وابتغاء التوجه بآثاره ولا شك أن حرمة صلى الله عليه وسلم بعده موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وقد عقد القاضي عياض اليحصبي باباً لذلك فقال وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين رضي الله عنهم حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري وأبو القاسم أحمد بن يحيى الحاكم وغير واحد فيما أجازوني به قالوا أخبرنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دهاث قال حدثنا أبو الحسن علي بن فهر حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج حدثنا أبو الحسن عبد الله بن منتهاب حدثنا يعقوب بن اسحق حدثنا ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالكا يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح قوما فقال إن الذين يعضون أصواتهم الآية وإن حرمة ميتا كحرمة حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك وسيلتك آدم إلى الله يوم القيامة قبل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولولا أنهم اذناموا أنفسهم جأؤك فاستغفروا لله واستغفر لهم الرسول

فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد أنزات عليك هذه الآية وإنني رجل جدير بالصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط فقال صلى الله عليه وسلم إنك لست هناك إنك تعيش بخير وتموت بخير وإنك من أهل الجنة (قوله وأنتم لا تشعرون) أنها محبطة (قوله ابن مسعود) أي الثقي (قوله إلى رسول الله) يكلمه في الصالح (قوله ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى) فسكاهم ورجع إلى قومه فقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ما رأيت قط

لوجدوا الله تواباً رحيماً هذا كلامه واذ قد ثبت وجوب تعظيمه واجلاله ميتاً كما كان حياً وأنه حي في قبره فطلب الشفاعة منه دخول في توقيره ويكون كمن طلب شيئاً ممن له قدرة عليه وهو صلى الله عليه وسلم قادر على ذلك بوجه التسبب بالدعاء كما كان حياً وكما كان وسيلة في التبليغ فهو الوسيلة في دعائه لأمته ويكون طلب ذلك منه بمجرد ادعى للاجابة ولا أجداً أحد أن نكر طلب الدعاء من الصالحين فضلاً عن الأنبياء والمرسلين فضلاً عن سيد الشفعاء امام المتقين فالورأياً أحد اجاء الى صالح فطلب منه الدعاء فدعاه ذلك الصالح والطالب واقف ساكت فهل ينكر عليه ذلك أحد من المسامحين فكيف بمن طلبه من سيد العالمين المأمور به في قوله تعالى ولو أنهم جاؤك الآية المفيدة لما فيه غاية التبيين كيف وسائله تمتثل أمر ربه في تعظيمه له وطلبه منه غاية الأمر انه أتى بصيغة الاستشفاع والاستغاثة بأن قال استشفع بك عند ربي أو استغيث بك عند الله بمعنى أرجو اغاثتك لي بالدعاء عند الله أو شفاعتك لي بالدعاء الى الله فهل في ذلك من بأس أو عليه بوجه من الوجوه نزاع والتباس وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا خطبوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعم بنينا صلى الله عليه وسلم فاسقنا قال فيسقون وفي رواية للحافظ أبي القاسم هبة الله عن ابن عباس ان عمر قال اللهم انا نستسقيك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم ونستشفع اليك بشيبتة فسقوا وفي ذلك يقول عباس بن عتبة بن أبي طب

بعمى سقى الله الحجاز وأهله * عشية يستسقى بشيبتة عمر

ما يكافي عظمه أصحابه ما عظم أصحاب محمد محمد وانه الخ (قوله هذا كلامه) قال في اقتضاء الصراط المستقيم هذه الحكاية اما ان تكون ضعيفة أو مغيرة واما ان تفسر بما يوافق مذهبه اذ قد يفهم منها ما هو خلاف مذهبه المعروف بنقل الثقات من أصحابه فانه لا يختلف مذهبه انه لا يستقبل القبر عند الدعاء وقد نص على انه لا يقف عند الدعاء مطلقاً وذكر طائفة من أصحابه انه يدنو من القبر ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدنو مستقبل القبلة ويوليه ظهره وقيل لا يوليه ظهره فاتفقوا في استقبال القبلة وتنازعوا في تولية القبر ظهره وقت الدعاء ويشبه والله أعلم ان يكون ما سلكه الله سئل عن استقبال القبر عند السلام عليه وهو يسمى ذلك دعاء فانه كان من فقهاء العراق من يرى انه عند السلام عليه يستقبل القبلة أيضاً ومالك يرى استقبال القبر في هذا الحال كما تقدم ثم قال فقول مالك في هذه الحكاية ان كان ثابتاً عنده معناه انك ان استقبلت وصليت عليه وسألت عليه وسألت الله له الوسيلة يشفع فيك يوم القيامة فان الأمر يوم القيامة يتوسلون بشفاعته واستشفاع العبد به في الدنيا هو فعل ما يشفع به له يوم القيامة كسؤال الله تعالى له الوسيلة ونحو ذلك ثم قال وأما الحكاية في تلاوة

وفي رواية لازير بن بكرا ان العباس رضي الله عنه قال في دعائه وقد توجه بي القوم اليك اسكاني من
 نبينا صلى الله عليه وسلم فاسقنا الغيث فأرخت السماء مثل الجبال وفي رواية له عن ابن عمر رضي
 الله عنهما ان ذلك عام الرمادة وفي المستوعب لأبي عبد الله السامري الحنبل ياتي حائط القبر فيقف
 ناحيته ويجعل القبر تلقاء وجهه والقبلة خلف ظهره والمنبر عن يساره وذكرا السلام والدعاء ومنه اللهم
 انك قلت في كتابك لنبيك صلى الله عليه وسلم ولو أنهم اذ ظاموا أنفسهم جاؤك الآية واني أتيت بنبيك
 مستغفرا فاسألك ان توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته اللهم اني أتوجه اليك بنبيك صلى
 الله عليه وسلم الى آخر ما قال وقد نقل ابن الموارز في الحج قال قيل لمالك قال الذي يلتزم أترى له ان يتعلق
 بأستار الكعبة عند الوداع قال لا ولكن يقف ويدعو قيل له وكذلك عند قبر النبي صلى الله عليه
 وسلم قال نعم وفي رواية أخرى عن مالك ذكرها صاحب المبسوط تخالف ذلك حجت على من لم يؤمن
 منه سوء أدب في دعائه عند القبر فصل من ذلك ما أفاد ان الدعاء عند قبره من أدعى أما كن الاجابة
 واذا كان العلماء قد اطبقوا على التلويح بالقبول لما ورد في الأوقات والأماكن التي يتحررها الداعي
 لدعائه فهذا المكان الذي هو أشرف مكان في الأرض وهو الذي تجنت منه طينته الشريفة وضمت
 فيه أعضاؤه الكريمة أولى بالتحرر بالاجابات وخلق بأن ينال بسببه معالي المهيمات وربط الله
 المسببات بالأسباب فجعل الدعاء سببا للاجابة ووقوعه في مثل الأوقات الشريفة والساعات السعيدة
 سيما اذا كان بخلوص وخشوع واخلبات وخشوع مما أذن الله فيه وأثاب في طلبه ومساغيه قال
 النووي وغيره ثم يرجع الزائر الى موقفه قبالة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتموسل به ويستشفع
 الى ربه ومن أحسن ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العتيبي مستحسنين له قال كنت جالسا عند قبر النبي
 صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول ولو أنهم اذ ظاموا
 أنفسهم جاؤك الآية وقد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربي ثم أنشأ يقول

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال ثم انصرف فملمتني عيناي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا عتيبي الحق الاعرابي
 فبشره بأن الله قد غفر له وعن ساق هذه القصة الامام العلامة هبة الله في كتابه توثيق عرى الايمان

مالك هذه الآية ولو أنهم اذ ظاموا أنفسهم الآية فهو والله أعلم باطل فان هذا الميزكره أحد من الأئمة
 فيما أعلم ولم يذكر أحد منهم انه استحب ان يسأل بعد الموت لا استغفار او لا غيره وكلامه المنصوص عنه
 وعن أمثاله ينافي هذا انتهى (قوله وعن ساق هذه القصة الخ) قال في اقتضاء الصراط المستقيم
 بعد ان نقل هذه الحكاية واحتجوا بهذه الحكاية التي لا يثبت بها حكم شرعي لا سيما في مثل هذا

وذكرها الامام ابن الجوزي في كتابه مشير العزم الساكن وغيرهما كلهم عن العتبي وكنية العتبي أبو عبد الرحمن واسمه محمد بن عبد الله بن عمرو كان من أفصح الناس صاحب أخبار ورواية للأدب وحديث عن أبيه وعن ابن عيينة وقد ذكر هذه القصة أيضا ابن عساكر في تاريخه وتلقاها الجمهور بالقبول ولم يتعرض لها أحد بالانكار وقد اشقت على تعظيمه عليه الصلاة والسلام بعد وفاته والتوسل به وحسن الأدب في حقه كما في حياته وإن في الآية الكريمة الحث على المحبة إليه ليستغفر له وليس في الآية تعرض لزمان الحياة دون الوفاة وكذا فهم العلماء العموم واستحبوا المن زار قبره إن يتلو هذه الآية ويستغفرو ويتوسل به ويطلب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم ومن ادعى التخصيص بغير دليل ظاهر قطعنا بخطئه ونقل الواحدى في كتابه أسباب نزول القرآن وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما عند قوله تعالى وكانوا يستفتون على الذين كفروا أنه قال كانت أهل خير تقاتل غطفان كما التقت هزمت غطفان اليهود فدعت يهود بهذا الدعاء اللهم اننا نسألك بحق الذي وعدتنا ان تخرجه لنا لا نصرتنا عليهم فكانوا اذا التقوا دعوا إلى اليهود بهذا الدعاء فتهزم اليه ود غطفان فمابعت النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به وقد فسر بعضهم قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ان آدم عليه الصلاة والسلام قال اللهم بحق محمد عليك اغفر خطيئتي الى آخر ذلك الموافق لما سبق من حديث الحاكم ذكر ذلك أبو الليث السمرقندي وأبو محمد المكي وغيرهما فلا وجه لمنع الاستشفاع به الا المسكافة بغير دليل ظاهر يخرج به نفسه عن ان يكون معاندا ومكابرا ففواتح الخير على زائره مسكوبة وكثرة التوسل به مطاوعة ومحبة والحديث الذي قد مناه عن ابن حنيفة

الأمر الذي لو كان مشروعا مندوبا لكان الصحابة والتابعون أعلم به وأعمل به من غيرهم بل قضاء الله حاجة مثل هذا الاعتراف بمثاله لها أسباب قد بسطت في غير هذا الموضع وليس كل من قضيت حاجته بسبب يقتضي ان يكون ذلك السبب مشروعا مورا به فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل في حياته المسألة فيعطيه لا يرد سائلا وتكون المسألة محرمة في حق السائل حتى قال اني لأعطي أحدهم العطية فيخرج بها يتأبطها نار اقالوا يا رسول الله فلم تعطهم قال يا بون الا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل وقد يفعل الرجل العمل الذي يعتقد أنه صالح ولا يكون عالما أنه منهي عنه فيشأب على حسن قصده ويعفى عنه لعدم علمه وهذا باب واسع وعامة العبادات المستدعة المنهي عنها قد يفعلها بعض الناس ويحصل له بها نوع من الفائدة وذلك لا يدل على انها مشروعة ولو لم تكن مفسدتها أعظم من مصلحتها لما نهى عنها ثم الفاعل قد يكون متأولا أو مخطئا مجتهدا أو مقلدا فيغفر له خطؤه ويشأب على ما يفعله من الخير المشروع المقرون بغير المشروع كالمجتهد المخطئ وقد بسط هذا في غير هذا الموضوع انتهى (قوله الموافق لما سبق من حديث الحاكم) الصحيح ان الكلمات التي تلقاها آدم هي

بجميع رواياته السابقة يدل دلالة ظاهرة لا مصرية فيها ان ليس في الحديث دلالة على انه فعل ذلك في
حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ولا فيه التقييد بزمن حياته ولا انه خاص بالضرير بل اطلاقه عليه
الصلاة والسلام يدل على ان هذا التوسل يستمر في أمته بعد وفاته كل ذلك لكمال شفقتة عليه - سم لانه
٢٢٠ روى رحيم ويدل على ان ذلك باق ان عثمان بن حنيف راوى الحديث هو وغيره فهموا التعميم
وان الاستعمال هو وغيره بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه الطبراني في معجمه الكبير أول الجزء
الحسين ورواه البيهقي باسناد من طريقين فهذا من أوضح الأدلة على الاحتجاج بالتوسل به عليه
الصلاة والسلام بعد موته كحياته لفعل عثمان راوى الحديث وتفضل غيره في حياته وبعد موته وهم أعلم
بالله ورسوله من غيرهم وما ورد في الأدعية المأثورة عن سيد الأنام مثل أسألك بحق السائلين عليك
وبحق ممشاي هذا اليك يدل على جواز التوسل بأفعال العبد فكيف بذاته الشريفة فالتوجه به
صلى الله عليه وسلم أولى والتوجه الى حضرة الحق به أخرى وقدر روى البخاري ومسلم انه صلى الله
عليه وسلم قال ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره ومثله في مسند الامام
أحمد ورواه النسائي أيضا وكذا الحاكم في مستدركه وأبو نعيم في حليته قال العلماء معنى لو أقسم على
الله لأبره لو حلف على الله ليفعلن بأن يقول وعزتك لتفعلن كذا الا وقع مطاوبه فيبر بقسمه اكرامه
وصوفاله عن الجنة يحينه لعظم منزلته عنده فهذا وعد الله لعباده الصالحين فكيف بسيد المرسلين

قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل سبحانه اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا
انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يارب ألم
تخلقني بيدك قال بلى قال يارب ألم تخلق في الروح من روحك قال بلى قال يارب ألم تسكني جنتك قال
بلى قال ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال يا رب ان تبت وأصلحت أراجعى أنت الى الجنة قال نعم
(قوله مثل أسألك بحق السائلين الخ) هذا الحديث رواه عطية العوفي وفيه ضعف لكن بتقدير
ثبوته هو من باب التوسل بالأعمال فان حق السائلين عليه ان يجيب - سم وحق المطيعين له ان يثيبهم
فالسؤال له والطاعة سبب لحصول اجابته واثابته (قوله لو أقسم على الله لأبره) قال ابن مالك في
شرح هذا الحديث ما لفظه أى لجعله بارا صادقا في يمينه لسكرامته قال القاضي رحمه الله معناه لو سأل
الله شيئا وأقسم عليه أن يفعله بأن قال بعزتك يارب افعل كذا لأجاب دعوته ويؤيد هذا المعنى لفظه
على الله تعالى لانه أراد به المسمى واذا أراد به اللفظ لقال بالله فيكون قوله لأبره مكان لأجابه للسألك
المعنوية وأقول هذا المعنى غير مناسب لسياق الحديث والمناسب له ما سبق من التقرير واما لفظه
على فيجوز ان تكون باعتبار تضمين معنى العزم فيه يعنى أقسم عازما على الله ان يفعله ما يريد
وغايته ان يكون المقسم به محذورا انتهى

وورد اذا انفتحت دابة أحدكم بأرض فلاذ لميناديا عباد الله احبسوا فان الله تعالى في الأرض حاضرا
 سيجب عليها واذا أراد عونا فليناد عباد الله أعينوني ثلاثا قال النووي قد جرب ذلك بعض أهل العلم
 ونحن قد جربناه فصحا انتهى وروى الطبراني بإسناد صحيح عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ان
 النبي صلى الله عليه وسلم قال لا بدال في أمتي ثلاثون رجلا بهم تقوم الأرض وبهم تمطرون وبهم
 تنصرون ورواه الطبراني أيضا عن عوف بن مالك رضي الله عنه والأحاديث في مثل ذلك كثيرة جدا
 فمن وقف على هذه وأمثالها يتبين له ان الله سبحانه قد جعل من عباده في الأرض غياثا يستغيث
 الناس بهم ولا مانع من ذلك عقلا وشرعا لان ذلك كله باذن الله تعالى ومن أقر بالكرامة الصالحين كما
 هو مذهب أهل السنة وانها باذن الله تعالى لم يجز بدامن اعترافه بجواز ذلك ووقوعه وكيف لا
 والأخبار قد عاضته والآثار قد ساعدته ومن جعل الله فيه قدرة كاسبة للفعل مع اعتقاد ان الله هو
 الخالق له كيف يمتنع عليه طلب ذلك الشيء منه وما هنا من هذا القبيل فان الله سبحانه قد قرب أنبياءه
 ورسوله اليه وكذلك الصالحين المخلصين من عباده وأوجب على العباد برهم وتعظيمهم وتوقيرهم وقد
 خلق فيهم قدرة كاسبة ألقها الدعاء له بانفاذ مسؤل من رجاهم وهم في برازخهم ودار كرامتهم وقد تفضل
 الله بكل ذلك عليهم فمن استشفع أو استغاث بهم أو توسل بهم على ما أسلفناه من بيان تقارب هذه
 المعاني وان اختلفت المباني فقد أتى بما تستحسنه العقول وتظهر عليه النقول وقد ورد في حديث
 المعراج ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على موسى وهو قائم يصلي في قبره والصلاة تستدعي بدنا حيا
 فنبينا صلى الله عليه وسلم أولى بهذه الحياة وحصول الاعمال كما كانوا في هذه الدار لا يمكن من غير تكليف
 واضطرار والاستغاثة به في حياته صلى الله عليه وسلم ثابتة بالدعاء فكذلك بعد انتقاله ووفاته وقد نقل
 ابن الحاج في مدخله قوله صلى الله عليه وسلم انما مثلي ومثلكم كمثل الفراش تقعون في النار وأنا آخذ
 بحجزكم عنها لئلا على استحسن التوسل والاستغاثة به فانه أعلم بحوائجهم وأشفق على أمته منهم
 على أنفسهم فان الدليل عام لا يختص بزمان دون زمان كما انه لا يختص بشخص من دون الاشخاص
 وقد ذكر الخليلي في كتابه المنهاج عند ذكر تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم جملة من ذلك والاحاديث

(قوله اذا انفتحت) الانفلات التخلّص من الشيء فجأة من غير مكث (قوله عباد الله) المراد بهم
 الملائكة والمسلمون من الجن (قوله بإسناد صحيح) غير صحيح بل ورد بإسناد منقطع فهو ضعيف كما
 ذكره المحدثون (قوله الفراش) دويبة تطير فتساقط في النار (قوله بحجزكم) جمع الحجرة بضم
 الخاء المهملة وسكون الخيم والزاي المعجمة وهي معقد الازار خصه بالذكر لان أخذ الوسط أقوى في
 المنع يعني أنا آخذكم حتى أبعدكم عن النار والذي في رواية مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه وأسمه
 تقحمون فيه أي في النار على تأويل المذكور وأصله تقحمون فحذف إحدى التاءين ومعنى التحميل

الواردة في زيارة قبره صلى الله عليه وسلم التي رواها الدارقطني والبيهقي والعقيلي والبخاري وابن عدي وابن خزيمة والحافظ ابن الجوزي وغيرهم التي تضمنت الوعد لمن زار قبره الشريف صلى الله عليه وسلم بالشفاعة التي تتضمن البشارة بالموت على التوحيد وذلك يفيد نيل المزيد فكل ذلك من ثمرات زيارته والتشفع به كيف وتعليمه صلى الله عليه وسلم حتم واجب ألزم الله به العباد الى يوم التناد وفي زيارته اظهر ذلك والسبب يحكي المسبب وفي ضده الجفاء ولم تزل الناس في جميع الازمان من جميع البلاد ان مجمعين على زيارة قبره رجاء الخير والبركة والطمع في الشفاعة والمقصود في ذلك حسن جدا موجب للتعظيم مظهر لكمال البر والتوقير ولت شعري كيف يكون التعظيم ممن منع شد الرحال اليه وحضر التوسل به وحث على الاعراض عنه واقام الدليل على انه كالجناد في حده لا يتفجع بجأه وجده كيف تتوجه نفس من قام بخاطره أدنى شيء من ذلك الى تعظيمه وتوقيره ففيا ذكره ما يوجب الاعراض عما أوجب الله علينا أيها الامة وعناية تامة في رفع هذه الحكمة أدخلنا الله تعالى في شفاعته يوم الدين وهذا الصراط المستبين آمين ونقل السمهودي عن الأصمعي انه وقف اعرابي في مقابل القبر الشريف فقال اللهم هذا حبيبك وأنا عبدك والشيطان عدوك فان غفرت لي سر حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك وان لم تغفر لي غضب حبيبك ورضى عدوك وهلك عبدك وأنت أكرم من ان تغضب حبيبك وترضى عدوك وتهلك عبدك اللهم ان العرب الكرام اذا مات فيهم سيدا اعتقوا على قبره وان هذا سيد العالمين فأعتقني على قبره فانظر الى حسن هذا التوسل فما أظن قائله الا راح بالمغفرة بتوجهه وحسن تشفعه ولا فرق بين هذا التوسل الخاص بالمعنى وبين ما هو كائن بالمبنى قال العلامة ابن حجر المكي بعد سوقه حديث توسل آدم بحقه المراد بحقه رتبته ومنزلته أو الحق الذي جعله الله على الخلق يعني توحيداً أو الحق الذي جعله الله بفضل له عليه كما في الحديث الصحيح عن معاذ قال فاحق العباد على الله لا الواجب اذ لا يجب على الله شيء ثم السؤال به صلى الله عليه وسلم ليس سؤال الاله حتى يوجب اشراكا وانما هو سؤال الله تعالى بمن له عنده قدر على ومرتبة عظيمة وجاه عظيم فنكرامته على رب ان لا يخيب السائل به والمتوسل اليه بجأه ويكفي في هو ان منكر ذلك حرمانه اياه ثم ساق دليل الأعمى في حياته وقال بعده وانما عاهاه صلى الله عليه وسلم ولم يدع له لانه أراد ان يحصل منه التوجه بذل الافتقار والانكسار والاضطرار مستغيثا به صلى الله عليه وسلم ليحصل له كمال مقصوده وهذا المعنى حاصل في حياته وبعد وفاته ومن ثم استعمل السلف هذا الدعاء في حاجاتهم بعد موته صلى الله عليه وسلم فقد عاهاه عثمان بن حنيف راويه لمن كان له حاجة

ان النبي صلى الله عليه وسلم في منعهم عن المعاصي والشهوات المؤدية الى النار وكونهم مقتحمين متكلفين في وقوعها مشبه بشخص مشفق يمنع الدواب عنها رهن يغلبه وفي الحديث اخبار عن فرط

عند عثمان بن عفان رضى الله عنه عسر عليه قضاؤها منه ففعله فقضاها رواه الطبراني والبيهقي وروى
الطبراني بسند جيد انه صلى الله عليه وسلم ذكر في دعائه بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي ولا فرق
بين ذكر التوسل والاستغاثة والتشفع والتوجه به صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الأنبياء وكذلك
الأولياء كما قاله الامام العلامة السبكي لانه قد ورد جواز التوسل والاستغاثة بالأعمال الصالحة كما في
حديث الغار الصحيح مع كونها اعراضا للنوات الفاضلة أولى ولان عمر توسل بالعباس رضى الله
عنهما في الاستسقاء ولم يذكر عليه أحد والاستغاثة طلب الغوث والمستغيث يطلب من المستغاث به
ان يحصل له الغوث من غيره وان كان أعلى منه فالتوجه والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وبغيره ليس
لهما معنى في قلوب المسلمين غير ذلك ولم يقصد بهما أحد سواه فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبتك على
نفسه حيث لم ينشرح صدره لما انشرح به المسلمون وحيث اقترى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم
ما هم منه بريئون فلم يظهر عليه الا ما مزج قلبه وخالط لبه من سوء الظن المنهى عنه فليبتئ بها حسرة
خالدة وخسارة تالدة والمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم واسطة بينه وبين
المستغيث فهو تعالى مستغاث والغوث منه خلقا ويجادا والنبي صلى الله عليه وسلم مستغاث والغوث
منه تسببا وكسبا ومستغاث به والباء للاستعانة ثم قال وبالجملة اطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه
غوث ولو تسببا وكسبا أمر معلوم لا شك فيه لغة ولا شرعا فلا فرق بينه وبين السؤال وفي حديث
البخاري في الشفاعة يوم القيامة فيبيناهم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليهم
وسلم وصح عن ابن عباس انه قال أوحى الله الى عيسى يا عيسى آمن بمحمد ومصر من أدركه من أمتك
ان يؤمنوا به ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه أن
لا اله الا الله محمد رسول الله فمكن فكيف لا يتشفع ولا يتوسل بمن له هذا الجاه الواسع والقدر المنيع
عند سيده ومولاه المنعم عليه بما حباه وأولاده انتهى هذا آخر ما قدرت على جمعه وتفتحت كل دليل
على حسب وضعه نخذ اليك والسلام عليك والقصد في تهذيبي هذا ان تقضى فيه بقضاء الله الذي
يهديك ان شاء اليه ويوقفك بمحض فضله العميم على ما هو الحق لديه فتأمل في السوابق واللواحق
واستخرج بكمال فكرك ما بينهما من الحقائق والله يهديك سواء السبيل نعم المولى ونعم الوكيل
وأما المانعون فقد أطالوا الكلام في هذا المقام فاللزم تحرير ملخص ما دعوه وأقاموا الدليل عليه

شفقته على أمة ولا شك فيه (قوله على حسب) كلمة حسب اذا كان مجرورا بحرف الجر فالسين فيها
مفتوحة والافهى ساكنة وور بما تسكن في ضرورة الشعر على الوجه الاول وهو هنا بمعنى المقدار أى
على قدر وضعه (قوله في تهذيبي) تنقيحي (قوله السبيل) أى الطريق المستوى (قوله نعم
المولى) لا يضيع من تولاه (قوله الوكيل) الموكل اليه هو (قوله تحرير) أى تنقيح وتهذيب

ثم اذكر ما أجابوا به دلائل المجيزين فأقول وبالله أستعين اعلم ان الحاصل من متفرقات أقوالهم انه يجب اقرار الله سبحانه وتعالى بعبادته وتوحيده في معاملته لان الله سبحانه أرسل نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا الى الله ناهيا عن عبادة غيره وأنزل عليه كتابا مبينا بين فيه أحوال المشركين وما كانوا عليه من الشرك بالله العالمين وكان شركهم أن تصبوا أصناما تعتقدوها مقربة لهم عند الله اما لكونهم على صور ملائكته واما لكونهم اعتقدوا ان الله سبحانه قد شرعها بذواتها كما شرف الكعبة واما لكونها صوراً أنبياء كما هو معلوم عند الناظرين السابقين لأحوال المشركين أن منهم من عبد المسيح ومنهم من عبد عزير ومنهم من عبد اناسا صالحين كما قالوا في الآلات في قراءة من شدد التاء انه كان رجالا يات السويق فيطعمه لاجل جميع بمكة وانهم عبدوها مع الله سبحانه وقد كانت عندهم بقية من دين ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم فكانوا يحجون ويلبون ويستغفرون ويطعمون الطعام ويستعملون أخلاق الكرام وكانوا أيضا يفردون الله سبحانه بالخلق والرزق وملك السموات والأرض وملك السمع والأبصار وانه يجبر ولا يجار عليه الى غير ذلك مما أخبر الله عنهم في كتابه العزيز بقوله عز من قائل ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله وقوله سبحانه قل من الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله وقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله وقوله قل أرأيتم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون

(قوله الآلات) صنم في الطائف لثيف أولقريش تجله (قوله في قراءة من شدد التاء) وهو ما قرأ به هبة الله عن النبي وورش عن يعقوب (قوله يات السويق) بالسمن (قوله بمكة) مات فعكفوا على قبره (قوله يجبر) يغيث من يشاء ويحرسه (قوله ولا يجار عليه) أي لا يمنع منه وتعديته بعل لتضمنين معنى النصر (قوله وسخر الشمس والقمر) ذللها لما أراد منهما (قوله ليقولن الله) لما تقرر في العقول وجوب انتهاء الممكات الى واحد واجب الوجود (قوله سيقولون لله) لان العقل الصريح قد اضطرهم بأدنى نظر الى الاقرار بأنه خالقهما (قوله فسيقولون لله) فانه أعظم من ذلك (قوله أرأيتمكم) استفهام تعجب (قوله ان أتاكم عذاب الله) كما أتى من قبلكم (قوله الساعة) وهوها (قوله أغير الله تدعون) وهو تبكيت لهم (قوله ان كنتم صادقين) ان الاصنام آلهة (قوله بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول لفائدة التخصيص (قوله ما تدعون اليه) ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليهم ولا يشاء في الآخرة (قوله وتنسون ما تشركون) من شدة الأمر

وقوله أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أعله مع الله بل هم قوم يعدلون أم من جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أعله مع الله أي أعله مع الله فعل ذلك وهذا استفهام انكساري وهم مقرون بأنه لم يفعل هذا الله آخر مع الله ومن قال من المفسرين إن المراد هل مع الله آخرة فقد وهم فانهم كانوا يجادلون مع الله آلهة أخرى كما قال تعالى أتتكم للشهادون إن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد وقال تعالى فلا أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء وقال تعالى عنهم أجعل الآلهة لها واحد إن هذا الشيء عجاب ولما كانوا معترفين مقرين بأن الله سبحانه الرب الواحد خالق كل شيء فاعل هذه الأمور الجسم المعدل للربغبات والرهبات المعظام وذلك بنقل الله عنهم معتقدتهم في آيات كثيرة ومن أصدق من الله قيلا وكانوا أيضا يتخذون آلهتهم شفعا لهم تقر بهم إلى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله كما قال سبحانه عن صاحب يس ومالي لأعبد الذي فطرني وإليه ترجعون أعتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر

وهوله (قوله والأرض) التي هي أصول الكائنات ومهادى المنافع (قوله لكم) لأجلكم (قوله حدائق) وهي البساتين من الأحادي وهو الحاطة وعدل به عن الغيبة إلى التكاليف لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على أن اثبات الحدائق البهية المختلفة الأنواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما أشار إليه بقوله ما كان الخ (قوله شجرها) أي شجر الحدائق (قوله مع الله) أي غيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المنفرد بالخلق والتكوين (قوله يعدلون) عن الحق الذي هو التوحيد (قوله أم من جعل الأرض قرارا) أبرأ بعضها من الماء وتسويتها بحيث يثبت استقرار الإنسان والدواب عليها (قوله خلالها) أوسطها (قوله أنهارا) جارية (قوله رواسي) جبالا ثوابت تتكون فيها المعادن وتنبع من حضيضها المنابع (قوله البحرين) العذب والمالح أو خليجي فارس والروم (قوله حاجزا) بأن لا يختلط أحدهما بالآخر بل إن بينهما تنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر ما يقول المحجوز وذلك كدجلة تدخل البحر وتشق فتجري في خلاله فلا يغير طعمها (قوله قل لا أشهد) بما تشهدون (قوله من شيء) فلا نفع لهم ولا قدرت أن تدفع عنهم (قوله أجعل الآلهة لها واحد) بأن جعل الألوهية التي كانت لهم لواحد (قوله عجاب) بليغ في العجب فإنه خلاف ما طبق عليه آبائنا (قوله هؤلاء) الأصنام (قوله عند الله) تشفع لهم فيما هم من أمور الدنيا وفي الآخرة إن يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع إلى عبادة ما يعلم مطلقا أنه لا يضر ولا ينفع على توهم ربما تشفع لهم عنده (قوله عن صاحب يس) وهو حبيب النجار وكان ينحت

لا تغني عن شفاعتهم شيئا ولا ينقذون فساكن جل أحوال المشركين مع آلهتهم التوكل عليهم والالتجاء اليهم بشفاعتهم ظنهم أنها نافعة عند الله تعالى لهم فرد الله سبحانه عليهم وأبان معتقدتهم المسوّل لديهم فأخبرنا تعالى في كتابه أن الشفاعة كلها بجميع أنواعها له وأنه لا تسكون الأمن بعد أذنه ورضاه عن المشفوع له وهم المشار إليهم في الحديث الذي رواه البخاري أن أباه ريرة رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه فهو لأهل المخلصون هم الذين أخلصوا الدين كله لله فجعلوا الشفاعة والتوكل والرجاء والالتجاء وغير ذلك من خواص الألوهية حقوقا ثابتة لله تعالى لم يعطوها لغيره فوحده بها وأخلصوا الدعوة له فهم المؤمنون الموحدون وبكابه الذي أنزله على نبيه مهتدون وبما أمر به نبيه عاملون وبوعده الحق واثقون وحقيقة الشفاعة المأذون فيها أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص والتوحيد فيغفر لهم بواسطة دعاء الشافعين الذين أذن لهم فيه ليكرمهم على حسب مراتبهم وينال فينا صلى الله عليه وسلم منه المقام المحمود الذي يغبط به الأولون والآخرون وكما كان النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لأمته بدعاء واستسقاء واستغفار مما هو شفاعته منه لهم فكذلك في عرصات القيامة يفتح الله عليه في الدعاء فيشفعه كما سبق على وجه الاستقصاء وقد مر أيضا بيان الشفاعة المنفية ومن تأمل بعين الاستبصار علم أن المقصود بنفي الشفاعة نفي الشرك وهو أن لا يعبد إلا الله كما قال سبحانه وقضى ربك أن لا تعبدوا إلاياه ولا يدعى غير الله كما قال سبحانه وتعالى ولا تدعوا مع الله أحدا ولا يسأل غيره ولا يتوكل على غيره لا في شفاعته ولا في غيرها فكما أنه ليس للمؤمن أن يتوكل على أحد في أن يرزقه وإن كان الله يأتيه برزقه بأسباب كذلك ليس له أن يتوكل على غير الله في أن يغفر له ويرحمه في الآخرة بشفاعة وغيرهما لم يأذن الله به فالشفاعة التي نفاه القرآن مطلقا ما كان فيها شرك وتلك منفية مطلقا

أصنامهم وهو من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبينهم مائة سنة وقيل كان في غار يعبد الله فاما بلغه خبر رسل عيسى أظهر دينه (قوله لا تغني عنى) أى لا تنفعنى شفاعتهم (قوله ولا ينقذون) بالنصر والمظاهرة (قوله ورضاه عن المشفوع له) وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعا فإنه يأذن سبحانه في الشفاعة لمن يشاء من أهل التوحيد (قوله واثقون) عكس ما عليه المشركون أن الشفاعة تنال باتخاذهم شفعا وعبادتهم وموالاتهم من دون الله فقلب النبي صلى الله عليه وسلم ما في زعمهم الكاذب وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد حينئذ يأذن للشافع أن يشفع (قوله مطلقا) كما قال تعالى ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع إلى غير ذلك من الآيات المتقدمة وغيرها النافيات للشفاعة وهي ما كان فيها شرك (قوله وهي ما تكون بعد الأذن) وهي

والشفاعة المثبتة ما تكون بعد الاذن يوم القيامة ولا تكون الا لمن ارتضى من أهل التوحيد
والاخلاص فهذه الشفاعة من التوحيد ومستحقها أهل التوحيد فمن كان موحدًا مخلصًا قطع
رجاءه عن غير الله ولم يجعل له وليًا ولا شفيعًا من دون الله اذا تبين هذا فالمشركون قد كانت
عبادتهم لأهلهم هذا الالتجاء والرجاء والدعاء لأجل الشفاعة معتقدين انها المقربة لهم فبسبب هذا
الالتجاء والاعتقاد أريق دمائهم واستبيحت أموالهم وسييت نساؤهم وأولادهم وقد أرسل صلى
الله عليه وسلم بكلمة التوحيد شهادة أن لا إله الا الله ليعد لهم عمامة عليهم من الضلالات والجهالات
وأوجب عليهم أفراد الحق سبحانه بالالوهية التي من أعظم خواصها هذا الالتجاء والرجاء وأن لا
يجعلوها غيره من نبي مرسل أو ملك مقرب وقد تعبد لهم الله باعتقاد هذا التوحيد والعمل بمقتضى
هذه الكلمة المشتملة على التجريد والتفريد اللذين هما حقيقة التوحيد فهذه الالتجاء بطلب
الشفاعة ورجائها عبادة لا تصلح الا لله ومن صرف حق الله وانها شرك كثير الأولين فان قلت ان
الأولين كانوا يعبدونهم ونحن لا نعبدهم فالجواب أن عبادتهم هي هذا الالتجاء الذي أنت فيه وكما أنك
تدعو النبي صلى الله عليه وسلم الذي بعث باخلاص الدعوة لله وحاشا ان يرضى بذلك ولا يرضيه
الا ما يرضى ربه من التوحيد فانه قد أمر ونهى وحذر وبصر وأرشد وبلغ ونصح الأمة وأزال عنا
الغمة فهذه انا الى السبيل المستقيم والنعيم المقيم وتدعو غير دالة جئت اليهم بطلب الشفاعة منهم كذلك
الأولون كانوا يدعون صالحين وأنبياء ومرسلين طالبين منهم الشفاعة عند رب العالمين فهذه
الالتجاء والتوكل على هذه الشفاعة والرجاء أشركوا ولئن قلت ان النبي صلى الله عليه وسلم مأذون
بالشفاعة ونحن نطلبها ممن هو مأذون فيها فالجواب انه صلى الله عليه وسلم الآن موعود بالشفاعة ووعد
الله حق لسكرتهم مشروطة ببعده الاذن ورضاه عن المشفوع فيه فلا تطلب منه الآن ولو كانت تطلب منه
الآن لجاز لنا أن نطلبها أيضًا ممن وردت الشفاعة لهم كالقرآن والملائكة والافراط والحجر الأسود
والصالحين ولجاز لنا ان ندعوهم ونلتجئ اليهم ونرجوهم بهذه الشفاعة اذ لا فرق بين الجميع بالشبوت
والاذن فنصير اذا والمشركون الأولون في طريق واحد وحال واحد ولم تفرق الا بالأعمال الظاهرة
وقول كلمة التوحيد من غير عمل بما فيه او اعتقاد لحقيقتها ولا يقدم على ذلك من له أدنى مسكة من عقل
أو فكرة فيما صح من الثقل ومن نظر بعين الانصاف وتجنب سبيل الاعتساف ونظر الى ما كان عليه
الأولون وعرف كيف كان شركهم وبماذا أرسل لهم النبي صلى الله عليه وسلم وكيف التوحيد وما معنى

شفاعة العبد للمأمور الذي لا يشفع ولا يتقدم بين يدي ماله حتى يأذن له ويقول اشفع في فلان كما
في الآيات المتقدمة المقيدة فيها الشفاعة بقيد الاذن (قوله فهذه) كافي الآيات المتقدمة (قوله
أهل التوحيد) الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه

الاله والتأله وتبصر في العبادات وأنواعها تحقق ان هذا الالتجاء والتوكل والرجاء بمثل طلب الشفاعة هو الذي نهى عنه الأولون وأرسل لأجل قهه المراسلون وبذلك نطق الكتاب وبينه لنا خير من أوتي الحكمة وفصل الخطاب سيما اذا استغيث بهم لدفع الشدائد والملمات ورفع الكرب المهمات مما لا يقدر على دفعه ورفعها الا خالق الأرض والسماوات وقد كان المشركون الأولون اذا وقعوا في شدة دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم اذا هم يشركون ومن فعل هذا بحالتي الشدة والرخاء بل في قسمي المنع والعطاء فقد غلا وجاوز حده واستحق ان يكون سيف الرسالة غمده قال سبحانه له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا بكاسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال اذا دعاهم هذا فاعلم ان الاستغاثة بالشئ طلب الاغاثة والغوث منه كما ان الاستغاثة طالب الاغاثة منه فاذا كانت بداء من المستغيث للمستغاث كان ذلك سؤالا منه وظاهر ان ذلك ليس توسلا به الى غيره اذ قد جرت العادة ان من توسل بأحد عند غيره ان يقول استغاثه استغيثك على هذا الأمر بفلان فيوجه السؤال اليه ويقصر أمر شكواه عليه ولا يخاطب المستغاث به ويقول له أرجو منك أو أريد منك أو استغيث بك ويقول انه وسيلتي الى ربي وان كان كما يقول فسا قدر المتوسل اليه حتى قدره وقد رجا وتوكل والتجأ الى غيره كيف واستعمال العرب يأبى عنه فان من يقول صار لي ضيق فاستغثت بصاحب القبر فحصل الفرج يدل دلالة جلية على انه قد طلب الغوث منه ولم يفد كلامه انه توسل به بل انما يراد هذا المعنى اذا قال توسلت أو استغثت عند الله بفلان أو يقول المستغاث استغثت اليك بفلان فيكون حينئذ مدخول الباء متوسلا به ولا يصح ارادة هذا المعنى اذا قلت استغثت بفلان وتريد التوسل به سيما اذا كنت داعيه وسائله بل قولك هذا نص على ان مدخول الباء مستغاث وليس بمستغاث به والقراءن التي تكتنفه من الدعاء وقصر الرجاء والالتجاء شهود عدول ولا محيد عما شهدت به ولا عدول فهذه الاستغاثة وتوجه القلب الى المسؤول

(قوله مخلصين له الدين) لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه اعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد الا هو (قوله اذا هم يشركون) فاجؤا المعاوذة الى الشرك (قوله له دعوة الحق) أي الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد أو يدعى الى عبادته دون غيره أوله الدعوة المجابة فان من دعاه أجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل (قوله والذين يدعون من دونه) أي والمشركون الذين يدعون الأصنام فهدف المفعول للدلالة من دونه عليه (قوله بشئ) من الطلبات (قوله الا بكاسط كفيه) أي الاستجابة كاستجابة من بسط كفيه (قوله ليبلغ فاه) يطلب منه ان يبلغه (قوله وما هو ببالغه) لانه جاد لا يشعر بدعائه فلا يقدر على اجابة والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم (قوله الا في ضلال) أي في ضياع وباطل فلا يحجب

بالسؤال والالابة محظورة على المسلمين لم يشرعوا لأحد من أمته رسول رب العالمين وهل سمعتم أن
أحد في زمانه صلى الله عليه وسلم أو من بعده في القرون المشهود لأهلها بالنجاة والصدق وهم أعلم منا
بهذه المطالب وأحرص على نيل مثل تلك الرغائب استغاث بمن يزيل كربته التي لا يقدر على إزالتها
إلا الله أم كانوا يقصرون الاستغاث على مالك الأمور ولم يعبدوا إلا إياه ولقد جرت عليهم أمور مهمة
وبشأنهم مد لهم في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته فهل سمعتم عن أحد منهم أنه استغاث بالنبي
صلى الله عليه وسلم أو قالوا أنا مستغيثون بك يا رسول الله أم بلغك أنهم لا ذوا بقبره الشريف وهو سيد
القبور حين ضاقت منهم الصدور كالأمكن لم يكن لهم ذلك وإن الذي كان بعكس ما هنالك فلقد أنشئ الله
عليهم ورضي عنهم فقال عز من قائل إذا استغيثون ربكم فاستجاب لكم ميثاقنا إن هذه الاستغاث
أخص الدعاء وأجلى أحوال الالابة وهي من لوازم السائل المضطر الذي يضطر إلى طالب الغوث من
غيره فيخص نداء مولى استغاثته بمرئيه الأحسان في سره وجهره ففي استغاثته بغيره تعالى عند كربته
تعطيل لتوحيد معاملته فإن قلت إن الاستغاث بهم قدرة كسبية وتسببيه فتنسب الالابة إليهم بهذا
المعنى قلنا إن كلاً منافيه يستغاث به عند المصالح لا يقدر عليه إلا الله أو لسؤال ما لا يعطيه ويمنعه إلا
الله وأما فيما عدا ذلك مما يجري فيه التعاون والتعااض بين الناس واستغاث بعضهم ببعض فهذا شيء
لا نقول به ونعده ممنوعاً كما نعد إباحة ما قبله شر كإضلاله وكون العبد له قدرة كسبية لا يخرج بها
عن مشيئة رب البرية لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه إلا الله ولا يستعان به ولا يتوكل عليه ولا يتجأ في
ذلك إليه فلا يقال لأحد حي أو ميت قريب أو بعيد أرزقني أو امتني أو اسحق ميتي أو اسف مريضتي إلى
غير ذلك مما هو من الأفعال الخاصة بالواحد أو أحد الأفراد الصمد بل يقال لمن له قدرة كسبية قد جرت
العادة بحصولها من أهله الله لها عني في حل متاعى أو غير ذلك والقرآن ناطق بحظر الدعاء عن كل
أحد لا من الأحياء ولا من الأموات سواء كانوا أنبياء أو صالحين أو غيرهم وسواء كان الدعاء بلفظ
الاستغاث أو بغيرها فإن الأمور الغير المقدورة للعباد لا تطلب إلا من خالق القدر ومنشئ البشر كيف
والدعاء عبادة وهي مختصة به سبحانه أسبل الله علينا بفضله عفو ورضوانه آمين فالقصر على
ما تعبدنا فيه من محض الإيمان والعدول عنه عين المقت والخذلان وهذا خلاصة ما ذكره من جعل
الاستغاث والاستشفاع بغير الله شر كإظهار الإغفر ومتعاطيه جاعل الله ندا فيسجد بأمر الله تعالى
وشرع رسوله صلى الله عليه وسلم أن لم يتب ويعقروا بالجملة فالاستغاث والاستعانة والتوكل أغصان
دوحة التوحيد المطلوب من العبيد بقى ههنا شيء يورده المحيزون على هؤلاء المانعين وهو أنه لا شك
إن من عبد غير الله شرك حلال الدم والمال وإن الدعاء المختص بالله سبحانه عبادة بسل هو مخ
العبادة ولكن لا نسلم أن طالب الالابة ممن استغاث بهم شرك مطلقاً وإنما يكون شركاً لو كان

المستغيث معتقد أنهم هم الفاعلون لذلك خلقتوا إيجاد الخيثة يكون من الشرك الاعتقادي قطعا
 أما من اعتقد هم الفاعلين كسبا ونسبا فليس بمسلم ولئن ساء ما فليس المقصود من طلب الاغاثة منهم
 وندائهم الا التوسل بهم وبجاههم وان كان اللفظ ظاهرا يدل على الطلب منهم وانهم المطلوبون بهذا
 النداء لكن مقصود المستغيث التشفع والتوسل بهم الى ربهم وهو صلى الله عليه وسلم من أشرف
 الوسائل الى الله سبحانه وقد أمرنا سبحانه بتطلب ما يتوسل به فقال تعالى وابتغوا اليه الوسيلة
 فكيف تحظرونها بل تجعواونها شر كما نخرجنا عن الملة وليس في قلوب المسامحين الا هذا المعنى وان في
 ذلك تكفيرا لكثير الناس من غير ارباب والتباس وكيف تحكمون على اناس قد اظهروا شعائر
 الاسلام من أذان وصلاة وصوم وحج وابتغاء كآياتون بكامة التوحيد ويحبون الله ويحبون
 سيد المرسلين فيتلقون بالقبول التام ما جاء عنهم من أمور الدين وغاية الأمر انهم ليرهبهم من ربهم
 ومعرفتهم بعالم مرتبة فيهم وما أوعده الله سبحانه به من ارضائه في أمته كما قال سبحانه وسوف
 يعطيك ربك فترضى ولا يرضى صلى الله عليه وسلم الا بأن يقف لأمره في مثل هذه التوسلات فينالوا
 الرغبات وليس في أقوالكم هذه الا تنقص بحق هذا النبي الذي أوجب الله علينا حبه أكثر من محبتنا
 لأنفسنا وفي مثل ذلك بشاعة في القول وشناعة بطريق الأول فالجواب عنه منهم أن قالوا أما أول
 اعتراضكم وقولكم انه ليس مقصودهم الا التوسل وان تكلموا بما يفيد غير فانه يدل على ان
 الشرك لا يكون الا اعتقادي وانه لا يكون ككفر الا اذا طابق الاعتقاد وهذا يقتضي سدا أبواب
 الشرائع بأسرها ومحو الأبواب التي ذكرها الفقهاء في الردة ومحققها كيف وان الله سبحانه يقول
 ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وقال سبحانه أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن
 لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم وقد ذكر المفسرون انهم قالوها على جهة المزح وكذلك العامة
 كفروا بالفاظ سهلة جدا وبأفعال تدل على ما هو دون ذلك ولو فتحنا هذا الباب لأمكن لكل
 من تكلم بكلام يحكم على قائله بالردة ان يقول لم تحكمون بردي فيذكر احتمالا ولو بعيدا يخرج به عما
 كفر فيه ولما احتاج الى توبة ولا توجه عليه لوم أبدا واساغ لكل أحد ان يتكلم بكل ما أراد فتسد
 الأبواب المتعلقة بأحكام الألفاظ من حد قذف وكفارة يمين وظهار ولا تسد أبواب العقود من
 نكاح وطلاق وغير ذلك من الفسوخ والمعاملات فلا يتعلق حكم من الأحكام بأي لفظ كان الا اذا
 اعتقد المعنى وان أفيد بوضع الألفاظ وأما ما ذكرتم من أنه أشرف الوسائل فهي كلمة حق أريد بها

(قوله أبا لله وآياته الخ) تو يبخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به (قوله لا تعتذروا) أي

لا تستغلوا بأعذاركم (قوله بعد ايمانكم) أي بعد اظهاركم الايمان (قوله انهم قالوها الخ) أي

في غزوة تبوك

باطل كقولكم انه ذو الجاه العريض والمقام المنيع ونحن أولى بهذا المقام منكم لا تباغنا لأقواله وأفعاله واقتدائنا به صلى الله عليه وسلم في جميع أحوالنا مقتفين لآثاره واقفين عند أخباره فهو صلى الله عليه وسلم نبينا وهادينا إلى سبيل السلام ومنقذنا برسالته من مهاوى أولئك الجفاة الطغام فلا نعمل إلا بأمره ونلتقي ذلك بالسمع والطاعة في حوائجنا ومهماته وقد أوجب علينا أن نتبع سبيل المؤمنين ونهانا عن الغلو في الدين فإن غلونا فافتنا إذا عن الصراطنا كبون ولئن عدلنا إذا الخاسرون وكيف يحسن طريق يؤدى إلى الاشرار وأنى يليق بالموحدين هذا الوجه المؤدى للارتباك وهذا طريق سلفنا الصالح وهو الاعتقاد الصحيح الراجح هذا وإن النبي صلى الله عليه وسلم وأرواحنا له الفداء لا يرضى بما يغضب الرب المتعال وكيف لا وقد بعث بحماية التوحيد من هذه الأقوال والأفعال وقد قالت عائشة رضى الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه فليس لنا وسيلة إلى الله إلا الدعاء المبني على أصول الذل والافتقار والثناء فهو الوسيلة التي أمرنا الله سبحانه بالتوسل به وجعله من أفضل الوسائل وأخبرنا أنه مخ عبادته تحقيقا لعبادتنا فسد به عن غيره أبواب الدرائع وقد اختلف العلماء بعد أن اتفقوا على استحباب سؤال الله تعالى به وبأسمائه وبصفاته وأفعاله وبصالح أعمالنا التي حصلت لنا بمحض كرمه وإفضاله في جواز التوسل بالذوات المنيفة والأماكن والأوقات الشريفة فعن العز بن عبد السلام ومن تابعه عدم الجواز إلا بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث صح الحديث فيجوز ويكون ذلك خاصا به لا لغيره بقبته وسمو مرتبته وعن الحنابلة في أصح القولين مكروه كراهة تحريم ونقل الفقهاء الحنفية عن بشر بن الوليد أنه قال سمعت أبا يوسف يقول قال أبو حنيفة رضى الله عنه لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به وفي جميع متونهم أن قول الداعي المتوسل بحق الأنبياء والرسل وبحق البيت والمشرع الحرام مكروه كراهة تحريم وقال القدوري المسئلة بخلافه تعالى لا تجوز لأنه لا حق للمخاوق على الخالق وأما حديث أسالك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا وبحق نبيك والأنبياء من قبلي ففيها وهن وعلى تسليمها فالمراد بهذا الحق ما أوجب الله على نفسه وذلك من أفعاله لأن حق السائلين الإجابة وحق المطيعين الإجابة وحق الأنبياء التقريب والتفضل بما يخص أولئك العصاة صلى الله عليه وسلم وذلك كقوله تعالى وكان حقنا علينا نصر المؤمنين وقوله تعالى وعدا علينا حقا في التوراة والإنجيل والقرآن وقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة وقوله صلى الله عليه وسلم حق الله على العباد

(قوله الحنفية) ومن جلتهم القدوري في شرح كتاب السكرخي (قوله كراهة تحريم) وهو عند أبي حنيفة وأبي يوسف إلى الحرام أقرب وجانب التحريم أغلب وعند محمد كالحرام في العقوبة بالنار (قوله وقال القدوري الخ) أي في شرح كتاب السكرخي وكذلك قال يلدجي في شرح المختار

ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذبهم أو السؤل بالاعمال لان الممشى الى
الطاعة امتثالاً لا مرد عمل طاعة وذلك من أعظم الوسائل المأمور بها في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة ومن نظر الى الادعية الواردة في الكتاب والسنة لم يجد لها خارجة عما
ذكرنا قال الله تعالى في دعاء المؤمنين ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا
وقال تعالى انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين وقال
تعالى عن الخواريين ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وكان ابن مسعود
رضي الله عنه يقول اللهم انك أمرتني فاطعتك ودعوتني فاجبتك فاغفر لي ودعاء النبي صلى الله
عليه وسلم الذي جمعه العلماء لا يخرج عن هذا النمط فاتبع أيها الناظر نبيك المصطفى تسلم من اللغات
والغلط هذا ما كان من تحرير مدعي المانعين وتقريره على وجهه أبان عن لباب تلخيصهم بتسطيره
ولم يبق علينا الا ذكر ما أجابوا به عن دلائل المجيزين مبيهاً ذلك أتم تبين قالوا في الجواب عن حديث
العباس بن حنيفة رضي الله عنه الذي دل على الجواز في حياته وفي الرواية الاخرى بعد وفاته اعلم أن
الجواب عنه يعلم من تأمل معناه فقوله (اللهم اني أسألك) أي أطلب منك (وأوجه اليك بنبيك
محمد) صرح باسمه مع ورود النهي عن ذلك تواضعاً منه صلى الله عليه وسلم لكون التعليم من قبله
وفي ذلك قصر السؤل الذي هو أصل الدعاء على الله الملك المتعال ولكنه توسل بالنبي أي بدعائه
ولذا قال في آخره اللهم فشفعه في اذنه فاعفته لا تكون الا بالدعاء له به قطعاً ولو كان المراد التوسل
بذاته فقط لم يكن لذلك التعقيب معنى اذ التوسل بقوله بنبيك كاف في افادة هذا المعنى فقوله (يا محمد
اني توجهت بك الى ربي) قال الطيبي الباء في بك للاستعانة وقوله اني توجهت بك بعد قوله أوجه
اليك فيه معنى قوله من ذا الذي يشفع عنده الا بذنه فيكون خطاباً للحاضر معين في قلبه مرتبطاً
بما توجه به عنده من سؤال نبيه بدعائه الذي هو عين شفاعته ولذلك أتى بالصيغة الماضية بعد
الصيغة المضارعية المفيد كل ذلك ان هذا الداعي قد توسل بشفاعة نبيه في دعائه فكأنه استحضره

(قوله وابتغوا اليه الوسيلة) أي اطلبوا ما تتوسلون به الى ثوابه والزمي منه من فعل الطاعات وترك
المعاصي من وسئل الى كذا اذا تقرب اليه (قوله منادياً) المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
القرآن (قوله من عبادي) يعني المؤمنين وقيل اصحابه وقيل أهل الصفة (قوله الخواريين)
أصحاب نبي الله عيسى وحواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص وسموا أصحاب عيسى
بهذا الاسم لخالص نيتهم وبقاء سريرتهم وقيل كانوا ما كانوا يلبسون البياض استئناساً بهم عيسى على
اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب أي يبيضونها (قوله مع الشاهدين) بوحدة انيتك أو مع
الأنبياء الذين يشهدون لاتباعهم أو مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس

وقت تدائه ومثل ذلك كثير في المقامات الخطائية والقراش الاعتبارية فقلوه (في حاجتي هذه لتقضي لي) أي ليقضيها لي ربي بشفاعته أي في دعائه وذلك مشروع مأثور به فان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين كانوا يطلبون منه الدعاء وكان يدعو لهم وكذلك يجوز الآن أن تأتي رجلا صالحا فتطلب منه الدعاء لك بل يجوز للأعلى أن يطلب من الأدنى الدعاء له كما طالب النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء من عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عمرته بأن قال له لا تنسنا يا أخى من دعائك قال عمر رضي الله عنه ما يسرني بها جر النعم قال العلامة المناوي سأل الله ألا أن يأذن لنبيه أن يشفع له ثم أقبل على النبي ملتصقا بشفاعته له ثم كرم قبلا على ربه أن يقبل شفاعته والباء في بنيك المتعدية وفي بك للاستعانة وقوله (اللهم فشفعه في) أي أقبل شفاعته في حقى والعطف على مقدر أي اجعله شفيعا لي فشفعه وكل هذه المعاني دالة على وجود شفاعته بذلك وهو دعاؤه صلى الله عليه وسلم له بكشف عاهته وليس ذلك بمحذور غاية الأمر أنه توسل من غير دعاء بل هو نداء الحاضر والدعاء أخص من النداء اذ هو نداء عبادة شاملة للسؤال بما لا يقدر عليه إلا الله وإنما المحذور السؤال بالذوات لا مطلقا بل على معنى أنهم وسائل لله بذواتهم وأما كونهم وسائل بدعائهم فغير محذور وإذا اعتقد أنهم وسائل لله بذواتهم فسأل منهم الشفاعة للتقريب إليهم فذلك عين ما كان عليه المشركون الأولون وأما ورود هذا الحديث عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه في زمن عثمان ففي سنده مقال فكيف نعارض به جميع كتاب الله وسنة رسوله وعمل أصحابه وهل سمعت أحدا منهم جاء إليه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته إلى قبره الشريف فطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله وهم حريصون على مثل هذه المشويات لاسيما والنفوس موالعة بقضاء حوائجها تشبث بكل ما تقدر عليه فلو صح عند أحدهم أدنى شيء من ذلك لرأيت أصحابه يتناوبون قبره الشريف في حوائجهم زمرا زمرا ومثل ذلك تتوفر الدواعي على نقله ولا وسع الله طريقا يتسع للصحابة والتابعين وصلاح علماء الدين وأما ما ذكره من الاستدلال بتوسل عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ما فالمراد بذلك أن يدعو لهم يدل عليه ثبوت دعائه لهم بطالب السقيا كما جاءت به بقية الروايات وهذا المعنى هو الذي عناه الفقهاء في كتبهم ومرادهم التوجه إلى الله بدعاء الصالحين بأن يدعو لهم ولو كان التوسل بالذوات هو المطلوب والمطلوب الذي أقاموا عليه الدليل وهم بمقتضى دليلهم لا يخصون الأحياء بهذا التوسل ويستحبون التوسل بالذوات الشريفة ولو بذواتهم ودعائهم كما مر تقريره من دليلهم وأنه على معنى أن الشفعاء يدعون لهم وقالوا لا مانع من ذلك عقلا وشرعا فانهم أحياء في قبورهم لكان التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمر المهم وهم عنده بالمدينة أولى

(قوله بالنبي) أي بدعائه فيكون على حذف مضاف

ولكان قولهم كما في رواية البخاري ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استسقى بالعباس وقال اللهم
 انا كنا اذا جدد بنا توصلنا اليك بنبيك فقتلنا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاستقنا فيستقون من هذا
 الحديث اللهم انا كنا اذا جدد بنا الى آخره عبثا ضاعا بل محال بما يقولون ويدعون بل هو من أقوى
 الأدلة وأرجحها وأعلاها وأوثقها وأصحها وأصدقها الماندعية فان قول عمر رضى الله عنه اللهم انا كنا
 اذا جدد بنا توصلنا الى آخره يدل دلالة ظاهرة على انقطاع ذلك الذي هو الدعاء بدليل قوله انا كنا
 كان العباس حيا طلبوه منه فلما مات فات فقصرهم له على الموجودين ولو كانوا مفضولين دليل
 ساطع وبرهان لامع على هذا المراد ولو كان المقصود الذوات كما يقولون لبقيت هذه التوسلات
 عندهم على حالها لم تتغير ولم تبدل الى المفضولين بعد وجود الفاضلين سيما الانبياء والمرسلين فتأمل
 في هذا فانه أحسن ما في هذه الأوراق حقيق بان يضرب عليه رواق الاتفاق والله يهديك السبيل
 نعم المولى ونعم الوكيل وأما حديث آدم الذي رواه الطبراني فقد علم جوابه مما مر في الجواب عن قوله
 بحق أنبيائه مع ان حديث بحق أنبيائك فيه ضعف كما ذكره المحدثون وأما الدليل الذي ساقه
 القسطلاني وهو حديث لو تشفعت اليها محمد الى آخره فمع كونه لا يعلم راويه ولا مخرجه لا يفيد ما هم
 فيه وأما حديث الاعرابي الذي ذكره الأبيات فقد تفرد به البيهقي لبيان دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم
 وقد جرت عادة المحدثين في مثل ذلك لا يتحاشون عن ايراد الحديث الضعيف وهم جمع فكيف بهذا
 الحديث الفرد الذي لم يكن موجبا لسقوطه الا التفرد بروايته لكفى أثر يدون ان تثبتوا به حكما هو
 مبنى الدين وأساس ملة المساهين وأما باقي الأحاديث فلا تخلو عن ضعف أو كذب أو غير ذلك مما
 يمنع العمل بموجبها ولو نظرت اليها بعين الايمان وجدت آثارا للوضع لا ثبوت عليها وأحوال الصحابة
 وأعمالهم تدل على انهم غير معترفين بما فيها ولو كان عندهم من ذلك أدنى رائحة لجأوا الى قبر النبي
 صلى الله عليه وسلم في جميع ما ينوبهم على الرواحل وتركوها عند ذلك جميع المشاغل وأما استغاثة
 الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم وقبلة بآدم ثم بنوح الى آخر حديث الشفاعة الصحيحة فهذه شفاععة
 بالدعاء والاستغاثة بما يقدر عليه المستغاث مستحسنة عقلا وشرعا ومن ذلك الرفقة يستغيث
 بعضهم بعضا في مهماتهم التي يقدرون عليها وكذلك ما طلب الناس منه وهي الشفاعة التي هي
 الدعاء ولذلك يقول سيد الشفعاء صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث فأجىء فأسجد وانه يلهمه الله من
 الشاء والدعاء شيئا لم يفعله غيره صلى الله عليه وسلم فعند ذلك يأذن الله له في الشفاعة ويقول له كما ورد

(قوله اذا جدد بنا توصلنا إلخ) بل المفهوم من ذلك انهم يتوسلون بدعائه فيدعونه ويدعون
 له كالامام والمؤمنين من غير ان يكونوا يقسمون على الله بمخاوق (قوله على هذا المراد) فعمل
 ان هذا التوسل الذي ذكره هو مما يفعل بالأحياء دون الأموات وهو التوسل بدعائهم فان

في الحديث يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وهذا ظاهر جدا وأما ما ذكره من إجماع الناس فهو لا يصلح سنداً عند فسادهم نعم لو كانوا بوقت صالح لم ينفذ فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لربما صلح إن يكون إجماعاً فعلياً وقد صرحوا بمثل ذلك من نظائره هذا كله على سبيل التسليم وإرخاء العنان للخصوم وأما ما ذكرتم من التبرك بآثاره الشريفة في حياته صلى الله عليه وسلم أي آثار نفسه من أجزائه المقدسة ومماس أعضاءه الشريفة من ملابسه فذلك حق واجب علينا أيها المسلمون تفديده بأنفسنا وذلك من تعظيمه وبالغ تعزيزه وتوقيره صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وما عد ذلك لا نقول به ولا نعمل إلا بما ورد فنعبد الله تعالى بهذه الطاعة والتعظيم لنبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم بالاتباع لا بالابتداع والكلام في ذلك يأتي في باب البدع وأما حديث مالك الذي رواه صاحب الشفاء فهو معارض برواية المبسوط المخالفة له والموافقة لمذهبه ومات كثر منه مراراً عديدة من نهيه عما هو أدنى من ذلك كيف وسد الذرائع مشهور من مذهبه فحمل رواية الشفاء على السقوط أولى لكون رواية المبسوط أصح وأقوى وأوفق غاية الأمر التعارض وإذا تعارضت الروايتان فسقطت وأرجع إلى الأصل المرجوع إليه في الالتباس والأصل ما ذكرناه وفصلناه فالعمل به هو الواجب سيما في مثل هذه المطالب وأما رواية استشفاع عمر رضي الله عنه بشيعة العباس رضي الله عنه فالمراد بذلك ذكر ما يكون سبباً لاستدراج الرحمة وتنزل النعمة كما يقول الإنسان اللهم كبر سني ووهن عظمي فارحم شيعتي سيما إذا كانت شيعة قد شابت في الإسلام ومثل العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنو أبيه ومحله من الإسلام ما لا ينكر فكيف لا تذكر فقد كر الشيعة من قبيل ذكر الملزوم وأرادة اللازم الذي هو الزمان المصروف في سبيل الله ومروضة الآله فيرجع الأمر إلى ما نحن فيه ولا يقدم عاقل على القول بالتوسل بذات الشيعة نفسها بل بما تلبست به من الإيمان والإسلام والانقياد إلى طاعة الملك العلام هذا على تقدير صحة الرواية بهذا والافهني ضعيفة لا تثبت لها صحة وأما حكاية العتبي عن الأعرجي واستحسان العامة لذلك وكذلك المنامات التي أوردوها في ذلك والأقوال التي ذكرت معها من غير سند شرعي يستندون ولا طريق مرعي يوقفون الطلاب عليه فلا تتعب أنفسنا بجواب ففيما ذكرناه كفاية لأولي الأبواب بقي علينا ما أدلوا به علينا من حياة الأنبياء ليتوصلوا به إلى ترويح مدعاهم من استحسان دعائهم وطلب اغاثتهم وأولوه بأن مرادهم من ذلك الاستشفاع طلب أن يدعو لهم فنقول هذا حق ثابت فنعتمد حياتهم صلى الله عليه وسلم حياة برزخية فوق حياة الشهداء وإن نبينا صلى الله عليه وسلم قد جعل عند قبره الشربف ملك يبلغه سلام المسلمين الذين عند ضريحه المكرم والنائين وإن الأنبياء جميعهم طريون لا تأكل الأرض

الحى يطلب منه ذلك والميت لا يطلب منه شيء لا دعاء ولا غيره

أجسادهم الشريفة وكان منع ان يطالب منهم شيء فلا يسألون شيئاً بعد وفاتهم سواء كان بلفظ استغاثة أو توجه أو استشفاع أو غير ذلك فجميع ذلك من وظائف الألوهية فلا يليق جعلها لمن يتصف بالعبودية من البرية فان ادعى أحد ان حياتهم صلى الله عليه وسلم اذ ثبتت الرواية بها حقيقة كما هو الأصل في حل الألفاظ على حقائقها ولم تثبت قرينة على التجوز بها فتبقى على حقيقتها أجناد قائلين لا شك انه لا يراد بهذه الحياة الحقيقية ولو أرادت لاقتضت جميع لوازمها من أعمال وتكليف وعبادة ونطاق وغير ذلك من وظائف الحياة وحيث انتفت حقيقة هذه الحياة الدنيوية بانتفاء لوازمها وبحصول الانتقال من هذه الحياة الدنيوية الى تلك الحياة البرزخية المعبر عن هذا الانتقال بالموت الحال به صلى الله عليه وسلم وأرواحنا الفداء كما قال تعالى انك ميت وانهم ميتون وقال عز من قائل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فان يضر الله شيئاً الآية وحاول الموت به صلى الله عليه وسلم أمر لا يمكن أحد انكاره ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما دهش بموته صلى الله عليه وسلم وأرواحنا الفداء من قال مات محمد ضربت عنقه فاجاء الصديق رضي الله عنه وكشف عن وجهه الشريف المكرم قال له وروحي لك الفداء طبت حيا وميتا فصعد المنبر فقال في خطبته من كان يعبد محمد افان محمد اقدم مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وتلا هذه الآية فترجع الناس الى عقولهم وقد بسطت الروايات في أحوال

(قوله انك ميت وانهم ميتون) فان الكل بصدد الموت وفي عدد الموت (قوله قد خلت من قبله الرسل) أي فسيخاؤ كما خاوا بالموت أو القتل (قوله أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) انكار لارتدادهم وانقلابهم على أعقابهم عن الدين خاؤه بموت أو قتل بعد علمهم بخاؤ الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به روى انه لما رمى عبد الله بن قاعة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسرت باعيته وشجع وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قاعة وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمد او صرخ صارخ ألا ان محمد اقد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من أصحابه وجوه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقيون وقال بعضهم ليت ابن أبي يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني أعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه وشدي سيفه فقاتل حتى قتل فنزلت (قوله فان يضر الله شيئاً) بارتداده بل يضر نفسه (قوله الآية) أي اقرأ آخرها وهو وسيجزى الله الشاكرين أي على نعمة الاسلام بالشهادت عليه كأنس واضرابه

موته الذي يدهش العقول ويذهل المرء عن الفروع والأصول نفديده صلى الله عليه وسلم بأنفسنا
وأولادنا ثبتت الحياة الأخرى البرزخية وهي متفاوتة في حياة الشهداء فوق حياة المؤمنين وحياة
الأنبياء أعلى من حياة الشهداء فنقتصر على ما ثبت لها في النصوص القطعية من الأحوال
المستحسنة المرضية وقد شرف الله سبحانه هؤلاء الأحياء بالتشريفات العنصرية فقال سبحانه
في حق الشهداء الذين تتفاضل مرتبتهم عند الأنبياء ولا تحسب بن الذي قتلوا في سبيل الله أمواتا بل
أحياء عند ربهم يرزقون أدخلنا الله تعالى تحت شفاعته الشافعين سيما شفاعته نبينا سيد المرسلين
وامام المتقين آمين وهذا آخر ما تلخص من أجوبة المانعين فدرونا عقدنا انتظم من درر ومجموعا
اشتمل على فوائد كلها غرر فاصغ بسامعك لمناديه ولا تجعلك الهوى فتعاديده ولا بدلك من ان
تعمل في الكلامين مقرض نظرك وتلج في بحر البحرين بمحرك وبحرك وتخلي نفسك عن كل
غصيبة نسبية وتحليها بمزاي القرائن السيئية رزقنا الله تعالى التثبيت في القول والعمل وجنبنا بفضله
الخطأ والزلل بمنه وفضله آمين

﴿الباب السابع في بيان الشرك الأكبر المخرج عن الملّة وبيان ما قيل فيه﴾

اعلم أعاذني الله وإياك من الشرك والكفر والضلال وأمدنا بالتوفيق لما يحب ويرضاه من الأقوال
والأفعال ان الشرك يضاد التوحيد فهي لا يجتمعان كما ان الكفر يضاد الايمان وانهم ما ضدان فاذا
قيل هذا موحد فعنده انه معتقد الواحدانية لله وغير مثبت له شركا ولا يكون موحد التوحيد المطلوب
حتى يتخلى عن كل ما فيه شرك للعبود وضده الشرك الذي يحصل منه الشرك ولو ببعض أنواعه
بأقواله أو أحواله أو أفعاله أو اعتقاده أو معاملاته أو بوقاقه وتحسينه أو برضاه به بقوله أو سماعه وأما
الكفر فهو عبارة عن عدم التصديق القلبي بما جاء من عند الله تعالى وثبت عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم مأخوذ من الكفر وهو الاستتراف كأن هذا الجاحد الغير المعترف بما وجب الايمان به قد
ستر ما وجب عليه بأعراضه عماسيق اليه ولما كانت الجاهلية قد أشركوا في عبادتهم ما استحسنوه
بفساد عقولهم مقلدين بذلك الضلال الماضين من أصولهم فعمكفوا على عبادة أصنام وأوثان
وأشجار وأحجار وتماثيل وقبور ونصب وصخور متبركين يهاراجين شفاعتها عند خالقها ملتجئين
اليها مستمسكين بما زعموه من انهم محسوبون عليها وكان قد تشعبت من شجرة هذا الشرك

(قوله عند ربهم) ذووزل في منه (قوله يرزقون) من الجنة وتأكيد كونهم أحياء (قوله
بمحرك وبمحرك) أي في أمور ككها باديها وخافها ذ العجس العروق المنعقدة في الظهر والبحر
العروق المنعقدة في البطن كما في نهاية ابن الأثير (قوله من الكفر) بالفتح (قوله الستر) ومنه
قيل للزراع كافر (قوله وأوثان) جمع وثن بفتح حين عطف تفسير للاصنام وقيل غير ان أحدهما

الخبث فتون ضلالات وابتدعت من هذا الأصل الباطل فروع جهالات من التطير والخلف بما
 تألهوه وتعليق الرقي والتولة والتمايم لجلب ودفع ما أرادوه فشر كوا بين الخالق والمخلوق بالحب والرجاء
 والخوف والاتجاء والمنع والعطاء والتقريب والاقصاء ثم لم تزل تعم تلك الجهالة وتستعمل بينهم نيران
 الضلالة حتى اتخذوا لهم من الأديان ما لم يأذن به الله فسيبوا السوائب وجوا الحام ووصلوا الوصائل ولم
 يزالوا في جاهلية جهلاء وخالفة عمياء أرسل الله نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم إليهم مبشرا ونذيرا
 وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا وأنزل عليه كتابا عربيا أعجز البلغاء وأخس الفصحاء واتخذهم
 بأقصر سورة منه فجزوا عن الاتيان ببعضها فجادوا عنه وأيده بالمعجزات الباهرات والآيات البينات
 فصعد صلى الله عليه وسلم بالتجريد والتفريد اللذين هما حقيقة التوحيد وحتم عليهم توحيد الله
 سبحانه عن هذا الشرك الذي بينه في كتابه المنزل بضرب الأمثال واقامة البراهين على الوجه البارع
 المفصل فذلك ترى القرآن والحديث مشحونين بذكر الشرك والمشركين أكثر من ذكر الكفر
 والكافرين وكان التعرض للشرك في ذلك الزمان وبعده في زمن الصحابة والتابعين هو المعروف
 المشهور قد بلغ الغاية في الاشتهار والظهور ثم لما اندرست قواعد الشرك بالدراس أهله وظهرت
 شعائر الدين القويم بظهور فروعه من أصله لم تكدر ترى أحدا يتعرض للشرك وأحواله ولا يلوث
 لسانه بذلك القدر في جميع أقواله فذلك ترى العلماء قد أطنبوا في أبواب الردة والعياذ بالله من ذكر
 المكفرات وأعرضوا عن المشركات مع أن كثيرا منها داخل في عموم المكفرات لما هو ظاهر أن كل
 شرك كفر وليس كل كفر شرك كما مثل القاء المصحف في القاذورات وغير ذلك مما هو كفر وليس
 بشرك ولقد تنبعت الشروح الحديثية والكتب الكلامية فلم أجده من ذلك إلا جلا قليات
 وسطورا متفرقات فأحييت أن أجمع في هذا الباب ما تفرق وألم شمله فقد كاد أن يتفرق فأقول وبالله
 أستعين اعلم أن الشرك إما أن يكون في الربوبية وإما في الألوهية والثاني إما أن يكون في الاعتقاد
 وإما في المعاملة الخاصة برب العباد وهذا الثاني الذي يتفرع منه شرك العباد منقسم إلى أقوال

منحوت من خشب والآخر من حجر (قوله وجوا الحام) تقدم الكلام على السائبة والوصيلة
 وأما الحام فهو أن الجاهلية كانوا إذا أنتجت الناقة من صلب الفحل عشرة أبطن جواظهم ولم يمنعوه
 من ماء ولا مسعى وقالوا حي ظهره (قوله مبشرا) للمؤمنين بالجنة وقوله ونذير للكافرين بالنار
 (قوله وداعيا إلى الله) أي إلى الإقرار به وتوحيده وما يجب الإيمان به من صفاته (قوله بأذنه)
 بتيسيره فيد به الدعوى أي إذا ناب أن ذلك أمر صعب لا يتأتى إلا بمعونة من جانب قدسه (قوله وسراجا
 منيرا) نبيا أمرا يستضاء به من ظلمات الجهالة ويقتبس من نور أنوار البصائر (قوله وغير ذلك)
 كشبه الزنار ونحوه مما يأتي (قوله وألم) أجمع

وأفعال وفي كل منهما يكون الشرك الأكبر الغير المغفور والأصغر المغفور وكلاهما الآن في الشرك الأكبر الذي أوجب الله سبحانه علينا التحرز منه ولا يكمل توحيد العبد إلا بعد معرفته بالشرك بأنواعه وأسبابه كما قال الشاعر

عرفت الشر لا للشرك لكن لتوقيه * فن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

ولأجل الحذر من هذا الخطر كان صلى الله عليه وسلم يستعينه مع أنه أعلم الناس بالله وأشدهم خشية من الله كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في قوله اللهم اني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم وأعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً وأنا لا أعلم الى غير ذلك من دعائه وخاصة ندائه وقد استعاذ منه أيضاً خليل الله إبراهيم عليه الصلوة والسلام بقوله رب اجنبني وبنى أن نعبد الأصنام وكان أبناؤه أنبياء مرسلين وإذا كان هذا خاتم النبيين وهذا خليل رب العالمين قد استعاذ آمنه وطلبنا التحرز بالله عنه وخشياً وقوعها فيه وهما أفضل الرسل فكيف بغيرهما كائنات من كان يدعيه ظاهر اغنيا عن البيان فأوسأت أحداً من أجهل هذه الأمة عن هذه المسائل من التوحيد والشرك وأصل كل وما يتفرع عن كل لاستهزأ بك وأزرى ونأى بجانبه عنك ولم يدركه ما درى ولم ينظر الى ما كان عليه الصحابة والتابعون الكرام من بذل الجهد في التذكريات لهذا المقام وبالجملة فطلب معرفة التوحيد الواجب على العبيد من أهم المطالب وأنجح المسالك فبالشرك في الربوبية لم يقل به أحد من الكفار ولا قال أحد بوجود خالقين واجبي الوجود وإن حصل من بعض الكفار التعطيل في الربوبية كتعطيل فرعون واضرابه وأما الشرك في الألوهية فهو أنواع بحسب تأله المتألهين وزعم الزاعمين ولم يقل أحدان للعالم الهين متماثلين متكافئين الا الشنوية وأما الوثنية العابدون ما سوى الله فأنهم لا يقولون بالتعدد وإن أطلقوا عليها اسم الآلهة قال السيد الجرجاني في شرحه للواقف العضدية في مقصد التوحيد بعد أن سرد الدلائل العقلية عليه مانصه وقد مر أنه يمكن اثبات الوحدة بالادلة النقلية

(قوله لا لشرك) أي لفعله (قوله اتوقيه) لأجل توقيه (قوله يقع فيه) لأن من عرف شيئاً أمكنه التحرز منه (قوله اجنبني وبنى) أي بعدي وإياهم (قوله أن نعبد الأصنام) أي واجعلنا منها في جانب (قوله من أهم المطالب الخ) إذ ما نتج من الشرك إلا من جرد توحيد الله وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم الى الله واتخذ الله وحده وليه واله ومعبوده فجرد حبه لله وخوفه لله ورجاءه لله وذله لله وتوكله على الله واستعانت به بالله وأخلص قصده متبعاً لأمره متطابقاً لمراضاته إذا سأل سأل الله وإذا استعان استعان بالله وإذا عمل عمل لله فهو بالله والله ومع الله ولا يتم معرفة التوحيد إلا بمعرفة الشرك إذاً الأشياء تبين بأضدادها (قوله النقلية) مثل قوله فاعلم أنه لا إله الا الله

أعدم توقف صحتها على التوحيد (واعلم أنه لا يخالف هذا الأصل الاثنوية) دون الوثنية فانهم لا يقولون بوجود الهين واجبي الوجود ولا يصفون الأوثان بصفات الالهية وان أطلقوا عليها اسم الآلهة بل اتخذوها على انها تماثيل الأنبياء أو الزهاد أو الملائكة أو الكواكب واشتغلوا بتعظيمها على وجه العبادة توصلابها الى ما هو اله حقيقة انتهى ومن ذلك المذكور الاشتغال بتعظيم القبور على وجه العبادة لها فانه يصيرها أوثانا تعبد من دون الله ودليل ذلك ما رواه مالك في الموطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ففيه دليل على ان الغلو في تعظيمها يصيرها أوثانا بعبادتها ولقد نشأت البلوى من هذا الغلو في الدين وقد قال تعالى يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق فالغلو في الدين من السلوك في غير سبيل المؤمنين قال صاحب مجالس الأبرار مانصه أنواع الشرك ستة أحدها شرك استقلال وهو اثبات الهين مستقلين كشرك اثنوية فانهم قالوا انجد في العالم خيرا كثيرا وشرا كثيرا والواحد لا يكون خيرا وشرا بالضرورة فلا بد ان يكون لكل منهما فاعل على حدة ثم انهم انقسموا قسمين فذكرهم ثم قال والثاني من أنواع الشرك شرك تبعية وهو جعل الاله مركبا من آلهة كشرك النصارى فانهم أثبتوا الأقانيم الثلاثة هي الوجود والعلم والحياة وحكموا عليها بأنها آلهة واعتقدوا ان الاله مركب من هذه الثلاثة وقالوا مجموع هذه الثلاثة واحد وجعلوا الذات الواحد

(قوله على التوحيد) أي لان العلم بصحة الدلائل العقلية لا يتوقف على العلم بأن الاله واحد حتى يلزم الدور بل العلم بصحة الدلائل العقلية يتوقف على العلم بصدق الرسول والعلم بصدق الرسول يتوقف على دلالة المعجزة على صدقه لا على التوحيد فلا يلزم الدور (قوله يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) الخطاب للفرقيين غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه بمارموه وغلت النصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل الخطاب للنصارى خاصة وهو أوفق لقوله (قوله غير الحق) يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد (قوله قال صاحب الخ) هو الفاضل أجد الرومي (قوله فذكرهم) بأن قال القسم الأول المانوية فانهم قالوا فاعل الخير والنور وفاعل الشر الظلمة والقسم الثاني المجوس فانهم قالوا فاعل الخير يزدان وفاعل الشر أهر من يعنون به الشيطان ثم اختلفوا في ان أهر من قديم كيزدان أو حادث منه (قوله كشرك النصارى) النسطورية والملاكانية (قوله الأقانيم) هي بمعنى الأصول واحدها اقنوم قال الجوهرى وأحسبها رومية (قوله الثلاثة) فانهم قالوا ان الله تعالى جوهر واحد وله أقانيم ذاتية أي ثلاثة خواص جوهرية (قوله هي الوجود والعلم والحياة) وعبروا عن الوجود بالأب وعن العلم بالكلمة وعن الحياة بروح القدس

ثلاث صفات وذلك غير معقول لعاقل الثالث من أنواع الشرك شرك تقرب وهو عبادة غير الله ليقترب إلى الله تعالى كشرك متقدمي عبدة الأصنام فانهم لما رأوا ان عبادتهم للمولى العظيم على ما هم عليه من غاية الدناءة وغاية الحقارة سوء أدب عظيم تقر بوال إليه بعبادة من هو أعلى منهم عنده كالملائكة والشمس والقمر والنجوم والنار ونحوها ثم انهم لما رأوا غيبة من اختاروا عبادته عنهم صنعوا الأصنام أمثلة لما غاب عنهم من معبوداتهم واشتغلوا بعبادتها ونيتهم في ذلك ان يتقربوا إلى ما جعلوه مثالا له وقصد هم من جميع ذلك ان يتقربوا إلى المولى العظيم لكن تلاعب الشيطان في عقولهم وأوقعهم في الضلال الرابع من أنواع الشرك شرك تقليد وهو عبادة غير الله تقليد الغيرهم كشرك متأخري عبدة الأوثان فانهم لما وجدوا آباءهم وأجدادهم مشغولين بعبادتها قلندوهم فيها وقالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون وهم كآبائهم في ضلال مبين الخامس من أنواع الشرك شرك الأسباب وهو استناد التأثير للأسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبائعين ومنهم من تبعهم على ذلك من جهة المؤمنين فانهم لما رأوا ارتباط الشيع بأكل الطعام وارتباط الرى بشرب الماء وارتباط ستر العورة بلبس الثياب وارتباط الضوء بالشمس ونحو ذلك مما لا ينحصر فهموا بجعلهم ان تلك الأشياء هي المؤثرة فيما ارتبط وجوده معها اما بطبيعتها أو بقوة وضعها الله تعالى فيها وهو غلط وسبب غلطهم قياسهم ادراك الحس بادراك العقل فان الذي شاهدوه بالحواس هو تأثير شيء عند شيء وهذا هو حظ الحس وأما تأثيره فيه فلا يدرك بالحس بل انما يدرك بالعقل انتهى ثم ذكر القسم السادس

(قوله ثلاث صفات الخ) وهم وان سموها صفات تحاشيا عن التسمية بالذوات فهي ذوات لانهم قالوا بانتقال اقنوم العلم إلى المسيح والمستقل بالانتقال لا يكون الا ذاتا (قوله وقصد هم من جميع ذلك ان يتقربوا إلى المولى العظيم الخ) فتبالي آرائهم الفاسدة وسحقا لعقولهم الكاسدة اذ يعبدون ما لا ينفعهم أف لهم ولم يعبدون من دون الله (قوله قلادوهم فيها) من غير حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية (قوله على أمة) الأمة الطريقة التي تؤتم كالرحالة للرحول اليه وقرئت بالكسر وهي الحالة التي تكون عليها أي المقاصد ومنها الدين (قوله مقتدون) احتجوا فيه بتقليد آباءهم (قوله في ضلال مبين) فان مقدميهم أيضا لم يكن لهم سند منظور اليه (قوله اما بطبيعتها أو بقوة وضعها الله فيها) بل الحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائط اقتضت إيجادها ويسمونهم العقول والنفوس (قوله بل انما يدرك بالعقل) وقد أطبق العقل والنقل على انفراد المولى عز وجل باختراع جميع الكائنات عموما وأنه لا أثر لكل ما سواه تعالى في أثر ما جلة وتفصيلا

وهو شرك الأغراض وهو من الشرك الأصغر الغير المخرج عن الملة ولا كلام فيه الآن وحكم
 الأقسام المذكورة الكفر بالاجماع وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية لما ذكر حديث الخوارج
 فإذا كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه قد انتسب إلى الدين من مرق منه مع
 عبادته العظيمة فيعلم منه ان المنتسب إلى الاسلام يمرق منه وذلك بأمر من الغلو الذي ذمه الله تعالى
 كالغلو في بعض المشايخ كالشيخ عدي بل الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه بل الغلو في المسيح
 ونحوه فكل من غلوا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الالهية مثل ان يدعو من دون الله بأن
 يقول يا سيدي فلان أغثنني أو أجرني أو أنت حسبي أو أنا في حسبك فكل هذا شرك وضلال يستتاب
 صاحبه فان تاب واقتل فان الله أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبدوا واحداً لا يجعل معه اله آخر والذين
 كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى مثل الملائكة أو المسيح أو العزيز أو الصالحين أو قبورهم لم يكونوا
 يعتقدون انها تخلق وترزق وإنما كانوا يدعونهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبعث الله الرسل
 تنهى أن يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولادعاء استغاثة انتهى وقال أيضاً في كتابه اقتضاء
 الصراط المستقيم وجماع الأمر ان الشرك نوعان شرك في الربوبية بأن يجعل لغيره معه تدبير
 وشرك في الألوهية بأن يدعى غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة أي كمسألة العابد معبوده ما يحتاج إليه
 انتهى وقال في الإقناع الذي هو العمدة في فقه الحنابلة في أول باب المرتد ان من جعل بينه وبين
 الله وسائط يدعوهم فهو كافر اجماعاً وقد نقل الامام ابن حجر المكي في كتابه الأعلام بقواطع الاسلام
 عن حاصل عبارة الفروع للحنابلة ومن ذلك ان يجعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم
 ويدعوهم ويسألهم قالوا اجماعاً وبعد ان سرد ما نقله عن صاحب الفروع من المكفرات قال وتأمل
 يعلم انه موافق لما قدمناه من مذهبتنا في أكثر ما ذكرنا انتهى وقال العلامة السعد التفتازاني في شرح
 المقاصد ما نصه وأما المشركون فمنهم الشنوية المقاتلون بأن للعالم الهين نور هو مبدأ الخيرات وظلمة هي

(قوله شرك الأغراض) كشرك المرائين وسيأتي (قوله وحكم الأقسام المذكورة) أي
 حكم أربعة منها التي هي شرك استقلال وشرك تبعية وشرك تقريب وشرك تقليد الكفر
 بالاجماع وأما الخامس الذي هو شرك الأسباب ففيه تفصيل فان اعتقد ان تلك الأسباب مؤثرة
 بطبيعتها وحقيقتها فلا خلاف في كفره وان اعتقد انها لا تؤثر بطبيعتها وحقيقتها بل بقوة أو دعاء الله فيها
 ولو تزعمها أنها لا تؤثر فلا خلاف في بدعيته وإنما الخلاف في كفره (قوله نور هو مبدأ الخيرات وظلمة
 هي مبدأ الشرور) وفساده أظهر من الشمس لأنهم ما عرضوا مفتقران إلى موجد هما كما قال
 تعالى وجعل الظلمات والنور فجعلها مجعولان له سبحانه ومسخران بأمره كما قال تعالى وجعلنا الليل
 والنهار آيتين

مبدأ الشرور ومنهم المجوس القائلون بأن مبدأ المجردات هو يزدان ومبدأ الشرور هو أهرمن
واختلفوا فذكر اختلافهم وشبههم والجواب عنهم ثم قال ومنهم عبدة الملائكة وعبدة الكواكب
وعبدة الأصنام أما عبدة الملائكة والكواكب فيمكن انهم اعتقدوا كونها مؤثرة في عالم العناصر
مدبرة لأمواره قديمة بالزمان شفعاء للعباد عند الله مقربة إياهم إليه وأما الأصنام فلا خفاء في ان العاقل
لا يعتقد فيها شيئاً من ذلك قال الامام فلهم في ذلك تأويلات باطلة الأول انها صور أرواح تدبر
أمرهم وتعتنى باصلاح حالهم على ما سبق الثاني انها صور الكواكب التي اليها تدبر هذا العالم فيه
بنوا كلاً منها على ما يناسب ذلك الكوكب الثالث ان الأوقات الصالحة للطلسمات القوية الآثار لا
توجد الا أحياناً من أزمنة متطاولة جداً فعملوا في ذلك الوقت طلسمات طرخاص يعظمونه ويرجعون
إليه عند طلبه الرابع انهم اعتقدوا ان الله جسم على أحسن ما يكون من الصورة وكذا الملائكة
فاتخذوا صوراً بالغوا في تحسينها وترتيبها وعبدها لذلك الخامس انه لمات منهم من هو كامل
المرتبة عند الله تعالى اتخذوا مثلاً على صورته وعظموه تشفعوا إلى الله تعالى وتوسلوا ومنهم اليهود
القائلون بأن عزير ابن الله أحياه الله بعد موته وكان يقرأ التوراة عن ظهر قلبه ومنهم النصارى
القائلون بأن المسيح ابن الله حيث ولد بلا أب وورد في الانجيل ذكرهما بلفظ الأب والابن والجواب
انه لو صح النقل من غير تحريف فعني الأبوة الربوبية وكونه المبدأ والمرجع ومعنى البنوة التوجه
إلى جناب الحق بالسكينة كابن السبيل أو قصد التشریف والكرامة ولهذا نقل في الانجيل مثل ذلك

(قوله أهرمن) يعنون به الشيطان (قوله فذكر اختلافهم وشبههم والجواب عنهم) بان
قال واختلفوا في ان اهرمن أيضاً هو قديم أو حادث من يزدان وشبهتهم انه لو كان مبدأ الخير
والشر واحد الزم كون الواحد خيراً وشريراً وهو محال والجواب منع لزوم ان أريد بالخير من
غلب خيره وبالشر من غلب شره ومنع استحالة اللزوم ان أريد خالق الخير والشر في الجملة غاية الأمر
انه لا يصح اطلاق الشرير لظهوره فحين غلب شره وعورض وأريد بان الخير اذا لم يقدر على دفع
الشرير أو الشرور فعجز وان قدر ولم يفعل فشرير وان جعل ابقاؤها خيراً لما فيه من الحكم والمصالح
الخفية كما يزعم المعتزلة في خلق ابليس وذريته وانذاره وتمكنه من الاغواء فعمل نفس خالق
الشرور والقبائح كذلك فلا يكون شرراً وسفهاً انتهى ما قال السعد في شرح المقاصد قلت وأجاب
ابن السبكي في شرح عقيدة الماتريدي بانه انما يكون سفهاً اذا لم يكن في تخليقه للشر حكمة وليس
كذلك بل فيه حكم ومعان كثيرة أدناها ان تدل بها الجبارة فان الجبار اذا حل به القبيح من
مرض أو ألم ونحوه انكسرت نفسه وذلت فلا يمتنع اضافة الشرور الى الله تعالى انتهى (قوله على
ما سبق) على وجه الشفاعة والتقريب

في حق الأمة أيضا حيث قال اني صاعد الى أبي وأبيكم وبالجملة فنفى الشراكة ثابت في الألوهية عقلا
وشرعا وفي استحقاق العبادة شرعا وما أمر والى يعبد والها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما
يشركون انتهى وقال العلامة ابن القيم في كتابه البكار ما نصه

﴿فصل﴾ يكفر من يعبد غير الله عز وجل من رسول أو نبي أو جن أو نجم أو ملك أو شيخ أو غير
ذلك وقد يقع في هذا بعض الجهال المنتسبين الى دين الاسلام في أمور تقع منهم عن جهل فن ذلك
المنتسبون الى المشايخ كالشيخ أحمد الرفاعي أو الشيخ يونس أو الشيخ عدي أو غيرهم لأنهم
متأهلون بذكرهم ومحبتهم من دون الله منعكفين على قبورهم يقبلونها ويسجدون لها ويستغيثون
بهم ويطلبون منهم المغفرة وقضاء الحوائج وهذا أصل عبادة الأوثان وهو نوع من الاشراك بالله ثم
ذكر كلاما طويلا في أحوال المشركين وكيف زين لهم الشيطان أعمالهم وان أصل عبادة الأوثان
كان عن تعظيم الصالحين وآثارهم ثم قال ومن ذلك الاستغاثة بهم في قضاء حوائجهم والحنف بهم
والتواجد عند ذكرهم مالا يفعلونه عند سماع آياته فن استعان بغير الله أو استغاث به كما يقوله هؤلاء
المتوهمون بالمشايخ يا سيدي الشيخ فلان فقد أشرك مع الله غير ذلك قال الله عز وجل فلا تجعلوا لله أندادا
وأنت تعلمون أي شركاء نستغيثون بهم وتعبدونهم من دون الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا
سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله فن سأل غير الله المغفرة أو قضاء الحوائج أو استعان بغير
الله فقد أشرك مع الله انتهى ثم عدم من الشرك الحلف بغير الله تعالى وقول مالي الا الله وأنت
أوما شاء الله وشئت وتعليق الرقي والتمائم والتولة والمرآة في الأعمال وسيأتي تفصيل ذلك كله في
الشرك الأصغر وقال أيضا في كتابه الجواب الكافي ما ملخصه قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك
به وقال تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وقال ان الشرك لظلم عظيم فالشرك أظلم الظلم

(قوله وما أمروا) أي المتخذون أربابا يعبدونهم (قوله الها واحدا) وهو الله تعالى (قوله
عما يشركون) تنزيهه عن ان يكون له شريك (قوله أندادا) أمثالا (قوله وأنت
تعلمون) حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح أي وحالكم انكم من أهل العلم
والنظر والرأي فلو تأملتم أدنى تأمل اضطر عقلكم الى اثبات موجد الله ككأن منفرد بوجوب
الذات متعال عن مشابهة الخلق أو منوى وهو انها لا تماثل ولا تقدر على مثل ما يفعله
كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالقصد منه التوبيخ
لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف (قوله بالله)
أي في عبادته أو فيما يخص به من الصفات والأفعال (قوله فقد حرم الله عليه الجنة) أي يمنع من
دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين (قوله لظلم عظيم) لأنه تسوية بين من

كما ان التوحيد اعدل العدل وقد حرم الله الجنة على كل مشرك وأباح دمه وماله وأهله لأهل
التوحيد وان يتخذوهم عبيدا لهم لما تركوا القيام بعبوديته وأبى الله سبحانه ان يقبل من مشرك
عمدا أو يقبل فيه شفاعته أو يستجيب له في الآخرة دعوة أو يقبل له فيها عبادة فان المشرك أجهل
الجاهلين حيث جعل له من خلقه ندا وذلك غاية الجهل به كما انه غاية الظلم منه وان كان المشرك لم يظلم
ربه وانما ظلم نفسه والشرك شر كان شرك يتعاق بذات المعبود سبحانه وأسماؤه وصفاته وأفعاله
وشرك في عبادته ومعاملته وان كان صاحبه يعتقد انه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا صفاته ولا في
أفعاله والشرك الأول نوعان أحدهما شرك التعطيل وهو أقبح أنواع الشرك ومنه شرك فرعون
اذ قال وبارب العالمين وقال ياهامان ابن لى صرحا على أبلغ الأسباب أسباب السموات فاطلع الى اله
موسى وأبى لأظنه كاذبا والشرك والتعطيل متلازمان فشكل مشرك معطل وكل معطل مشرك
ولكن الشرك لا يستلزم أصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقرا باخلاق سبحانه وصفاته ولكنه
عطل حق التوحيد وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع اليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام تعطيل
المصنوع عن صانعه وخالقه وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وأوصافه وأفعاله
وتعطيل معاملته عما يجب على العباد من حقيقة التوحيد وثانيهما شرك من جعل معه الها آخر
ولم يعطل أسمائه وصفاته وربوبيته كشرك النصارى والمجوس القائلين باسناد حوادث الخير الى
النور وحوادث الشر الى الظلمة ومن هذا شرك كثير من يترك بالكواكب العاويات ويجعلها

لأنعمة الامنه ومن لانهمة منه (قوله اذ قال) ناسمع جواب ما طعن به فيه معترضا على دعوى
موسى فبدأ بالاستفسار عن حقيقة الرسل (قوله صرحا) بناء على ما كشف وفان صرح الشئ اذا
ظهر (قوله الأسباب) الطرق (قوله كاذبا) في دعوى الرسالة قال القاضي البيضاوى ولعله
أراد أن يبنى له رصدا في موضع عال يرصده منه أحوال الكواكب التي هي أسباب سماوية تدل
على الحوادث الأرضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى آياه أو ان يرى فساد قول موسى بان
اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووسوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما
لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه انتهى (قوله وتعطيل معاملته عما يجب
على العباد الخ) ومنه شرك ملاحدة الفلاسفة القائلين بقدم العالم وأبديته وأنه لم يكن معدوما أصلا
بل لم يزل ولا يزال واستناد الحوادث بأسرها الى العقول والنفوس ومنه أيضا شرك من عطل أسماء
الرب تعالى وصفاته من غلاة الجهمية والقرامطة فانهم لم يثبتوا له تعالى اسما ولا صفة بل جعلوا المخلوق
أكمل منه اذ كمال الذات باسمائها وصفاتها (قوله كشرك النصارى) القائلين بالأقانيم الثلاثة
(قوله وحوادث الشر الى الظلمة) ومن هذا شرك الذي حاج ابراهيم في ربه اذ قال له ابراهيم ربي

مدبرة لأمر هذا العالم كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم ومن هذا شرك عباد الشمس وعباد النار وغيرهم ومن هؤلاء من يزعم أن معبوده هو الاله على الحقيقة ومنهم من يزعم أنه أكبر الآلهة ومنهم من يزعم أنه الله من جملة الآلهة وأنه إذا خصه بعبادته والتبتل اليه والا تقطاع اليه أقبل عليه واعتنى به ومنهم من يزعم أن معبوده الأدنى يقرب به إلى المعبود الذي هو فوقه والفوقاني يقرب به إلى من هو فوقه حتى تقرب به الآلهة إلى الله سبحانه فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل ثم قال بعد أن فصل الرياء وأنه شرك في العبادة لكنه مغفور وأما الشرك الأكبر في العبادة الغير المغفور فنه الشرك بالله في المحبة والتعظيم أي يحب محبوا كما يحب الله فهذا الشرك الذي لا يغفره الله وهو الشرك الذي قال الله سبحانه فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله وقال أصحاب الشرك لأهلهم وقد جمعهم الجحيم كما حكى الله عنهم سبحانه بقوله عز من قائل تالله إن كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم أنهم ماسوؤوهم به سبحانه في الخلق والرزق والامانة

الذي يحكي ويميت قال أنا حي وأميت فقد جعل نفسه ند الله يحي ويميت بزعمه إبراهيم ان طرد قولك ان تقدر على الاتيان بالشمس من غير الجهة التي يأتي الله بها منها وليس هذا انتقالا كما زعم بعض أهل الجدل بل الزام على طرد الدليل (قوله مشركي الصابئة) قالوا الكواكب المتحركة بحركات الأفلاك هي المديرات أمر في عالمنا هذا الدوران الحوادث السفلية والتديرات الواقعة في جوف فلك القمر وجودا وعدمها مع مواضعها أي مواضع الكواكب في البروج وأوضاعها بعضها إلى بعض وإلى السفليات وأظهرها ما نشاهد من اختلاف الفصول الأربعة وتأثير الطوالع في الموالييد بالنحو سعة والسعادة والجواب ان الدوران لا يفيد العلة سيما إذا تحقق التخلف كما في توأمين أحدهما في غاية السعادة والآخرة في غاية الشقاوة ولا يمكن ان يفي بذلك على ما بينهم سمان التفاوت في وقت الولادة لأن التفاوت بقدر درجة واحدة لا يوجب تغيير الأحكام عندهم باتفاق فيما بينهم سيما إذا قام البرهان على نقيضه فان البراهين العقلية والنقلية شاهدة بان لا مؤثر في الوجود الا الله على ان ما ذكره من الأحكام غير ثابت على مقتضى قواعدهم كما هو مبين في موضعه (قوله وغيرهم) كالمجتمين (قوله أندادا) أمثالا من الأصنام وقبيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا واولعوا لمراد أعظم منهما وهو ما يشغل عن الله (قوله يحبونهم) بطيعونهم (قوله كحب الله) كتعظيمه والميل إلى طاعته أي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة (قوله أشد حبا لله) لأنه لا تنقطع محبتهم لله بخلاف محبة الأنداد فانها لا غرض فاسدة موهومة تزول بآدنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم إلى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه إلى غيره (قوله بقوله عز من قائل) وهم فيها مختصمون

والاحياء والملك والقدرة وانما سووهم في الحب والتأله والخضوع لهم والتدلل وهذا غاية الظلم والجهل فكيف يسوى التراب برب الارباب وكيف يسوى العبيد بمالك الرقاب وكيف يسوى الفقير بالذات الضعيف بالذات العاجز بالذات المحتاج بالذات الذي ليس له من ذاته الا العدم بالغنى بالذات القادر بالذات الذي غناؤه وقدرته وملكه وجوده واحسانه وعلمه ورحمته وكماله المطلق التام من لوازم ذاته فأى ظلم أقبح من هذا وأى حكم أشد جورا منه حيث عدل من لا عدل له بخلقه كما قال تعالى الحمد لله الذي خالق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور بمن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض فيأله من عدل تضمن أكبر الظلم وأقبحه ويتبع هذا الشرك به سبحانه في الأفعال والأقوال والارادات والنيات فالشرك في الأفعال كالسجود لغيره والطواف بغير بيته وخلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود على وجه العبادة التي هي غاية الحب مع غاية التدلل ثم أطال في ذلك وأورد الأحاديث الواردة في النهي عن اتخاذ القبور مساجد الى أن قال وقال صلى الله عليه وسلم ان من كان قبلكم كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة فهم هذا حال من سجد لله في مسجد على قبر فكيف حال من سجد للقبر نفسه وقد قال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وقد حكي النبي صلى الله عليه وسلم جانب التوحيد أعظم حياية حتى نهى عن صلاة التطوع لله سبحانه عند طالع الشمس وعند غروبها لئلا يكون ذريعة الى التشبه بعباد الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين وسد الذريعة ان منع من الصلاة بعد العصر والصبح لا اتصال هذين الوقتين بالوقتتين اللذين سجد المشركون فيهما للشمس وأما السجود لغير الله فقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لأحد ان يسجد لأحد الا لله ولا ينبغي في كلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم هي غاية الامتناع شرعا

(قوله والقدرة) اذ هم مقرون بان الله وحده خالق كل شئ وربهم ومليكه وان آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تمت ولا تحي (قوله والتدلل) كما هو حال أكثر مشركي العالم بل كلهم يحبون معبوداتهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من حب الله ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم اذا ذكر الله وحده ويغضبون لانتقص آلهتهم أو معبودهم أعظم مما يغضبون اذا انتقص أحد رب العالمين (قوله رب) أى مالك (قوله الأرباب) جمع رب بمعنى المالك أى كيف يسوى التراب الحقير بمالك المالكين على الإطلاق (قوله وجعل الظلمات والنور) أنشأهم اثم الذين كفروا بربهم يعدلون فعدل المشرك من خالق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور بمن لا يملك (قوله وخلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره)

كقوله تعالى وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا وقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له وقوله تعالى وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وقوله تعالى عن الملائكة ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ثم فصل الشرك في الأقوال وأتى بالشركين الأكبر والأصغر فمن الأكبر الحلف بغير الله تعظيما واجلالا وعليه جلت الأحاديث كحديث أحمد وأبي داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف بغير الله فقد أشرك صححه الحاكم ثم قال فالسجود والعبادة والتوكل والابانة والتقوى والخشية والتحسب والتوبة والنذر والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار وحلق الرأس خضوعا وتعبدًا والطواف بالبيت والدعاء كل ذلك محض حق لله سبحانه لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك مقرب ولا نبي مرسل وفي مسند الإمام أحمد أن رجلا أتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد أذنب ذنبا فلما وقف بين يديه قال اللهم اني أتوب اليك ولا أتوب إلى محمد صلى الله عليه وسلم فقال عرف الحق لأهله ثم انه ذكر الشرك الأصغر الواقع في الإرادات والنيات ثم قال وحقيقة الشرك هو التشبيه بالخالق والتشبيه للمخلوق به هذا هو التشبيه بالحقيقة وقد عكس من نكس الله قلبه فجعل التوحيد تشبيها والتشبيه تعظيما وطاعة فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الالهية المتفردة بملك الضر والنفع والعطاء والمنع وذلك يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق وجعل من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا حياة ولا نشورا فضلا عن غيره شيئا بمن له الأمر كله فأزمة الأمور كلها بيده سبحانه ومرجعها اليه فإشياء كان وما لم يشأ لم يكن لا مانع لما أعطى ولما أعطى لما منع بل إذا فتح لعبده باب رحمة لم يسكها أحد وان أمسكها عنه لم يرسلها إليه أحد فمن أقبح التشبيه تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات ولما كان له سبحانه الكمال المطلق من جميع الوجوه وكان من خصائص ألوهيته أوجب العبادة كلها له وحده فالتعظيم والجلال والخشية والدعاء والرجاء والابانة والتوبة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب كل ذلك يجب عقلا وشرعا وفطرة ان يكون له وحده

ولا يتعبد بحلق الرأس إلا في النسك لله خاصة (قوله وما ينبغي للرحمن الخ) أي لا يليق به اتخاذ الولد (قوله وما ينبغي له) أي ولا يصح له الشعور ولا يتأتى له (قوله وما ينبغي لهم) أي لا يصح لهم (قوله ما كان ينبغي لنا) أي لا يجوز لنا (قوله ان تتخذ من دونك أولياء) إذا اتخذ الولد ممنوع عليه تعالى غاية الامتناع وكذا تنزل الشياطين وقرض النبي الشعر واتخاذ الملائكة من دونه أولياء فدلّت هذه الآيات المذكورة على ان لا ينبغي اذا وقعت في كلام الله ورسوله باي معنى فسرت بكون المراد منها غاية الامتناع كما ذكر (قوله عرف الحق لأهله) فالتوبة عبادة لا تنبغي إلا لله كالسجود والصيام (قوله لم يرسلها إليه أحد) كما قال تعالى قل أرأيتم ما تدعون من دون

ويمنع الغير التشبيه بمن لا شبهة له ولا مثل له ولا ندله وذلك أقبح التشبيه وأبطله ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه عباده أنه لا يغفره مع أنه كتب على نفسه الرحمة ثم قال وههنا أصل عظيم يكشف سر المسئلة وهو أن أعظم الذنوب عند الله إساءة الظن به فإن المسمى به الظن قد ظن به خلاف كماله المقدس فظن به ما يخالف أسماء وصفاته ولهذا توعد الله سبحانه وتعالى الظانين به ظن السوء بمآل يتوعد به غيرهم كما قال تعالى عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساعات مصيرا وقال إن أنكر صفة من صفاته وذلكم ظنكم الذي ظننتم برؤسكم فأصبحتكم من الخاسرين وقال تعالى عن خليله إبراهيم صلى الله على نبينا وعليه وسلم أنه قال لقومه ماذا تعبدون أنفك آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين أي فما ظنكم أن يجازيكم به إذا القيتوه وقد عبدتم غيره وماذا ظننتم حتى عبدتم معه غيره وما ظننتم بأسمائه وصفاته وربو بيته من النقص حتى أوجبكم ذلك إلى عبودية غيره فلو ظننتم به ما هو وأهله من أنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وأنه غني عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير إليه وأنه قائم بالقسط على خلقه وأنه المنفرد بتدبير خلقه لا شريك له فيه والعالم بتفاصيل الأمور فلا يخفى عليه خافية من خلقه والكافي لهم وحده فلا يحتاج إلى معين والرحمن بذاته فلا يحتاج في رحته إلى من يستعطفه وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء فإنهم محتاجون إلى من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم وإلى من يعينهم على قضاء حوائجهم وإلى من يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة فاحتاجوا إلى الوسائط ضرورة حاجتهم وعجزهم وقصور علمهم فأما القادر على كل شيء الغني بذاته عن كل شيء العالم بكل شيء الرحيم الذي وسعت رحته كل شيء فادخل الوسائط بينه وبين خلقه نقص بحق ربو بيته وأهليته وتوحيده وظن به ظن السوء وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده وقبحه

الله أن أراد في الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته (قوله ظن السوء) من الأمور الزائغة (قوله عليهم دائرة السوء) أي دائرة ما يظنونونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم والدائرة في الأصل مصدر أو اسم فاعل من دار يدور سمي به ما ذكرنا والسوء بالفتح مصدر أضيف إليه المبالغة (قوله وساعات مصيرا) جهنم (قوله صفة) وهي العلم وقوله وذلكم ظنكم إشارة إلى ظنهم المذكور في صدر هذه الآية ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون (قوله فأصبحتكم من الخاسرين) إذ صار ما منحوا لا يستعاض به في الدارين سببا للشقاء المنزلة (قوله تريدون) أي تريدون آلهة دون الله أفكأ فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لأن الأهم أن يقرر أنهم على الباطل ومبني أمرهم على الأفك (قوله وقد عبدتم غيره) وهو الحقيق بالعبادة لكونه رب العالمين (قوله عليم) أي عالم بجميع الأشياء (قوله قدير) أي مقتدر (قوله فقير) أي محتاج (قوله بالقسط) بالعدل (قوله إلى معين) أو وزير أو وزير يظهر يدبر أمر

مستقر في العقول السليمة فوق كل قبيح يوضح هذا ان العابد معظم لعبوده ومتأله له خاضع ذليل له
والرب تعالى وحده هو الذي يستحق كل التعظيم والاحلال والتأله والخضوع والذل وهذا خاص حقه
فن أقبح الظلم ان يعطى حقه غيره أو يشرك بينه وبينه فيه ولا سيما اذا كان الذي جعله شريكه في حقه
هو عبده ومماوكة كما قال تعالى ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما مَلَكت أيما نكم من شركاء
فيما رزقناكم فأتتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم أي اذا كان أحدكم يألف ان يكون مماوكة
شريكه في رزقه فكيف تجعلاون لي من عبيدي شركاء فما قدرني حق قدري ولا عظمي حق
تعظيمي ولا أفردني بما أنا مفرد به وحدي دون خلقي فما قدر الله حق قدره من عبده معه غيره كما قال
تعالى يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له
وان يسألهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى
عزيز فاقدر الله حق قدره من عبده معه ما لا يقدر على خلق اضعف حيوان وأصغره وان سلب
الذباب شيئاً مما عليه لم يقدر على استنقاذه منه قال تعالى وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا

العالم معه (قوله فوق كل قبيح) فالشرك ملزوم لتنقيص الرب سبحانه والنقص لازم له ضرورة
شاء المشرك أو أبى ولذلك اقتضى كمال ربوبيته سبحانه ان لا يغفره ويجعله أشقى البرية فلا تجد
مشركاً قط الا وهو منتقص لله سبحانه وان زعم انه معظم له بذلك (قوله من أنفسكم) منتزعا
من أحوالها التي هي أقرب الامور اليكم (قوله مما مَلَكت أيما نكم) من ممالككم (قوله
فيما رزقناكم) من الاموال وغيرها (قوله فيه سواء) فتكونون أنتم وهم فيه سواء
يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معادة لكم (قوله تخيفتكم أنفسكم) كما
يخاف الاحرار بعضهم من بعض (قوله له) للمثل أو لشأته استماع تدبر وتفكر (قوله من دون
الله) يعني الاصنام (قوله ذبابا) وهو من الذب لانه يتذب وجعه أذبة وذبان (قوله ولو
اجتمعوا له) أي لا يقدر على خلقه ولو كانوا مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا
منفردين (قوله لا يستنقذوه منه) جهلهم غاية التجهيل بان أشركوا اله اقدر على المقدورات
كأهلها وتفردوا بآباد الموجودات بأسرها بما قيل هو أعجز الاشياء (قوله ما قدروا الله حق قدره)
ما عرفوه حق معرفته (قوله لقوى) على خلق الممالك بأسرها (قوله عزيز) لا يغلبه شيء
وآلهتهم التي يدعونها عاجزة لا تقدر على شيء (قوله وأصغره) ولو اجتمعوا له (قوله على
استنقاذه منه) قيل كانوا يطاؤونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من
الكوى فيأكله (قوله وما قدروا الله حق قدره) أي ما قدروا عظمتهم في أنفسهم حق تعظيمه
حيث جعلاوا له شركاء وكما وصفوه بما لا يليق به

قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ثم قال وهل قدره حق قدره من شارك بينه وبين عدوه في محض حقه من الاجلال والتعظيم والطاعة والذل والخضوع والخوف والرجاء فاجعل له اقرب الخلق اليه شركا في ذلك لكان جراءة وتوثبا على محض حقه واستهانة به وتشريكا بينه وبين غيره فيما لا ينبغي ولا يصلح الاله سبحانه فكيف اذا اشرك بينه وبين بعض الخلق اليه وهو نهم عليه وامقتهم عنده وهو عاود على الحقيقة فانه ما عباد من دون الله الا الشيطان كما قال تعالى ألم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ولما عابد المشركون الملائكة بزعمهم وقعت عبادتهم في نفس الأمر للشيطان وهم يظنون انهم يعبدون الملائكة كما قال تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون فالشيطان يدعو المشرك الى عبادته ويوهمه انه ملك وكذلك عباد الشمس والقمر والكواكب يزعمون انهم يعبدون روحانيات هذه الكواكب وهي التي تخاطبهم وتقضى حوائجهم ولهذا اذا طلعت الشمس قارنها الشيطان فيسجد لها الكفار فيقع سجودهم له وكذلك عند غروبها وكذلك من عبد المسيح وأمه عليهم السلام لم يعبدوهما وانما عبد الشيطان فانه يزعم انه يعبد من أمر بعبادته وعبادة أمه ورضيها لهم وأمرهم بها وهذا هو الشيطان الرجيم لعنة الله عليه لا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فاعبدوا أحدا من بنى آدم غير الله كائنا من كان الا وقعت عبادته للشيطان فيسقتع العابد بالمعيود في حصول غرضه ويسقتع المعبود بالعابد في تعظيمه له واشراكه

(قوله بيمينه) تنبيه على عظمته وكمال قدرته على الافعال العظام التي تسخير فيها الاوهام وفيه دلالة على ان تحرير العالم أهون شئ عليه (قوله عما يشركون) أى ما يضاف اليه من شركاء (قوله الا الشيطان) لانه الامر بها والمزين لها (قوله ان لا تعبدوا الشيطان) من جملة ما يقال تقريرا والزما للحيجة وعهده اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره (قوله انه لكم عدو مبين) تعليل للنوع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه (قوله هذا صراط مستقيم) اشارة الى ما عهد اليهم اوالى عبادته (قوله جميعا) المستكبرين والمستضعفين (قوله أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) تقريرا للمشركين وتبكييتا لهم واقناعا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم (قوله أنت ولينا من دونهم) أى أنت الذى نواله من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كانوا يبنوا بذلك براءتهم من الرضى بعبادتهم ثم أضرب بواعن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم بل الخ (قوله الجن) أى الشياطين (قوله أكثرهم) أى الجن (قوله انه ملك) فيعبده

مع الله الذي هو غاية رضى الشيطان ولهذا قال تعالى ويوم نحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس أى من اغوائهم واضلاهم وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مشوا كم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم فهذه اشارة لطيفة الى السر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله وأنه لا يغفر بغير التوبة منه وأنه يوجب الخلود في العذاب وأنه ليس تحريره وقبحه مجرد نهي عنه بل يستحيل على الله سبحانه ان يشرع لعباده اهلها غير ذلك كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله ونعوت جلاله وكيف يظن بالمفرد بالربوبية والاهلية والعظمة والجلال أن يأذن في مشاركة في ذلك أو يرضى به تعالى الله عن ذلك عاوا كبيرا انتهى ما قاله كيف وقد أجمع جميع المسامحين على ان جميع الرسل أرسلوا بتوحيد العبادة ناهين عن الشرك حتى ان الملاح لال مع توغله في عاوم الفلاسفة قال في شرحه للعقائد العبودية مانصه واعلم ان التوحيد اما بحصر وجوب الوجود أو بحصر الخالقية أو بحصر المعبودية ثم بعد ان فصل التوحيد بين الأولين قال والثالث وهو حصر المعبودية وهو ان لا يشرك بعبادة ربه أحد فقد دل عليه الدلائل السمعية وانعقد عليه اجماع الأنبياء صلى الله عليهم وسلم وكلامهم دعوا المكافين

(قوله ويوم نحشرهم) نصب باضمار اذ كر أو تقول والضمير لمن يحشر من الثقلين (قوله يامعشر الجن) الشياطين (قوله واضلاهم) الذين أطاعوهم (قوله من الانس) أو منهم (قوله استمتع بعضنا ببعض) أى استمتع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتصل به اليها والجن بالانس بان أطاعوهم وحصلوا امرادهم وقيل استمتع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند الخواف واستمتعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم (قوله الذي أجلت لنا) أى البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم (قوله الا ما شاء الله) الاوقات التي تنقون فيها من النار الى الزمهرير (قوله حكيم) فى أفعاله (قوله اما بحصر وجوب الوجود) وقد أشار الى دليله في نفى المثل قال وقد يستدل عليه بأنه لو تعدد الواجب لكان مجموعهما ممكالا حتما الى كل منهما ما فلا بد له من علة فاعلية مستقلة وذلك العلة لا تكون نفس المجموع ولا أحدهما ولا غيرهما أما الاول فلا استحالة كون الشيء فاعلا لنفسه وأما الثانى والثالث فلا امتناع كون الواحد معا ولا غيره اهـ (قوله انتهى) قد يتوهم منه ان المعتقد لا حدها فقط مؤمن موحد وليس كذلك اذ ما لم يعتقد الثلاثة لا يكون موحد او يدفع بان هذا مبنى على استلزام كل واحد منهما الآخرين أما استلزام المعول للعلة أو العلة للمعول أو كلاهما والاول بالنظر الى الثالث والثانى بالنظر الى الاول والثالث بالنظر الى الثانى فعدم اعتقاد الثلاثة عند اعتقاد واحد منها إنما هو عند محض (قوله أو بحصر الخالقية) وقد أشار اليه في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسد

أولا إلى هذا التوحيد وهو هم عن الإشراك في العبادة قال تعالى أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم
وما تعملون انتهى وقال بعضهم أصل دين الله الذي بعث به رسوله أمران الأول توحيد الله والقيام
بعبادته له وحده لا شريك له وإخلاصها بأنواعها للجلالة وعظمته وقد حرص الله على ذلك وطلب
المواالات فيه وكفر تاركيه الثاني النهي عن الشرك والابتعاد عنه والتغليظ فيه والمعاداة به وتكفير
من فعله والبراءة منه وعدم مودته وموالاته من دون المؤمنين وإن كان قريبا قال الله تعالى قد كانت
لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرننا
بكم وبدأينا بينكم العداوة والبغضاء أبدأ حتى تؤمنوا بالله وحده والمخالفة في هذين الأصلين أنواع
أشدها المخالفة في كليهما أو الخلق قد افترقوا فيهما فارقا فمنهم من عبد الله وحده لكنه لم ينكر الشرك
وهو يعرفه ومنهم من أشرك ولم ينكر التوحيد ومنهم من أنكر الشرك ولم يعاد أهله بل والأهم من
دون المؤمنين أو جعل رتبته أهل التوحيد محتجا بأن السكك خلق الله ومنهم من عاداهم لذنبا
أو عصبية لا لشركهم فلم يكفرهم ولم يعيب عليهم فيه ومنهم من لم يحب التوحيد ولم يبغضه وإنما هو فيه
تابع غيره سمعت الناس يقولون شيئا فقلت ومنهم من أنكره ولم يعاد أهله ومنهم من عاداهم لمخالفتهم
أهل الأهواء المتبع لهم مع عدم شعوره ولم يكفرهم ومنهم من كفرهم وأنكر التوحيد بعد أن عرفه
وسبه وأهله ومنهم من لم ينكره لكنه كفر أهله الآمرين به والناهين عن ضده ومنهم من لم يبغض
الشرك ولم يحبه لعدم تمييزه عن ضده ومنهم من لم يعرف الشرك من أصله فلم ينكره وفعله ومنهم من لم
يعرف التوحيد وأنواع العبادات فلم يقل به مؤدبا حقه ومنهم من قال بلسانه ولم يعمل به ولم يعرف
معناه ولا قدره في قلبه فلم يعاد أهل الشرك ولم يكفرهم فهذه ثلاث عشرة فرقة كلها قد خالفت ما جاءت
به الرسل من دين الله وتوحيدوه وأشدهم مخالفة من عرف توحيد الله ودينه فأنكره وكفر أهله ثم
من عرفه ولم ينكره لكنه كفر أهله وعاداهم ثم من قال التوحيد بلسانه ولم يعمل به في اعتقاده ولا
يعرفه ولا يسأل عنه أهل المعرفة بل تسافه عنه مستغنيا برأيه ثم من جعل رتبة أهل الشرك كرتبة
أهل التوحيد فهذه من أعظم الجور والبهتان حيث جعل المشركين في رتبة الموحدين أم حسب الذين
اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون

وقد مر لك ما يغنيك عن كلامه (قوله والله خلقكم وما تعملون) أي لا تعبدون الأصنام التي
تنحتون فانكم وما تعبدون مخلوق لله تعالى فأن الله الخالق هو الحقيقي للعبودية وإن لا يشرك بعبادته
أحد وفي هذه الآية دلالة على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى (قوله اجترحوا) الاجتراح
الاكتساب ومنه الجارحة (قوله ان نجعلهم) نصيرهم (قوله سواء محياهم ومماتهم) المعنى
إنكار حياتهم ومماتهم سيان في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين (قوله ساء ما يحكمون) أي

ثم الباقى سواء فى المخالفة انتهى فاقاله كلام حسن من حيث ان الموالاة لا تتم الا بالتبرى والمعاداة
وكيف يتم للمؤمن التوحيد وهو مطمئن بالشرك متبسط الى أهله فارغ قلبه عن الانزعاج ولو
حل فى محله تالله لا يكون هذا الا لمن لم يدخل التوحيد فؤاده فلما لم يقدره قدره بل تابع فيه هواه
ومراداه وهذا الذى نقلناه هو خلاصة ما وجدناه والكل متظافرون على ان من عبد غير الله معه
فهذا هو الشرك الا كبر الذى لا يغفر ولا كنهه موقوف على النظر فى أنواع العبادات وخاصة الطاعات
فن رزق التوفيق واطمان للتصديق هان الأمر عليه وحصل ما ساقه الله بمنه اليه قال الحليمى جاء
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها
امطة الأذى عن الطريق قد سبق ان التوحيد بالقلب واللسان شئ واحد فى الحقيقة وكل منهما محله
أو آله والإشارة بشهادة أن لا اله الا الله فى الحديث الى التوحيد بهما قال الله تعالى فاعلم أنه لا اله الا الله
وقال أيضا فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو وقال صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله فلا يتم الايمان الا بمجموعها كما مر ولا بد للمؤمن من اثبات خمسة أشياء أى
اعتقاد ثبوتها مع التلفظ بالشهادة وجود البارى تعالى ليبرأ به من التعطيل ووحدايته ليبرأ بها من
الشرك وتنزيهه عن كونه جوهر أو عرض أو عن لوازم كل منهما ليبرأ به من التشبيه وابداعه تعالى
باختياره لكل ما سواه ليبرأ به عن القول بالعلة والمعلول وتديره تعالى لجميع مبدعاته على ما يشاء ليبرأ
به عن القول بتدبير الطباع أو الكواكب أو الملائكة وقول لا اله الا الله يدل على الخمسة امدالاته على
وجود البارى ووحدايته فواضحة ودل على التنزيه بدالاته على الالهية المستلزمة لثبوت التشبيه اذ لو
شابه شيئا من خلقه بوجه ما جاز عليه من ذلك الوجه ما يجوز على شبيهه وجواز ذلك يناهى استحقاق
اسم الاله ودل على الابداع بالارادة والاختيار اذ لا يكفي فى الالهية مجرد السببية والعلية دون الفعل
بالاختيار ولا فعل آخر سوى الابداع مثل التركيب والنظم والتصوير لثبوت السببية فى الجملة لا بوجوه

سواء حكمهم هذا وبتس شيئا حكموا به ذلك (قوله قال الحليمى) فى المنهاج (قوله قد سبق)
فى باب البيان عن حقيقة الايمان فى الكتاب (قوله واحد فى الحقيقة) فلا يصح أحدهما دون
الآخر (قوله وكل منهما محله أو آله) فانه قال هناك واعلم ان الايمان بالله ورسوله ينقسم الى
خفى وهو الواقع بالقلب ويسمى اعتقادا والى جلى وهو الواقع باللسان ويسمى شهادة ثم قال وكل
من القلب واللسان محله التوحيد الى آخر ما ذكره (قوله فاعلم الخ) الخطاب للنبى والمراد به غيره
(قوله وأما الكفر الذى هو ضد الايمان أو عدمه) فقد ظهر ان الكافر اسم لمن لا يمان له فان
أظهر الايمان خص باسم المنافق وان طرأ كفره بعد الاسلام خص باسم المرتد وان كان باطنيا أو
أكثر خص باسم المشرك لا ثبات الشريك فى الالهية وان كان متدينا ببعض الأديان والكتب

والعلمية لنحو النار وصدور التأليف والتصوير من مثل الصانع والنجار مع عدم استحقاق اسم الاله
واذا دل على الابداع فقد دل على التدبير ضرورة كون الابداع من جملة التدبير والتدبير الموجود يكون
اما باتقائه أو احداث اعراض فيه أو اعدامه بعد ايجاده وكل ذلك ابداع فمن اراد التدبير بدین الحق
وأطلق لسانه بكلمة الشهادة جمعت له هذه الأصول الخمسة على سبيل الاجمال وكفيه ذلك في
التوحيد ما لم يخطر بقلبه عند التفصيل شيء يخالف هذه الجملة فان خطر احتاج ان يعتقد الحق فيه
مفصلا ولم ينفعه الاجمال مع دخول الشبهة عليه في التفصيل انتهى هذا حاصل ما قيل في الشرك
الكبير بأنواعه * وأما الكفر الذي هو ضد الايمان أو عدمه فانه يعرف بمعرفة ضده اذ بضدها تبين
الأشياء وحيث عانت ما فصلناه قبل هذا في مبحث الايمان وانه التصديق بأمور معلومة مشروطة
بالمعرفة والاستسلام وانه يمكن ثبوت التصديق لغة بدونها وان هذا الثبوت يمكن بمجاعة الكفر له
اذ لا مانع عقلا ان يصدق جبار نبيا ويقتله لنحو حق أو غلبة هوى فقتله لا يدل على انتفاء التصديق
له من أصله كما ظنه بعض الأئمة بل على ان ما عنده من التصديق غير منسحب له شرعا من الخلود في النار
والحاصل ان الله سبحانه وتعالى رتب على التلبس بالايمان لازما لا يتخلف عنه وهو سعادة الأبد
وعلى ضده شقاوة الأبد وهي لازم الكفر وان اعتبر في ترتيب لازم الايمان وجود أمور بعينها
يترتب لازم الكفر فنها تعظيمه سبحانه وتعالى وتعظيم نحو أنبيائه وترك السجود له خصوصه
والاستسلام باطنا بقبول أوامر ونواهي الذي هو معنى الاسلام لغة ومن ثم اتفق أهل الحق على انه
لا عبرة بايمان بلا اسلام وعكسه وانه لا انفكاك بينهما فاعلم انه باختلال كل واحد ينتفي لازم الايمان
لكن الحنفية أشد مبالغة في رعاية ذلك التعظيم فكفروا بألفاظ وأفعال كثيرة نظرا منهم الى أنها تدل
على الاستخفاف بالدين كتعمد الصلاة بغير وضوء وأمثال ذلك والمتأخرون منهم أكثر وأمن
المكفرات مع انهم يقولون بانفساخ عقد الزوجية ممن ارتد وحبوط عمله كالتقل عن أبي حنيفة رضي

المنسوخة خص باسم الكفاي وان كان يقول بقدوم الدهر واستناد الحوادث اليه خص باسم الدهري
وان كان لا يثبت الباري تعالى أو صفاته خص باسم المعطل وان كان مع اعترافه بنبوة محمد صلى الله
عليه وسلم واطهاره شعائر الاسلام يبطن عقائد هي كفر باتفاق خص باسم الزنديق (قوله أكثر
من المكفرات) قلت لكن ذكر المحققون من متأخريهم انه لا يفتى بالكفر بشيء من المكفرات
التي ذكروها في فتاويهم الا اذا كان متفقا عليه حتى ان صاحب البحر قال ألزمت نفسي ان لا أفتي
بشيء منها قال في التنوير ولا يفتي بتكفير مسلم أمكن حل كلامه على محل حسن أو كان في كفره
خلاف ولورواية ضعيفة انتهى ومثله في البحر والشاهد معزوا الى الصغرى وفي الدرر وغيرها اذا
كان في المسئلة وجوه توجب الكفر وواحد من هذه على المفتي الميل لما يمتنعهم لو نيت ذلك فسلم والالم

الله عنه والشافعية وإن وافقوهم في أحباط الثواب لأعماله السابقة على ردة لكنهم لا يوجبون عليه قضاءها وقد استقصى العلامة ابن حجر المكي جميع ما قاله علماء المذاهب الأربعة في المكفرات ونقحها في كتابه الإعلام بقواعد الإسلام فعليك به ولأذكر في هذا طر فاملخصاً من كتب الأئمة الشافعية ليقف عليه من يريد الاستبراء لدينه فإن الواجب على كل مسلم أن يحتاط في هذا الباب الضيق الشديد الخرج في الدنيا والآخرة بل لأشد منه في جميع شؤنه خشية أن يقع في شيء من المكفرات التي قالته جميع أئمة المذاهب ويبقى كافر افتبين زوجته ويحبط عمله ولا يخرج عنه إلا بالتوبة الصحيحة المستجمعة لشروطها من الندم والإقلاع والعزم المصمم على الترك في الاستقبال والبراءة عما فعل أو نوى أو قال ولو التفت أدنى التفات إلى ما عليه الناس في هذا الزمان لوجدتهم إلى أمثال ما أقول لا يلتفتون ولا يمثل ذلك يعبئون فكانهم بالدين يستهزؤون ولو ذكرت لهم شيئاً من ذلك صار عندهم من أنكر المنكر قد فرحوا بما عندهم من الجهل وخبث السرائر فكانهم للدين خلقوا فهم بها في جميع أحوالهم يعملون وعلى دقائق شؤنها بأفكارهم يغوصون وبالمتاعب وتحمل المشاق فيهم إلى الموت يترددون لبئس ما كانوا يصنعون أخلقوا لاثني أم هم الخالدون تالله انهم على جميع ما يفعلونه محاسبون فن الكفر الموجب للارتداد إن ينوى الكفر أو يعزم عليه أو يقوله سواء قاله استهزاء أو عناداً أو اعتقاداً أو يفعله ومنه نفى الصانع وتعطيله عن كماله المقدس بنفى صفاته أو أسمائه أو أفعاله المختصة بجلاله وتكذيب الرسل أو بعضهم أو أحقادهم أو الاستهزاء بشرائعهم وتحليل

ينفعه حل المفتي على خلافه قلت فإذا علمت ذلك تبين عندك أن الحنفية كالشافعية لا يفتون بالكفر إلا إذا كان محققاً مجمعاً عليه (قوله إن ينوى الكفر) حالاً أو مآلاً فيكفر بنيتة حالاً (قوله أو يعزم عليه) في زمن بعيد أو قريب (قوله استهزاء) كان قيل له قص أظفارك فإنه سنة فقال لا أفعل وإن كان سنة وأمثال ذلك (قوله أو عناداً) بأن عرف بباطنه أنه الحق وأبى أن يقربه (قوله أو يفعله) كالسجود للصنم أو للشمس سواء كان في دار الحرب أو دار الإسلام (قوله بنفى صفاته الخ) فإن قلت المعتزلة ينكرون الصفات ولم تكفروهم قلت هم لا ينكرون أصلها وإنما ينكرون زيادتها على الذات حذر من تعدد القدماء فيقولون أنه تعالى عالم بذاته قادر بذاته وهكذا والجواب عن شبهتهم المذكورة أن المحدودات تعدد ذات قدماء لا تعدد صفات قائمة بذات واحدة قديمة (قوله وتكذيب الرسل الخ) أو نسبة تعدد الكذب إليهم أو محاربة أحدهم أو سبه ومثل ذلك كما قال الحلبي ما لوتني في وقت نبي من الأنبياء أنه هو النبي دون ذلك النبي أو في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم أو بعده إن لو كان نبياً وأنه صلى الله عليه وسلم لم تكن النبوة به فيكفر في جميع ذلك والظاهر أنه لا فرق بين تمني ذلك باللسان أو القلب ومن ذلك جواز بعثة الرسل أو أنكار

ما أجمع على تحريمه وتحريم ما أجمع على تحليله ولو تردد في أنه يكفر غدا كفر في الحال والفعل المكفر ما نعهده مستهزئا بالدين أو بخود الله كالقضاء مصحف بقاذورة وكذا ما فيه شيء من اسم معظم أو حديث أو علم شرعي أو سجود لصنم أو شمس أو مخلوق أو غير ذلك وسحر فيه عبادة كوكب لأنه بفعله هذا أثبت لله شريكا ومن أنواع الكفر أن يعلقه بالقلب أو اللسان على شيء ولو محالا واعتقاد قدم العالم ولو بالنوع ككفر وكذا الوفاء لفعلا أجمع المسلمون على أنه لا يصدر إلا من كافر وإن كان مصرحاً بالاسلام كالشيء إلى الكنائس مع أهلها بزيمهم أو يشك في نبوة نبي أجمع على نبوته أو في انزال كتاب كذلك أو قال عن نبينا ما يفيد أدنى تنقص كقوله أنه كان أسود أو مات قبل أن يلتحي أو ليس بقرشي أو عربي أو أنسي وكذا بجميع الأنبياء وكذا ما يفيد استخفافهم أو بشيء من أفعالهم كاحس الأصابع مثلاً أو يلحق نبينا نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه أو فعله أو يعرض بذلك أو يشبهه على طريق التصغير شأنه أو ينسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم أو غير شيء مما جرى عليه من البلاء والمحن فكل ذلك كفر أجمع وفي قبول توابعه خلاف وقد قتل خالد بن الوليد رضي الله عنه من قال له عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم

نبوة نبي من الأنبياء المتفق على نبوتهم لا كالخضر وخالد بن سنان ولقيان وغيرهم وكان ذلك الشك فيه (قوله ما أجمع على تحريمه) كالزنا والواط وشرب الخمر (قوله ما أجمع على تحليله) كالبيع والنكاح (قوله كفر في الحال) لمنافاته للاسلام (قوله أو مستهزئا بالدين) أو عناد الله (قوله كالتقاء مصحف) أو نحوه مما فيه شيء من القرآن بل أو اسم معظم أو من الحديث بل كل ورقة فيها شيء من ذلك سواء كتب القرآن للدراسة أو غيرها قال الروياني أو من العلم الشرعي وقوله بقاذورة أي سواء كان القذر نجساً طاهراً كخطا وبصاق ومني (قوله أو علم شرعي) قال ابن حجر في الاعلام وهل مراد الروياني بالعلوم الشرعية الحديث والتفسير والفقه وآلاتها كالنحو وغيره وإن لم يكن فيها آثار السلف أو يختص بالحديث والتفسير والفقه الظاهر الاطلاق وإن كان بعينه المدرك في ورقة من كتاب نحو مثلاً ليس فيها اسم معظم (قوله بزيمهم) فاوشد الزنا على وسطه كفر واختافوا فمين وضع قلنسوة المجوسى على رأسه والصحيح أنه يكفر ولو شدد على وسطه حبلاً فقتل عنه فقتل هذا زنا فالأكثر أن على أنه يكفر ولو شدد على وسطه زنا ودخل دار الحرب لتجارة كفر وإن دخل لتخليص الأسرى لم يكفر (قوله أو أنسي) أو قال أنه جن أو صغر عضو من أعضائه على طريق الإهانة (قوله وكذا ما يفيد استخفافهم أو بشيء من أفعالهم) فلا يشك في كفره التكنية بالقرآن وحجده ما نقلته قرون الاسلام خافوا عن سلف وصار معاملاً بالضرورة عند الخاص والعام (قوله من قال له الخ) القائل هو مالك بن نويرة

وعنده هذه الكامة تنقيصه وكذا ما لورضى بالكفر ولو ضمننا كان يشير الى كافر بان لا يسلم أو يقول له لقنى كلمة الشهادة فيؤخره بخلاف الدعاء بنحو لا رزقه الله الايمان أو ثبته الله على الكفر إذ قد جرت العادة باستعمال ذلك لأجل التشديد لا لمر عليه لا الرضى به فان كان مراده ذلك لم يكفر على ما قاله ابن حجر المكي في زواجه وقال فيها وه من الكفر سؤال الكفر لغيره لانه رضى به أو يقول لمسلم يا كافر بل أتأويل لانه سمي الاسلام كفرا ومن قال لغيره عنادا واستخفافا قالوا عطاني الله الجنة ما دخلتها وأمثال هذه مما يدل على الاستخفاف بأمره أو نهيها أو وعده أو وعيده سبحانه كفرا أو قال يؤؤأخذني بترك الصلاة مع ما أنا فيه من الشدة والمرض ظلمي ولو قال ظالم لظالمه القائل هذا بتقدير الله أنا أفعل بغير تقدير الله أو قال لو شهد عندي ملك ما صدقته أو لو كان فلان نبيا ما صدقته أو ما آمنت به أو قال قصعة من ثريد خير من العلم أو قال لله أخذت ولدي فأى شيء لم تفعله أو قال أنا الله ولو ما زح أو قال مستخفنا شبعنا من القرآن أو قال أى شيء هذا الشرع وقصد الاستخفاف أو تشبهه

(قوله وعنده هذه الكامة تنقيصه) وذلك كما روى ان مالك بن نويرة عرض على خالد الصلاة دون الزكاة فقال خالد لا تقبل واحدة دون الاخرى فقال مالك كذلك كان يقول صاحبك قال خالد وما تراه لك صاحبنا والله لقد هممت أن أضرب عنقك ثم تجادلني في الكلام فقال خالد اني قاتلك قال أو كذلك أمر صاحبك قال خالد وهذه ثانية بعد تلك والله لأقتلنك فقال عبد الله بن عمرو أبو قتادة في استبقائه فاني فقال له مالك فابعثني الى أبي بكر فيكون الذي يحكم في فقال خالد يا ضرار قم فاضرب عنقه فقام فاضرب عنقه (قوله بان لا يسلم) وان لم يكن طالبا للاسلام فيما يظهر وهل اذا كان ذلك الكافر عدوه فاشار عليه بما يكرهه وهو الكفر ومنعه عما يحبه وهو الاسلام يكفر بذلك أم لا الذي يظهر من كلامهم انه يكفر بذلك وان قصد ما ذكرناه لانه كان متسببا في بقاءه على الكفر (قوله فيؤخره) أو يقول له اصبر حتى أفرغ من شغلي أو يشير على مسلم بانه يرتد وان كان مريدا للردة أو يكرهه على الكفر على الأصح (قوله بخلاف الدعاء) لكافر (قوله أو ثبته الله على الكفر) أو قال لمسلم يسأله الله الايمان فانه لا يكون كفرا على الأصح (قوله لا مر عليه) والعقوبة عليه (قوله لم يكفر على ما قاله ابن حجر المكي) ومحل ذلك ما اذا لم يذ كر ذلك رضى بالكفر والا كفر مطلقا (قوله أو يقول لمسلم يا كافر) فقد صح انه قال صلى الله عليه وسلم اذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باع بها وقوله بل أتأويل فان أول بان أراد كفر النعمة أو الاحسان فلا كفر وهو الأصح (قوله ما دخلتها) أما اذا لم يكن ما قاله على جهة العناد والاستخفاف فعند الرافي انه يكفر وعند النووي لا يكفر (قوله أو قال يؤؤأخذني الى قوله ظلمي) أى جوابا لمن قال له لا تترك الصلاة فان الله يؤؤأخذك (قوله ما صدقته) كفر وهل قوله لو شهد عندي جميع المسلمين ما صدقته كذلك أو لا قال ابن حجر

بالعلماء أو الوعاظ بحضرة جماعة استخفافا ليضحكهم وكذا كل قول كفر أراد به الضحك واللعب استخفافا بالدين أو قال إذا ظهرت الربوبية زالت العبودية وأنه فني عن صفات الناسوتية إلى اللاهوتية أو أن صفاته تبدلت بصفات الحق وأنه يرى الله عيانا في الدنيا ويكلمه شفاها أو قال لغيره دعى العبادات الظاهرة الشأن في عمل الاسرار أو قال سماع الغناء من الدين وأنه يؤثر في القلب أكثر من القرآن أو العبد يصل إلى الله تعالى من غير طريق العبودية قال الغزالي من زعم أن له مع الله حالا أسقط عنه نحو الصلاة أو تحريم نحو الخمر وجب قتله وإن كان في الحكم بخاود في النار نظر وقتل مثله أفضل من قتل مائة كافر لأن ضرره أكثر انتهى وبالجملة فكل ما أوجب هضا لحقوق الربوبية أو خواص الألوهية أو لتوقير الرسل والشرائع أو لأركان الدين كان كفرا أو الواجب على المسلم إعطاء كل ذي حق حقه فمضى نقص من حق الرسل وشرائعهم منتقصا على وجه يفيد ذلك فهو كافر أو زاد في حقوقهم فغلا في محبتهم فأعطاهم بقلبه أو لسانه ما ليس لهم من خواص الألوهية المختصة برب الأرض والسموات وبارئ السموات كان مشركا ثم إنه يكون فيه من الكفر أو الشرك على حسب ما صحبه من هذا الاعتقاد الموجب للفساد فإن أعطى كل ذي حق حقه وسلك الطريق القويم ناظرا بعين بصيرته حوالية وفوقه كان مسامحا وحدا أو اماما مسددا وهذا بعض مما اختصرناه وفي هذه المقالة وضعناه والمقصود الآن التنبيه على الاستيعاب والبيان بما استطردهنا في هذا الباب والله سبحانه هو الموفق والملم للملهم للصواب

﴿الباب الثامن في بيان الشرك الأصغر وأنواعه﴾

اعلم أن من الشرك الأصغر الرياء وهو أشهر أنواعه وسمى أصغرا لكونه غير موجب للخاود في النار

الذي يظهر نعم لما مر من أن الشرع دل على عصمتهم من الاتفاق على الكذب (قوله زالت العبودية) وعنى بذلك رفع الأحكام (قوله شفاها) أو قال إن الحق يطعمه ويسقيه وأسقط عنه التمييز بين الحلال والحرام وأنه يأكل من الغيب ويأخذ منه (قوله في عمل الاسرار) أو قال الروح نور الله فاذا اتصل النور بالنور اتحد (قوله انتهى) نقله ابن حجر في شرح المنهاج (قوله بما استطردهنا في هذا الباب) فإن قلت قسم الشرك إلى أكبر وأصغر ولم يقسم الكفر مع أنه مثله قلت لما كان مقصوده في هذا الكتاب ذكر الشرك أطنب في تفصيله وأما الكفر فقد ذكره على سبيل الاستطراد لأنه ليس من مقصود هذا الكتاب كما تقدم في أول الباب ولذا كررنا نحن القسم الآخر وهو الكفر الأصغر تنميها للفائدة فنقول الكفر نوعان كبرا وكبرا أصغرا فالكفر الأكبر موجب للخاود في النار فهو الذي ذكره والكفر الأصغر وهو الموجب لاستحقاق الوعيد دون الخاود كما في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح اثنتان في أمتي هما بهم كفر الطعن في

وقد شهد بتحريره الكتاب والسنة واجماع الأمة قال الله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه أحد أي لا يرأى بأعماله لأنها نزلت فيمن يطلب الأجر والجد بعبادته وأعماله وروى الامام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الرياء يقول الله يوم القيامة اذا جرى الناس بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا انظروا هل تجدون عندهم جزاء والترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشرك أخفى في أمتي من ديب النمل على الصفا والترمذي أيضا والحاكم وأبو نعيم الشرك أخفى في أمتي من ديب النمل على الصفا في الليلة الظلماء وأدناه أن تحب على شيء من الجور أو تبغض على شيء من العدل وأهل الدين الالحب في الله والبغض في الله والمراد بالصفا الحجر الأملس والأحاديث في ذلك كثيرة جدا فمن أراد الوقوف عليها فعليه بكتاب الزواجر للإمام ابن حجر المكي وقد تطابقت كلمات الأئمة على ذمه وعظيم آثمه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمن رأى يظا طيء رقبته يا صاحب الرقبة ارفع رقبته لك ليس الخشوع في الرقاب وإنما

النسب والنياحة وقوله صلى الله عليه وسلم من أتى امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد وقوله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وهذا تأويل ابن عباس وعامة أصحابه في قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون قال ابن عباس ليس بكفر ينقل عن الملة بل اذا فعله فهو به كافر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر وكذلك قال طاوس وقال عطاء هو كفردون كفرو منهم من تأول الآية على ترك الحكم بما أنزل الله جاحدا له وهو تأويل مرجوح فان نفس جحوده كفر سواء حكم أو لم يحكم ومنهم من تأولها على غير ذلك مما هو مذكور في التفاسير وكلمات تأويلات بعيدة والصحيح ان الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكافرين الأكبر والأصغر بحسب حال الحال كما قاله ان اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة وعدل عنه معصية مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا كفر أصغر وان اعتقد انه غير واجب وأنه مخير فيه مع تيقنه انه حكم لله تعالى فهذا كفر أكبر وان جهله أو أخطاه فهو مخطئ له حكم المخطئين فالمعاصي كلها نوع من الكفر الأصغر فأنها ضد الشكر الذي هو العمل بالطاعة فالسعي اما شكر واما كفر واما ثالثا من هذا ولا من هذا (قوله وأعماله) كما روى ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرتي فقال ان الله لا يقبل ما شورك به فنزلت تصديقه (قوله الشرك الأصغر) قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء وقوله الرياء أي لغلبة داعيه للانسان الا ان عصمه الرحمن (قوله اذهبوا) خطاب للمرائين (قوله تراؤن) أي تراؤنهم بعمل الطاعة في الدنيا لطلب اقبالهم فخذوا منهم الجزاء (قوله جزاء) هذا الحديث فيه اعلام بحبوط ثواب عمل الصالح بالرياء (قوله أخفى الخ) ولكمال خفائه لا يحس به

الأمر انه نظر الى غيره وهذا التوجه الى ربه قد أطله وأكمل وأظهر خاصه وخشوعه لمولاه فلم يكن
شركاً كبر نظر الى انه قد جعل هذا الحق لربه ولم يجعله لغيره وكيف وان رياءه قد نشأ من هذا
التخصيص الذي لولا مخالفته لما أبطنه لكان عين التوحيد الذي ما عليه من مزيد لكنه نشأ منه
الشرك الأصغر بواسطة انه عظم قدر المخلوق حتى جعله ذلك التعظيم على ان يعمل لله تعالى أو يطيله
أو يحسنه بما يراه ولم يكن ذلك المخلوق هو المعظم من وجهه كان شركاً لكنه أصغر كما علمت ولا يقدم
عليه الا من لعب الشيطان بعقله فأوهمه ان هذا العبد الضعيف الدليل يملك جلب الخير اليه وصرف
النصرف عنه أكثر من ملك الله تعالى له فذلك عدل بوجهه اليه وأقبل يستقبل قلبه وذلك من غاية
جهله وفرط حقه وقد يطلق الرياء على أمر مباح وهو طلب نحو الجاه بغير عبادة كان يقصد به ينشأ
عليه بالنظافة فلا يكون واقفاً في طريق العبادة بل في طريق غيرها ومثل ذلك الانفاق على الأغنياء
لا على وجه الصدقة بل يقال انه سخي فليس في هذا تلبس في الدين واستمراء برب العالمين فيكون
ذلك على حسب الارادات فاما الأعمال بالنيات وقد اختلف الغزالي وابن عبد السلام فيمن قصد
بعبادته الرياء ورضا الله فقال الغزالي ان غلب باعث الدنيا فلا ثواب له أو باعث الآخرة فالشواب وان
تساوى اتساقتا فلا ثواب أيضاً وقال ابن عبد السلام لا ثواب مطلقاً لاخبار الصحيحة كخبر من عمل
عماً لا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء هو الذي أشرك وأوله الغزالي على ما اذا استوى القصد ان أو كان
قصد الرياء أرجح وفي هذا النوع مباحث كثيرة تنفر عن غيرها فروع غزيرة في الانعقاد وعدمه فيما اذا
افتتح العمل رياءً ولو أخلص في افتتاحه ثم ورد عليه وارد الرياء وهل تجب عليه الاعادة خلاف
استوعبه العلامة ابن حجر المكي في الزواج وأطال البحث في تقسيم درجات الرياء وما يتعلق بذلك
من متعلقاته فان أردت الوقوف عليه فارجع اليه ولما كان هذا الشرك يصدر عن معتقد أن لا اله
الا الله وانه لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع الا الله وانه لا رب سواه ولا اله غيره ولو كان عمله لحظ نفسه
تارة واطلب الرفعة واجاه والمنزلة عند الخلق تارة أخرى فله من عمله وسعيه نصيب وانفسه وحظه
وهو ان نصيب وللشيطان نصيب وللخلق نصيب وهذا حال أكثر الناس وهو الشرك الذي قال فيه النبي
صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن حبان في صحيحه الشرك في هذه الأمة أخفى من ديب النمل قالوا
وكيف تنجو منه يا رسول الله قال قل اللهم اني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم
وقل من ينجو من هذا فن أراد بعمله غير وجه الله أو نوى شيئاً غير التقرب اليه فقد أشرك في ارادته
ونيته ويقابل الرياء الاخلاص وهو ان يخلص لله في أفعاله وأقواله وارادته ونيته وفقه الله سبحانه
لمرضائه آمين قال الامام ابن القيم في الجواب الكافي ومن الشرك به سبب حادته الشرك به في اللفظ
كالخلف بغير الله كما روى الامام احمد وأبو داود عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف بغير الله فقد
أشرك صححه الحاكم انتهى وقد روى النسائي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من كان حالفاً فلا يخلف

الا بالله قال المناوي يعني باسم من أسمائه أو صفة من صفاته لان في الحلف تعظيما للمخاوف وحقيقة
 العظمة لا تكون الا لله قاله لما أدرك عمر يحلف بأبيه والحلف بالمخاوق مكروه كالنبي والكعبة لاقتضاء
 الحلف غاية تعظيم المخاوف به والعظمة مختصة بالله تعالى فلا يضاهاه به غيره ثم فسر الحديث الأول بأن
 قال المراد بقوله فقد أشرك أى فعل فعل أهل الشرك أو تشبه بهم اذ كانت أيمانهم بأيمانهم وما
 يعبدون من دون الله أو فقد أشرك في حلفه من لم يكن له أشراكه فيه على حد جعل الله شركاء فيما اتاهما
 أو فقد أشرك في تعظيم الله من لم يكن له أن يعظمه لان الأيمان لا تصاح الا بالله والحالف بغيره معظم
 غيره بما ليس له فهو يشرك غير الله في تعظيمه ورجح ابن جبر هذا الأخير ومن هذا التقرير يعلم ان من
 زعم ان الخبر ورد على منهج الزجر والتغليظ فقد تكلف انتهى وقال أيضا مثل شيخ الاسلام زكريا
 عن قوم جرت عاداتهم اذا حلفوا أن يقولوا ابركة سيدي فلان على الله هل هم مخطئون لحلفهم بغير الله
 تعالى أجاب بكرة الحلف المذكور وينع منه فان لم يمتنع أدب قصد بعلى الاستعلاء على بابها أم لا
 انتهى وقال العلامة ابن حجر المكي في شرح المنهاج الأيمان جمع يمين لانهم كانوا يضعون أيمانهم
 بعضها ببعض عند الحلف وأصل اليمين القوة فتقوية الحلف الحث على الوجود والعدم سمي يميننا
 ثم قال (لاتعقد اليمين الا بذات الله تعالى) أى اسم دال عليها وان دل على صفة معها وهى في
 اصطلاح المتكلمين الحقيقة والالزام لكار عليهم بأنها لا تعرف الا بمعنى صاحبة مردود بتصريح الزجاج
 وغيره بالأول بل صرح بذلك خبيب رضى الله عنه عند قتله بقوله وذلك في ذات الاله (أوصفه له)
 وستأتى فالأول بقسميه (كقوله والله ورب العالمين) أى مالك المخاوقات لان كل مخاوق علامة
 على وجود خالفه (والحي الذي لا يموت من نفسى بيده) أى قدرته يصرفها كيف يشاء ومن
 فلق الحبة (وكل اسم مختص به) الله (سبحانه وتعالى) غير ما ذكرولو مشتقا ولو من غير
 أسمائه الحسن كالاله ومالك يوم الدين والذي أعبدناه وأسجد له ومقلب القلوب فلا ينعقد بمخاوق
 كنبى ومالك لانهم الصحيح عن الحلف بالأبواب ولا من الحلف بالله وروى الحاكم خبر من حلف بغير
 الله فقد كفر وفي رواية فقد أشرك بالله وحجوه على ما اذا قصد تعظيمه كتعظيم الله فان لم يقصد ذلك
 اثم عند أكثر أصحابنا أى تبع النص الشافعي الصريح فيه كذا قاله شارح والذي في شرح مسلم عن
 أكثر الأصحاب الكراهة وهو المعتقد وان كان الدليل ظاهرا فى الأثم قال بعضهم وهو الذى ينبغى
 العمل به فى غالب الأعصار لقصد غالبهم به اعظام المخاوف به ومضاهاة الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

(قوله سمي يميننا) اذ اليمين فى الشرع عبارة عن عقد قوى عزم الحالف على الفعل أو الترك
 (قوله وستأتى) أى فى المنهاج كوعظمة الله وعزته وكبريائه وكلامه وعلمه وقدرته ومشيئته
 (قوله ومالك) ويثبت الله الكعبة

انتهى فقد ظهر لك من جميع ما نقلته انه متردد بين الاثم والكراهة والاثم هو القريب لظاهر
الدليل فيكون حراما ما يقترب به التعظيم كتعظيم الله فيكون شركا ظاهرا وعلى كل حال فهو من
الشرك الأصغر عند عدم الاقتران وقال ابن القيم في كتابه الجواب الكافي ومن ذلك قول القائل
لخالق ما شاء الله وشئت كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال له رجل ما شاء الله وشئت فقال أتجعلني
لله ندا قل ما شاء الله وحده هذا مع ان الله قد أثبت للعبد مشيئة بقوله تعالى لمن شاء منكم أن يستقيم
فكيف بمن يقول أنا متوكل على الله وعاليك وأنا في حسب الله وحسبك وما لي الا الله وأنت وهذا من
الله ومنك وهذا من بركات الله وبركاتك والله لي في السموات وأنت لي في الأرض أويقول والله
وحياة فلان أويقول ذلك نذر الله ولفلان وأنا نائب الله ولفلان وأرجو الله ولفلان ونحو ذلك فوازن
بين هذه الألفاظ وبين قول القائل ما شاء الله وشئت ثم انظر أيهما أحسن يتبين لك ان قائلهما أولى
بجواب النبي صلى الله عليه وسلم لقائل تلك الكلمة وانه اذا كان قد جعل لله ندا فهذا قد جعل من لا
يداني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من الأشياء بل لعله ان يكون من أعدائه نذر الرب العالمين
سبحانه انتهى وروى الحكيم في النوادر والنسائي عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال قد كنت أكره لكم أن تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله
ثم شاء محمد قال المناوي لما في ذلك من شائبة التشريك فنهي عن ذلك نهى تنزيه رعاية للأدب ودفعاً
لذلك التوهم وانما أتى بتم لكمال البعد مرتبة وزمانا انتهى وقال الخطابي أرشدكم الى رعاية الأدب
في التقديم واختارهم من بين طرق التقديم ثم المفيدة للترتيب والمهلة والفاصلة الزمانية ليفيد ان
مشيئة غير الله مؤخره بمراتب وأزمنة انتهى ولم أر أحدا من الشافعية قال بالحرمة صريحا وان كان
ظاهر النص من النهي الجازم يفيدها وعلى كل حال فنهى من الشرك الأصغر كما ثبت التصريح به
والله أعلم وقال أيضا ابن القيم في كتابه الجواهر من ذلك ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه
مر فوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال الرقي والتأم والتولة شرك رواه الامام أحمد وأبو داود والتولة
نوع من السحر وهو تحييب المرأة الى الزوج والتأم جمع تيمة وهي خزفة يعلقونها على الولد يزعمون
انها ترد العين انتهى والأحاديث في النهي كثيرة فقد صح انه صلى الله عليه وسلم أبصر على عضد
رجل حلقة أراه قال من ظفر فقال ويحك ما هذه قال من الواهنة قال اما انها لا تزيدك الا وهنا انبذها
عنك فانك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا وفي الجامع الصغير عن ابن مسعود رضى الله عنه ان

(قوله الرقي) هي التي تسمى العزائم وقد اشقلت على شرك أمالي لا شرك فيها فقد رخص فيها
صلى الله عليه وسلم من العين والحجى (قوله والتولة) بفتح الفوقية والواو واللام (قوله ترد
العين) لكن اذا كان العلق من القرآن فاختلاف فيه الساف الصالح بعضهم أجازوه وبعضهم

النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الرقي والتسائم والتولة قال العلامة ابن حجر في زواجه تنبيهه على هذه من الكبائر هو ما يقتضيه الوعيد الذي في هذه الأحاديث لا سيما تسميته شركا لئلا يظن أن الرقي هو ما كانوا يفعلونه بذلك بخصوصه ولكنهم صرحوا بما يفهم جريان ذلك فيه بالأولى نعم يتعين حمله على ما كانوا يفعلونه من تعليق خرزة يسمونها تيممة أو نحوها يرون أنها تدفع عنهم الآفات ولا شك أن اعتقاد هذا جهل وضلال وأنه من أكبر الكبائر لأنه إن لم يكن شركا فهو يؤدي إليه إذ لا ينفع ولا يضر ولا يمنع ولا يدفع إلا الله تعالى وأما الرقي فهي محمولة على ذلك أو على ما إذا كانت بغير لسان العربية ولم يعرف معناها فإنها حينئذ حرام كما صرح به الخطابي والبيهقي وغيرهما واستدل به ابن عبد السلام بأنهم لما سألوه صلى الله عليه وسلم عن ذلك قال أعرضوا على رقاكم وسبب ذلك ما قالوا من أن ذلك المجهول قد يكون سحرا أو كسرا قال الخطابي بعد ذكره ذلك فإما أن كان مفهوم المعنى فإنه مستحب متبرك به انتهى وقال المناوي في شرح الحديث الثاني الرقي بوزن العلام جمع رقية بالضم يقال رقاها أي عودها ونهى عن الرقية بغير القرآن وأسماء الله تعالى وصفاته ثم قال وتلك الرقي المنهى عنها التي يستعملها المعزوم من يزعم تسخير الجن تأتي مركبة من حق وباطل فجمع إلى ذكر الله ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ من مردتهم فلهذا نهى عن الرقي بما جهل معناه لئلا يكون بريئا من شوب الشرك انتهى فقد تبين لك من هذه النقول المخرجة عن هذه الأصول الصادرة عن الرسول أن ذلك يكون شركا ظاهرا تارة وشركا أصغرا تارة أخرى فتأمل حق التأمل فيه وتبصر بظاهره وخافيه وعلى الله قصد السبيل نعم المولى ونعم الوكيل وبقيت أشياء سميت بالشرك أيضا كالتطير فقد روى البخاري في الأدب المفرد وأحمد والحاكم وغيرهم بسند صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الطيرة شرك قال المناوي هي بكسر الفتح سوء الظن بالله وهرب من قضائه وقوله شرك لأن العرب كانوا يعتقدون أن ما يتشاءمون به سبب مؤثر في حصول المكروه وملاحظة الأسباب في الجملة شرك خفي فكيف إذا انضم إليها جهالة وسوء اعتقاد ومن اعتقد أن غير الله ينفع أو يضر استقلالا فقد أشرك انتهى وبالجملة فالشرك الخفي لا يكاد يحترز إلا إنسان منه إلا بعناية من الله الصمد وهو منقسم إلى أكبر غير مغفور وأصغر موجب للإثم فقط متفاوت المراتب ذما وقبحا عافانا الله سبحانه عن الجميع أنه هو الغفور السميع إذا علم هذا فالواجب عليك الاحتراز عما أطلق عليه الشارع لفظ

نهى عنه (قوله الطيرة) هي بكسر الطاء وفتح الياء اسم ما يتشاءم به كذا في الصحاح وفي النهاية أنه مصدر تطير كما يقال تخير خيرة ولم يجئ من المصادر على هذه الزنة غيرهما كان أهل الجاهلية إذا قصدوا أحد إلى حاجة وأتى من جانبه الأيسر طيرا وغيره يتشاءم به فيرجع (قوله الصمد) الصمد المقصود إليه في الخواص

الشرك وان كان مغفورا وغير مخرج عن الملة لكن الشارع صلى الله عليه وسلم لم يطلق عليه اسم
الشرك الا لكونه وان لم يكن أكبر فهو يؤدي اليه وانه في طريق من سلك فيه أوقعه الشيطان
عليه ومثل ذلك لا يعرفه الا عالم بهذه الأسرار وطبيب يحذر من الوقوع في مثل هذه الأمراض
الكثيرة الأخطار وكيف يقدر من لا يعرف حقيقة نفسه على معرفة هذه العلل الوبية والأمراض
الردية وهي لا تتلقى الا من الحضرة النبوية ولا تقتبس الا من مشكاة الأنوار المحمدية الفائضة من
المواهب الربانية والأسرار الالهية ولقد سمى السلف الصالح المعاصي بريد الكفر بناء على انها تجر اليه
وسميت ذنوب بالنفاق لكونها تؤدي من استعملها اليه فكذلك هذه الكبائر التي أطلق الشارع
عليها اسم الشرك كأنها تأتي من ارتكبتها على الشرك الأكبر الذي هو من أكبر الكبائر وأعظم
المصائب فانه الذنب الموجب للخاود في النار المستوجب لغضب الجبار وفقنا الله سبحانه للأصابة في
القول والعمل وجنبنا بفضل العليم الخطأ والخطأ بمنه وكرمه آمين

﴿الباب التاسع في بيان المعجزة والكرامة والسحر والرياسة والكهانة وما يتبع ذلك من
الاستدراج والمعونة والتنجيم والشعيرة على وجه تمييزه هذه الحقائق ويحصل من ألم بها على
الوجه القريب الفائق﴾

اعلم بصرفي الله وإياك بالدين وهذا السبيل المستبين ان المعجزة

(قوله تجر اليه) لأن تكرار الأفعال مسبب لحصول الملكة الراسخة فن أصر على الذنوب
ألفها واذا ألفها نشأ من ذلك محبتها وبغض الطاعات لمخالفتها ما لوفقه مع استيلاء الران على قلبه
فاذا أصر على الذنوب يكون حب الله في قلبه ضعيفا فاذا ضعف يستولى على قلبه حب الدنيا
فينهمك في الشهوات وارتكاب السيئات فتستراكم ظلمات الذنوب على قلبه ولا تزال تطفئ ما
فيه من نور الايمان مع ضعفه فاذا جاءه الموت وعلم انه يفارق الدنيا وهي محبوبة له وحبا غالب
عليه حتى انه يتألم من فراقها ويرى ذلك من الله تعالى فيخشى ان يحصل في قلبه بغضه تعالى بدل
حبه فان اتفق خروج روحه في تلك اللحظة ينجم له بالسوء ويهلك هلاكاً أبدياً فمن أراد النجاة
من هذه الورطة فعليه بعد تصحيح اعتقاده ان يحذر عن المعاصي وعن مشاهدتها ومشاهدة
أهلها وان يواظب على الطاعات التي هي ثمرة محبة الله تعالى ولا يتصور محبة الله تعالى الا بعد معرفته
فن عرف الله تعالى بما يجب عليه معرفته وعرف ان جميع النعم الواصلة اليه والى غيره ليس الا منه
تعالى لا جرم انه يحبه فاذا أخبى يسعى في تحصيل مرضاته ويحترز من موجبات سخطه فيكون لا ثقاً
لوصول احسانه ودخول جنانه بمقتضى وعده يسرنا الله تعالى لذلك (قوله الخطل) المنطق الفاسد
(قوله المعجزة) ما خوذ من المعجز المقابل للقدرة وحقيقة الاعجاز اثبات المعجز ثم أسند مجازا الى

ما يظهر على يد مدعي النبوة من خارق للعادة عند تحدي المنكرين على وجه يدل على صدقه ولا تمكنهم معارضته هكذا عرف المعجزة المتكلمون وسميت بذلك لا عجزا لها من يتصدى لمعارضتها عن الايمان بمثلها فالتناء فيها للبالغة كالعلامة والنسابة ولكن الشائع في التعابير استعمالها في الوحدة واذا كانت عبارة عن هذا الامر المعجز الذي يخلقه الله ويظهره على يد مدعي النبوة تصدق عليه كانت تصدق فعلياً قائمة مقام قول الله تعالى صدق عبيدي فيما يقول ويبلغه عنى فهي اذا تفيد العلم الضروري بصدق المدعين وتصلح أصلاً لاقامة الحجج والبراهين فقد قال العلماء مثال ذلك ان رجلاً اذا قام من مجلس ملك الى جماعة وقال أنا رسول هذا الملك بعثني اليكم بكذا وكذا من التكاليف فطلبوا منه آية تدل على صدقه فقال آية صدقي اني اطلب من الملك ان يخالف عادته ويقوم من مقامه ويقعد ثلاث مرات ففعل الملك ذلك فالارب ان ذلك الفعل من الملك قائم مقام قوله صدق هذا الرجل في كل ما يبلغ عنى ومفيد العلم الضروري لمن شاهدته بل لمن وصل اليه ذلك الفعل بالتواتر ان هذا المبلغ عنه صادق في كل ما يبلغ عنه كيف وينضاف الى ذلك ما يقوى التصديق من ان هذه الدعوى على الله الواجب الوجود الشامل بقدرته كل موجود فهل يقع في الخاطر ان من تصدى لمثل هذا الامر وهو كاذب كيف يجري على يده مثل هذا الخارق ولئن جرى كيف يعمله تعالى ويترك خلقه سدى وهم لا يشعرون هذا من المحال البين الذي تضافرت عليه العقول وتطابقت به النقول من غير انكول اذا

ما هو سبب المعجز وجعل اسماله فالتناء للنقل من الوصفية الى الاسمية كما في الحقيقة وقيل للبالغة كما ذكره المصنف (قوله ما يظهر الخ) أعم من ان يكون فعلاً كأنه جار الماء من الاصابع أو عدمه كعدم اسراق النار ومن قال فعل يظهر الخ جعل المعجز ههنا كون النار برداً وسلاماً أو بقاء الجسم على ما كان عليه من غير احراق (قوله عند تحدي المنكرين) احترازاً عن كرامات الأولياء وعن العلامات الارهاصية التي تتقدم بعثة الأنبياء (قوله ولا تمكنهم معارضته) وهي اما حسية واما عقلية وأكثر معجزات بني اسرائيل كانت لبلادهم وقلة بصيرتهم حسية وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال افهامهم قاله السيوطي (قوله في كل ما يبلغ عنه) فان قيل هذا تمثيل وقياس للغائب على الشاهد وهو على تقدير ظهور الجامع انما يعتبر في العمليات لا فائدة الظن وقد اعتبرتموه بالجامع لا فائدة اليقين في العمليات التي هي أساس ثبوت الشرائع على ان حصول العلم فيما ذكرتم من المثال انما هو لما شوهد من قرائن الأحوال قيل في جوابه التمثيل انما هو للتوضيح والتقريب دون الاستدلال ولا مدخل لمشاهدة القرائن في افادة العلم الضروري لحصوله للغائبين عن هذا المجلس عند تواتر القضية اليهم وللحاضرين فيما اذا فرضنا الملك في بيت ليس فيه غيرة ودونه حجب لا يقدر

علمت هذا فاعلم ان للمعجزة كاذكروا سبعة شروط تميز بها عن غيرها الأول ان تكون من قبل الله تعالى ليخرج ما كان من قبل العبد الثاني ان تكون خارقة للعادة ليخرج ما كان معتادا الثالث ان يتعذر معارضتها لان ذلك حقيقة الاعجاز المخرج للسحر ونحوه الرابع ان يكون مقرونا بالتحدى ولا يشترط التصريح بالدعوى بل تكفي قرائن الأحوال وذلك ليعلم انه تصديق له والمراد من التحدي طلب المعارضة منهم فيما جعله شاهد الدعواه تعجزوا غيره عن الايمان بمثل ما أبداه من تحديت فلانا اذا نازعته للغبية الخامس ان يكون هذا الخارق الآتي به موافقا لدعواه فلو قال معجزتي كذا فأنتي بغيره لم يدل على تصديقه لعدم تنزيله منزلة تصديق الله تعالى اياه السادس ان لا يكون المعجز مكذبا له فلو قال معجزتي ان ينطق هذا الذئب فنطق بتكذيبه لم يكن ذلك معجزة السابع ان لا تكون المعجزة متقدمة على الدعوى فاي تقدم عليهما من الخوارق يسمى ارهاصا وتأسيسا فلو ادعى النبوة بعد

على تحريكها أحدهما وجعل مدعى الرسالة حجة ان الملك يحرك تلك الحجب من ساعته ففعل (قوله كاذكروا) أي المتكلمون (قوله ان تكون من قبل الله الخ) لان التصديق من الله تعالى لا يحصل بما ليس من قبله زاد في المواقف في هذا الشرط قيدان قال الأول ان يكون فعل الله أو ما يقوم مقامه وقال وقولنا أو ما يقوم مقامه ليتناول ما اذا قال معجزتي ان أضع يدي على رأسي وأتم لا تقدرين عليه ففعل وعجز وافانه معجز ولا فعل لله ثم فان عدم خلق القدرة ليس فعلا أي بل عدم صرف ومن جعل الترك وجوديا أي على انه الكف حذفه لعدم الحاجة اليه قلت وترك المصنف هذا القيد لما ذكره السيد في شرحه عن الأمدى ان العجز ان كان عدميا كما هو أصل شيخنا فالمعجز هنا عدم خلق القدرة فلا يكون فعلا وان كان وجوديا كما ذهب اليه بعض أصحابنا فالمعجز هو خلق المعجز فيهم فيكون فعلا فلا حاجة الى قولنا أو ما يقوم مقامه انتهى (قوله ليخرج ما كان معتادا) كطلوع الشمس في كل يوم وبدوالا زهار في كل ربيع فانه لا يدل على الصدق لمساواة غيره اياه في ذلك حتى الكذاب في دعوى النبوة (قوله ولا يشترط التصريح بالدعوى) وطلب المعارضة خلافا لما ذهب اليه بعضهم (قوله بل تكفي قرائن الأحوال) بان يقال له ان كنت نبيا فاطهر بمعجزة ففعل بان دعا الله فاطهره فيكون ظهوره دليلا على صدقه ونازلا منزلة التصريح بالتحدى (قوله معجزتي كذا) أي ان أحبي ميتا مثلا (قوله بغيره) كشق الجبل مثلا (قوله لم يكن ذلك معجزة) لان المكذب هو نفس الخارق قال في المواقف وشرحه نعم لو قال معجزتي ان أحبي هذا الميت فاحياه فكذبه ففيه احتمال والصحيح انه لا يخرج بذلك عن كونه معجزا لأن المعجز احياؤه وهو غير مكذب له انما المكذب هو ذلك الشخص بكلامه وهو بعد ذلك الاحياء مختار في تصديقه وتكذيبه ولم تتعلق به دعوى فلا يقدح تكذيبه في دلالة الاحياء على صدقه (قوله وتأسيسا) عطف تفسير

ظهور هذا الخارق المتقدم عاينها وطولب بالمعجزة ففجز كان ذلك دليلا على عدم التصديق المتقدم
وبهذه الشروط السبعة يحصل تمييز المعجزة عن غيرها من السحر وأمثاله وقد فرق بين السحر وبين
المعجزة أيضا بأن أثر المعجزة حقيقي كشبع الجوع الكثير من الطعام اليسير وتكثير الماء القليل بالمج
فيه حتى روى منه الجيش من غير تكبير وأثر السحر تخيلي وله أيضا فرق آخر وهو أن السحر يقبل
التعم والتأنيد وربما كان التأنيد فيه أحق من الاستاذ بخلاف المعجزة فإنها لا تقبل ذلك واعلم أن
السحر لغة كل الطاف ودق من سحر إذا أبدى له أمر افدق عاينه وخفي ومنه فلما ألقوا سحروا أعين
الناس وهو مصدر شاذ لم يأت فعل بكسر الفاء وسكون العين مصدر الفعل يفعل بفتح العين فيهما
وشرعا هو كل أمر خفي سببه وعمل على غير حقيقة وجري مجرى التويه والخداع وكان يمكن
المعارضة ويتفاوت باعتبار حدق متعاطيه فهو من الصناعات في التويهات وحيث أطلق أريد منه
المدوم فقط وحيث قيد كان بحسب ما قيد به مما يدح أو يذم أو يضر أو ينفع كسحر البيان وغير
ذلك مما يتعلق بفصاحة اللسان وبالجملة فهو أقسام فنه سحر الكادانيين الغابدين للكواكب وهم
فرق قد تخالف ملهم واضطربت نحلهم فنه القائلون بالاهية الأفلاك المتخذون لها هياكل
وأدناما اشتغلوا بخدمتها ومنهم من أثبت لهذه الأفلاك فاعلا مختار الكنههم قالوا إن الله أعطاها قوى
نافذة وفوق تدبيره الزا ومنهم الصابئة والدةرية إلى غير ذلك من الفرق الضالة عافانا الله منها ومن
السحر أيضا سحر أصحاب العزائم والنفوس القوية

لأن الارهاص هو التأسيس من أرهصت احاطا أسسته (قوله العزائم) وهي كلمات يزعم أهل
هذا العلم أن سايمان عليه الصلاة والسلام لما أعطاه الله هذا الحكم وجد الجن يعبثون بالناس في
الأسواق ويخطفونهم من الطرقات فسأل الله تعالى أن يولى على كل قبيل من الجن ملكا يضبطهم
عن الفساد فولى الله سبحانه وتعالى الملائكة على قبائل الجن فاذا عتاب بعضهم وأفسد ذكر المعزم
كلمات تعظمها تلك الملائكة ويزعمون أن لكل نوع من الملائكة أسماء أمرت بتعظيمها ومتى
أقدم عاينها أطاعت وأجابت وفعلت ما طلب منها فالمعزم بتلك الأسماء على ذلك القبيل يحضر له
ذلك القبيل من الجن الذي طلبه والشخص منهم يحكم بينهم بما يريد ويزعمون أن هذا الباب إنما
دخله الخلل من جهة عدم ضبط تلك الأسماء فإنها عجمية لا يدري هل هي مضمومة أو مفتوحة وربما
أسقط بعض النساخ بعض حروفها من غير علم فيختل العمل فإن القسم به لفظ آخر لا يعظمه ذلك
الملاك فلا يجب ولا يحصل مقصود المعزم (قوله وشرعا) والسحر له حقيقة وقد يموت المسحور
أو يغير طبعه قاله الشافعي وابن حنبل وقالت الحنفية إن وصل إلى بدنه كالدخان ونحوه مجاز أن يؤثر
والأفلاوقا المعتبرة لا حقيقة للسحر وهذا لا يصح فإن ما لا حقيقة له لا يؤثر وقد سحر النبي صلى

ومنهم في بلاد الهند كثرة ومنه سحر المشركين المستعنين بالأرواح الأرضية من الجن ومردتهم
الشياطين ومنه أيضاً ما هو تخيل وأخذ بالعيون ومنه أيضاً أعمال عجيبه تظهر من تراكيب آلات
على نسب هندسية ومنه أيضاً ما فيه استعانة بخواص الأدوية الغريبة ومنه تأليفه للقلوب كن
عرف بان الجن تطيعه وأنه يفعل أشياء غريبة فنعتقد فيه ذلك وتعلق قلبه بما هنالك وحصل في
نفسه نوع من الرعب ومكن الخوف بقلبه تمكن هذا المعتقد فيه من ان يفعل معه ما يشاء من غير
شك ولا امتراء وقد نقل عن القرافي بيان أنواعه من السيميا والهيما وخواص الحقائق من
الحيوانات وغيرها

الله عليه وسلم وقد سحرت عائشة جارية اشترتها وقد أطبقت الصحابة على صحة ذلك ومن حجة
الزاعمين انه لا حقيقة له قوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسمى ولأنه لو كانت له حقيقة لا يمكن
الساحر ان يدعى النبوة فانه قد يأتي بالخوارق على اختلافها والجواب ان السحر أنواع فبعضه هو
الذي يخيل عن الثاني ان اضلال الخلق يمكن ولكن الله تعالى أجرى العادة بضبط مصالحهم عما
يسر ذلك على الساحر وكم من ممكن يمنعه الله من الدخول في العالم لأنواع من الحكم على انه تقدم
الفرق بين المعجزة والسحر (قوله ومنهم في بلاد الهند كثرة) قال ابن حجر في كتابه الاعلام وفي
الهند جماعة اذ اركبوا نفوسهم لقتل شخص مات ثم ان شق صدره في الوقت لا يوجد قلبه بل
اتزعه من صدره بالهمة والعزم وقوة النفس ويجربون بالزمان فيجمعون عليه همهم فلا يوجد
فيه حبة وخواص النفس كثيرة انتهى (قوله من السيميا) وهي عبارة عما تركب من خواص
أرضية كدهن خاص أو كلمات خاصة توجب تخيلات خاصة وادراك الخواص الخس أو بعضها
لحقائق خاصة من المأكولات والمشروبات والمبصرات والماء ووسات والمسموعات وقد يكون لذلك
وجود يخلقه الله اذ ذاك وقد يكون لا حقيقة له بل هي تخيلات (قوله والهيما) هي كالسيما الا
انها تمتاز عنها بالآثار الصادرة عنها تضاف للآثار السماوية من الاتصالات الفلكية وغيرها من أحوال
الأفلاك فتحدث جميع ما تقدم ذكره فخصوا الواحد بالسيما والآخر بالهيما (قوله وخواص
الحقائق من الحيوانات وغيرها) قال ابن حجر في كتابه الاعلام ذكروا انه يؤخذ سبعة أحجار ويرجم
بها كاب شأنه اذ رمى بحجر عضه فاذا رمى بسبعة أحجار وعضها كلها انقطعت بعد ذلك وطرح في ماء
فن شرب منه آثار خاصة يعبر عنها السحرة فهذه تثبت للسحر وایس ما يذكره الأطباء من الخواص
في هذا العالم للنباتات من هذا القبيل ولا شك في الخواص في هذا العالم فمنه ما يعلم كاختصاص النار
بالاحراق ومنه ما يعامه الافراد كالجر المكرم وما يصنع منه الكيمياء ونحو ذلك كما يقال ان في الهند
شجر اذا عمل منه دهن ودهن به انسان لا يقطع فيه الحديد وشجر آخر اذا استخرج منه دهن

والطلسمات والأوقاف والعزائم والاستخدامات فكل هذه الأنواع من السحر وكذلك الشعبة الحاصلة من سرعة اليد فانها نوع منه أيضا فلا تطيل الكلام بتفاصيلها وقد فصلها العلامة ابن حجر أكل تفصيل في كتابه الاعلام ونقل الأقوال الواردة في تكفير متعاطيه ان كان مشقلا على كفر أو شرك وفي تأييده ان لم يكن فأتى بغرائب مسائل ان أردتها فارجع اليه وبالجملة فالمقصود الفرق بينه وبين المعجزة فالسحر يأتي به الساحر وغيره ممن تعلم طريقه وقد يأتي جماعة في وقت واحد و بما يتكافئون أو يفوق بعضهم على بعض كل على حسب علمه في صناعته وأما المعجزة فلا يمكن أحد ان يأتي بمثلها أو يعارضها وتمام أحكام السحر مفصلة في الزواج عن اقتراف السكائر للعلامة ابن حجر المكي هـ. أما كان من المعجزة والسحر وأما الكرامة فهي أمر خارق للعادة تظهر على يد مؤمن صالح ظاهر صلاحه يكرم الله بها من يشاء من عباده الصالحين فبقية المؤمن الصالح يخرج ما يظهر لبعض الفساق والظالمات والكفرة أحيانا استدراجا لهم وبالقيد الثاني تخرج المعونة وهو ما يظهر من

وشرب على صورة خاصة مذكورة عندهم في العمليات استغنى عن الغذاء وأمن من الأمراض والاسقام ولا يموت بشئ من ذلك لو طالت حياته حتى يأتي من يقتله اماموته بالاسباب العادية فلا وخواص النفوس لا شك فيها فليس كل أحد يؤذى بالعين والذين يؤذون بها تختلف أحوالهم فمنهم من يصيد بالعين الطائر من الهواء ويقلع الشجر العظيم من الثرى وآخر انما يصل لتمرير لطيف ومن الناس من طبع على صحة الحزر ولا يخطئ غالبا ثم تجد واحدا له خاصية في علم الكشف وآخر في علم الرمل وآخر في علم النجم ومن خواص النفوس ما يقتل انتهى (قوله والطلسمات) وهي نقش أسماء خاصة لها تعلق بالأفلاك والكواكب على زعم أهل هذا العلم في أجسام من المعادن أو غيرها فلا بد في الطلسم من هذه الأسماء المخصوصة وتعلقها ببعض أجزاء الفلك وجعلها في جسم من الأجسام ولا بد مع ذلك من قوة نفس صالحة لهذه الأعمال فليس كل النفوس مجبولة على ذلك (قوله والأوقاف) وهي ترجع الى مناسبات الأعداد وجعلها على شكل مخصوص وهذا كان يكون شكل من تسع بيوت مبالغ العددين من كل جهة خمسة عشر هو تيسير العسير وإخراج المسجون ووضع الجنين ومنه كل ما هو من هذا المعنى وضابطه بطرزهج واح وكان الغزالي يعتنى به كثيرا حتى نسب اليه والذي نقله ابن حجر عن القرافي فيه زيادة قوله والرقى بعد قوله والأوقاف وهي ألفاظ خاصة يحدث عندها الشفاء من الاسقام والادواء والاسباب المهلكة ولا يقال لفظ الرقى على ما يحدث ضررا بل ذلك يقال له السحر وهذه الألفاظ منها مشروع كالفاتحة وغير مشروع كرقى الجاهلية والهندور بما كان كفرافته مالكا رحمه الله عن الرقى بالمجمية (قوله استدراجا لهم) أي مكرابهم في الدنيا وعقوبة لهم في العقب كما قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعاينون أي

عوام المسلمين عند اضطرابهم تخلصا لهم من الحزن والمكاره والفرق بين الكرامة والمجزة مقارنة
 التحدى ودعوى النبوة وبانها اذا ظهرت على يد أحد من الأمة تكون من مجزة نبيه وقد أنكر
 الكرامة المعتزلة وأثبتها أهل السنة والجماعة إلا بعض المالكية فقد أنكروها سدا للذريعة المتوصل
 بها إلى كل باطل بالحقيقة وذلك قياس مذهب الامام مالك القائل بسد الذرائع لئلا تكون وسيلة إلى تاله
 من أكرم بها وتشتبه بغيرها فتشتعل على العوام نيران ضررها فانا نجد العوام بل الخواص يرون ان
 كل خارق للعادة كرامة وكل من ظهرت منه فهو ولي مطاع لا يعصى ولو بمعصية الله تعالى فبذلك نشأت
 الفتن في الدين وضعف في الله الميقين فتراهم بمجرد اعتقادهم فيه انه ولي وان كان عدوا وقدر جوامه
 غفران الذنوب وستر العيوب ووافقوه في كل ما يريدون كانت في موافقته مخالفة الله تعالى ولم يعلموا
 ان الشيطان قد نصب لنا العداوات بنصب حبال التوهمات ومراده تحكيم هذا الاعتقاد الفاسد فيهم
 ليستغيثوا بهم اذا وقعوا في الشدائد دور بما ان ابليس يريد بهم النجاح مطاوعهم ويحسن لهم بما يقدر
 عليه استغاثتهم بهم وهذا المعتقد المسكين لا يدري كيف يتلاعب به الشيطان واذانها أحد أجابه
 بسوء القول مثل انك لا تعتقد ولا تحب أهل الكرامات وما درى هذا الفقير الجاهل ان كل ذلك
 من تليس ابليس ليصده عن الهدى ويلقيه في النى والضلال والحاصل ان ههنا كرامات تختص
 بالأولياء وأحوال الشيطانية تظهر على يد الاشقياء فالخوارق التي للأولياء تظهر بما يحب الله تعالى
 وتكون مسببة عن كمال الايمان وفرط التقوى والاحسان والأحوال الشيطانية تحصل باتباع
 الجن والشياطين كما ظهرت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لابن صياد وعلم انه من جنس الكهان
 الذين يكون لأحد هم قرين من الجن يخبره بكثير من الغيبات مما يسترقه من السمع مع خلط الصديق
 والكتاب وبعده كالمتمنبئين الذين ادعوا النبوة وغيرهم ممن كان لهم قرناء من الجن كالخارث
 الدمشقي وأمثاله فمن لم ينظر بنور الله ووافق هو واد وحسن له ابليس الامر وأغواه انقاد لمثل هذه

نستدنيهم وتستقر بهم إلى العقوبة والنقمة ليتوهموا ان ذلك تقرب من الله واحسان وانما هو
 تبعيد وخذلان ففي الحديث اذا رأيت الله يعطى العبد ما يحب من النعمة وهو مقيم على المعصية فان
 ذلك منه استدراج ثم تلا هذه الآية فاما انساوا ما ذكرناه فتحننا عليهم أبواب كل شيء أى من النعم حتى
 اذا فرحوا بما آتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون أى متحIRON آيسون لان العقوبة اذا كانت
 مخباة في النعمة تكون أشد في الصعوبة فتكون كثرة نعمهم الصورية موجبة لشدة نقمهم
 الآخروية (قوله من الجن) والمكاره (قوله تكون من مجزة نبيه) فان كرامة التابع
 كرامة المتبوع (قوله لابن صياد) وظن بعض الصحابة انه الدجال وتوقف النبي صلى الله عليه
 وسلم في أمره حتى تبين له انه ليس الدجال وعلم الخ (قوله كالخارث الدمشقي الخ) الذي خرج

الخرافات وربما ضل بما يحسب ان فيه هداية فيستغيث به ويتوكل عليه ويندبه عند الكرب
والشدائد ويقول نذبت شيخي فلانا فخلصني واذا جاءه ابليس ببعض التوبيعات وقال له بعد ذلك
يقول لك فلان لا تصلي أطاعه وما عساه فان الله والامر كله لله واعلم ان المحققين من أهل المعرفة
واليقين على ان الكرامة لا تحصل للولي غالب الا في البدايات أما اذا كمل يقينه فلان تأتيه لما انها التقوية
في اليقين والرسوخ في الدين ولهذا كانت الخوارق في التابعين أكثر منها في الصحابة الربانيين قال
في بحر الأفكار وطريق ضبط الخوارق ان يقال ان الخارق للعادة اما ان يكون مقرونا بالايمن
والعمل الصالح أو لا فان كان الاول فلا يخالو اما ان يكون مقرونا بكمال العرفان والطاعة حسب
الامكان أو لا الثاني المعونة والاول اما ان يكون مقرونا بدعوى النبوة أو لا الاول المعجزة والثاني
الكرامة والخارق قبل النبوة ارهاص واذا كان الخارق غير مقرون بالايمن والعمل الصالح فلا
يخالو اما ان يكون مقرونا بمباشرة أعمال مخصوصة يجري فيها التعلم والتأمل أو لا فالاول السحر
والثاني اما ان يكون موافقا لدعوى أو لا فالاول الاستدراج والثاني الاهانة انتهى هذا ما كان
من بيان الفرق بحسب ما ذكره وبقيت أشياء من أعمال الجاهلية كالكهانة والعرافة والطيرة

بالشام في زمن عبد الملك بن مروان وادعى النبوة وكان شيطانه يخرج رجلاه من القيد ويمنع
السلاح ان ينفذ فيه وكان يرى الناس أشخا صار كنانا في الهواء ويقول هي الملائكة وانما هي الجن
والشياطين فلما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه رجل بالرح فلم ينفذ فيه الرمح فقال له عبد
الملك انت لم تسم الله تعالى فسمى الله فطعنه فقتله وقوله وأمثاله كسيامة الكذاب الذي كان
معه من الجن من يخبره عن الخفيات ويعينه على بعض الحاجات وكالا سود العنسي الذي ادعى النبوة
وكان له من الجن من يخبره ببعض الامور الغائبة فلما قابله المسلمون ليقتلوه توهموا من الشياطين ان
يخبروه بما يقولون فيه حتى أعانت عليه امرأته حين تبين لها كفره فقتلوه وقد يكون خرق العادة
اهانة بان يقع على خلاف الارادة كما نقل ان مسيامة الكذاب دعالا عوران تصير عينه العورة
سليمة فصارت عينه الصحيحة عورا عقيمة (قوله لما انها التقوية في اليقين والرسوخ في الدين)
حتى ان كبير من الصالحين عرض عنها ويستغفر الله ويتوب اليه كما يستغفر من الذنوب ويتوب عنها
وقد كان تعرض على بعضهم فيسأل زوالها والمشايخ كلهم كانوا ينفرون المرادين السالكين غاية
التنفير من الميل اليها فان السالك القاصد لرؤية الاشياء وحصول الخوارق واقع في شبكة الشيطان
فاللزام له ان يخلص نفسه من الميل اليها اذ لا طائل تحتها بل اذا وقعت منه يخاف عليه من الاستدراج
ولذا قال بعض السكار اذا دخل سالك في بستان وقالت طيور أشجار ذلك البستان بألسنة فصيحة
السلام عليك يا ولي الله فان لم يتفطن انه مكر به والا فخط من حيث لا يشعر وهذا التنفير من المشايخ

والطرق والتنجيم والعيافة فهذه كلها كانت من أعمالهم فاما الكهانة فهي الأخبار عن المغيبات في مستقبل الزمان وادعاء علم الغيب وزعم ان الجن تخبره بذلك واما العراف فهو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدّمات أسباب يستدل بها على مواقعها واما الطيرة فقد تقدم ذكرها واما الطرق بفتح الطاء وسكون الراء فهو عبارة عن زجر الطير فان تيامن تيمن أو أيسر تشاءم ومنه الضرب بالحصى وهو نوع من التكهن واما علم النجوم فالله سبحانه ما يدعيه أهله من معرفة حوادث في مستقبل الزمان يزعمون انهم يدركونها بسير الكواكب وهذا دخول في علم الغيب ففي البعض يكون فسقا

عند ظنهم انها كرامات فكيف اذا تعين كونها من الجن والشياطين والكرامة الحقيقية عند كبار الصوفية هي حصول الاستقامة والوصول الى كمالها فالواجب على العبد ان لا يحرص الاعليها ولا يكون له همه الا في الوصول اليها واما الكرامة بمعنى ظهور الخارق فلا يحتاج اليها الا من كان ضعيف اليقين فاذا حصل له شيء منها يقوى يقينه واما من كان كامل اليقين فلا يلتفت اليها لاستغنائه عنها ولذا كانت الخوارق الخ (قوله فاما الكهانة الخ) روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الامر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم (قوله وهذا دخول في علم الغيب الخ) قال شارح العقيدة الطحاوية الواجب على ولي الامر وكل قادر ان يسعى في ازالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصا والقرع والقلات ومنعهم من الجلوس في الخوانيت والطرقات أو ان يدخلوا على الناس في منازلهم لذلك ويكفي من يعلم تحريم ذلك ولا يسعى في ازالته مع قدرته على ذلك قوله تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يصنعون وهؤلاء الذين يفعلون الافعال الخارجة عن الكتاب والسنة أنواع نوع منهم أهل تلييس وكذب وخداع وهم الذين يظهر أحدهم طاعة الجن له أو يدعي الحال من أهل الحال من المشايخ النصابين والفقراء الكذابين المحتالين هؤلاء يستحقون العقوبة البايغة التي ترد عليهم وأمثالهم عن الكذب والتلييس وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل كن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات ويطالب تغيير شيء من الشريعة ونحو ذلك ونوع يتكلم بمثل هذه الأمور على سبيل الجد والحقيقة بأنواع السحر ثم ذكر تفسير السحر وما يترتب على الساحر من الأحكام ثم قال ونوع منهم لهم خبرة بالأحوال الشيطانية والكشوف بالرياضات النفسانية ومخاطبة رجال الغيب وان لهم خوارق تقضي انهم أولياء الله وكان من هؤلاء من يعين المشركين على المسامنين ويقول ان الرسول أمره بقتال المسامنين مع المشركين لكون المسلمين قد عصوا وهؤلاء في الحقيقة اخوان المشركين ثم ذكر اختلاف أهل العلم في حق رجال الغيب الى ان قال

وفي آخر يكون ككفر او العرافة نوع من الكهانة وكذلك العيافة وبالجملة ففي كل ذلك اخبار عن مستقبل ر بما يصادف الواقع وهي اما كفر أو تؤدي اليه على تفصيل في جميعها وبقى من الأمور الخارقة ما يخبر به أهل الرياضات من الكفرة وغيرهم فلو أخبرنا أحد خبرا خارقا للعادة لم نحكم بما صدر منه ان يكون كرامة اذ كثير ما تقع مثل هذه الأحوال من الكفرة المشركين وهم أبعد الناس عنها وسبب وقوعها منهم ان الله تعالى قد أجرى العادة بوقوع مسببات عند مباشرة أسبابها وان الله سبحانه يخلفها عندها كما يخلق الري عند الشرب ومثل ذلك لا يدل على كرامة من صدرت منه فلا بد لكل مسلم ان يحترس لمثل هذه الفروق ليعلم الصادق من الكاذب والمسلم من الكافر فان رأى خارقا على يد رجل صالح قد ظهر صلاحه فليصحبه على وجهه ان يقتدى به وليطلب منه الدعاء ولا يقصر نظره عليه كما هو حال عوامنا فيرجوه ويخشاه وور بما يختار صحبتته على كل طاعة لله كأنه قد أمر بطاعته في كل ما يريد وحاشا هذا الصالح ان يامر به الا بما فيه طاعة مولاه وور بما يقدم طاعته على عبادة الله هذا ما عليه أهل هذا الزمان مع ان اللائق بصحبة الصالحين الأخيار السالكين في مسالكهم والاقتباس من أنوار معارفهم المأخوذ كل ذلك من علوم الشريعة الغراء الموزون بميزان الملة المحمدية البيضاء المقصود من هذا الباب تمييز المجزة التي هي الآية الكبرى على تصديق الرسل الموجب للإيمان بجميعهم فيما أمروا به أو نهوا عنه ليسكون جمل نظره التسبع لأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم فيجري في منهاجهم ويقتبس من سراجهم فتسكون عبادته على صرف الاتباع غير مدمنة بالزيغ والابتداع فقهنا الله في الدين ورزقنا اتباع سنة سيد المرسلين آمين

﴿الباب العاشر في بيان الايمان بالرسل الكرام عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام﴾

و بيان ما يجب ويمتنع عليهم وما يجوز

اعلم انه يجب الايمان بالرسل جميعهم بكونهم صادقين في جميع ما أخبروا به عن الله تعالى وانه سبحانه

والحق ان رجال الغيب هم الجن ويسمونه رجالا كما قال تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ثم قال ومن ظن انهم من الانس فن غلطه وجهله وسبب الضلال فيهم واقتراق الناس فيهم عدم الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان الى آخر ما قال (قوله والعرافة نوع من الكهانة) قال البغوي العراف الذي يدعى معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك وقيل هو الكاهن (قوله ما يخبر به أهل الرياضات من الكفرة وغيرهم) المدعاة بالفراسة الرياضية وهي التي تحصل بالجوع والسهر والتخلي فان النفس اذا تجردت عن العوائق والعلائق بالخلائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر ولا تدل على الايمان ولا على ولاية ولا عن خلق نافع ولا عن

بعثهم الى عبادته ليبلغوهم أمره ونهييه ووعدده ووعيده وأيدهم بالمعجزات الباهرات والآيات
البيّنات فمن ثبت تعيينه وجب الايمان به تفصيلا ومن لم يثبت تعيينه وجب الايمان به اجمالا والاولى
عدم التعرض لعدمهم وان وردت في ذلك أحاديث كثيرة ولكنها لا تخاو عموما يوجب الضعف في
الاسناد القاصر عن نيل المراد فمن ذلك ما رواه الطبراني عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله من أول
الأنبياء قال آدم قلت نبي كان نبي مكلم وفي سنده ابن لهيعة مختلف فيه ورواه أحمد في مسنده لكن
بسند ضعيف وفي رواية للطبراني عن أبي ذر بهذا السند قال قلت يا رسول الله أرايت آدم نبي كان قال
نعم كان نبي رسول الله قى لا قال له يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وأخرج أبوداود الطيالسي عنه
أيضا ولفظه قلت فأي الأنبياء كان أول يا رسول الله قال آدم قلت أو نبي كان قال نعم مكلم قلت كم كان
المرسلون يا رسول الله قال ثلثائة وخمسة عشر جاعفيرا وأخرج أبو يعلى وابن راهويه ومحمد بن يحيى
ابن أبي عمرو في مسنده وفيه ان الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وان الرسل خمسة عشر

طريق مستقيم (قوله بعثهم) البعثة لطف من الله تعالى ورحمة للعالمين لما فيها من حكم ومصالح
لا تحصى منها معاضدة العقل فيما يستقل بعرفته مثل وجود الباري وعامه وقدرته لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل ومنها استفادته الحكمة من النبي صلى الله عليه وسلم فيما لا يستقل به العقل
مثل الكلام والرؤية والمعاد الجسماني ومنها بيان حال الأفعال التي تحسن تارة وتقبح أخرى عن غير
اهتداء العقل الى مواقعها ومنها بيان منافع الأغذية والأدوية ومضارها التي لا تنفي بها التجربة
الابعد أدوار وأطوار مع ما فيها من الأخطار ومنها اكتميل النفوس البشرية بحسب استعداداتهم
المختلفة في العاميات والعمليات ومنها الأخبار بتفاصيل ثواب المطيع وعقاب العاصي ترغيبا في
الحسنات وتحذيرا عن السيئات الى غير ذلك من الفوائد ولهذا قالت المعتزلة بوجوبها على الله تعالى
والفلاسفة بازومها في حفظ نظام العالم (قوله ووعدده) بنعيمه المقيم (قوله ووعيده) بنار
الجحيم (قوله الباهرات) أي الغالبات يقال بهر القمر الكواكب أي غلب ضوءه ضوءهم
ويقال بهرت فلانة النساء أي غلبتهن في الحسن قاله في الصحاح (قوله وفي سنده ابن لهيعة الخ)
هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عقبة بن لهيعة الحضرمي قاضي مصر الحافظ وهو مختلف فيه قال
أحمد بن صالح المصري كان ابن لهيعة صحيح الكتاب طلبة للعلم وقال زيد بن الحباب سمعت سفيان
الثوري يقول عن ابن لهيعة الأصول وعندنا الفروع وقال أحمد بن حنبل من كان بمصر مثل ابن
لهيعة في كثرة حديثه وضبطه واتقانه وقال ابن معين ليس بذلك القوى وقال السيوطي في حسن
المحاضرة عنه وثقه أحمد وغيره وضعفه يحيى القطان وغيره انتهى (قوله وفيه ان الأنبياء مائة ألف
وأربعة وعشرون ألفا) والصحيح كما قال ابن حجر ان حديث كون الأنبياء مائة ألف وأربعة

وثلاثمائة وإن آدم أو لهم فقد استفيد من هذه الأحاديث رسالة آدم وتعدد الرسل والأنبياء لكن لم
كانت هذه الأحاديث لا تخلوا أسانيدها عن ضعف واختلاف في رسالة آدم ولم يطاق العدد عليهم أحد
من العلماء على ما عادت وكما يجب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل بذواتهم يجب أيضا الإيمان بأنهم
أرسلهم الله لهداية خلقه وتكميل معاشهم ومعادهم وأنهم بلغوا رسالة ربهم وبينوا للمسكفين
مأمر وأمره وأنه يجب احترام جميعهم لا نفرق بين أحد منهم في الإيمان بهم وأنه تعالى نزههم عن
كل وصمة ونقص فهم معصون عن الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها على المختار ووقع في
قصص يذكرها بعض المفسرين لا يلتفت إليه وما جاء في القرآن من إثبات العصيان لآدم ومن

وعشرين ألفا وحديث كون الرسل ثلاثمائة وخمسة عشر صحيحان فاعلمه ولا تغتر بذلك ابن الجوزي
له في الموضوعات (قوله وإن آدم أو لهم) والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وهم آدم
وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم واسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف ولوط وموسى
وهرون وشعيب وزكريا ويحيى وعيسى وداود وسليمان والياس واليسع وذوالكفل وأيوب
ويونس ومحمد وذوالقرنين وعزير ولقمان على القول بنبوة هذه الثلاثة الأخيرة صلوات الله عليهم
وسلامه أجمعين (قوله رسالة آدم) أرسله الله لتكميل أولاده وتعليمهم الشرائع وما جاء في
الحديث من قول الناس أنوح وأنت أول الرسل فالمراد أو لهم للدعاء للتوحيد (قوله والرسل) من
عطف الخاص لأن من أوحى الله إليه أن أمره بان يبلغ غيره فهو نبي رسول وإن لم يأمره بتبليغ غيره
فهو نبي وليس برسول فالرسول أخص من النبي لأن الرسالة أعم من جهة نفسها والنبوة جزء من
الرسالة إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها فالرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها (قوله
معصومون) العصمة عند أهل السنة بناء على ما تقتضيه أصولهم من استناد الأشياء كلها إلى الفاعل
المختار ابتداء هي أن لا يخلق الله فيهم ذنبا وعند الفلاسفة بناء على ما ذهبوا إليه من القول بالاجاب
واعتبار استبعاد القوابل هي ملكة تمنع الفجور وتحصل هذه الصفة النفسانية ابتداء بالعلم بمطالب
المعاصي ومناقب الطاعات وتبدأ كد بتتابع الوحي بالأوامر والنواهي والأعراض عما يصدر منهم
من الصغائر وترك الأولى فإن الصفات النفسانية تكون في ابتداء حصولها أحوالا ثم تصير ملكات
بالتمرين وقال قوم هي خاصية في نفس الشخص أوفى بدنه يمتنع بسببها صدور الذنب قال في المواقف
ويكذب هذا القول أنه لو كان صدور الذنب ممتنع لما استحق المدح بتركه الذنوب وأيضا فالاجماع
منعقد على أنهم مكافون بترك الذنوب مثابون به ولو كان الذنب ممتنع عنهم لما كان الأمر كذلك
وأيا فقولاه قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي يدل على مماثلة لهم لسائر الناس مما يرجع إلى البشرية
والامتياز بالوحي انتهى (قوله والكبائر) بجميع أنواعها

معاقبة جماعة منهم على أمور فعلوها فأتاهم من باب أن للسيد أن يخاطب عبده بما شاء وإن يعاتبه على خلاف الأولى معاقبة غيره على المعصية كما قيل إن حسنات الأبرار سيئات المقربين ولا خلاف بين العلماء في عصمتهم عن تعدد الكبائر وإنما الخلاف في أن عصمتهم عن ذلك بدليل السمع أو بدليل العقل فالأول مذهب أهل السنة والثاني قول المعتزلة وأما وقوع الصغائر بخوزه البعض والمحققون من المحدثين لم يجوزوا الا وقوع الصغائر سهواً وأما الكبائر مطلقاً والصغائر عمداً فلا وعلى ذلك الكثير ويجب الإيمان بعموم رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس وهو من خواصه وعموم بعثة نوح بعد الطوفان لم تكن في أصل البعثة بل لما حدث من الانحصار فلو ادعى مدعى عموم بعثته قبل الغرق متمسكاً بأن الله قد أغرق بالطوفان جميع أهل الأرض إلا نوحاً ومن معه وقد قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فكيف عذب أهل الأرض بالأغراق دون أن يبعث إليهم رسولا إذا لم يكن نوح مرسل إليهم قلنا الجواب أولاً أن المراد نفي عذاب الآخرة وإن سلم إرادة نفي عذاب الدنيا أيضاً فالمراد نفي العذاب قبل الإرسال الذي تقوم به الحجّة عليهم وإن لم يكن إرسال إليهم

(قوله وإن يعاتبه على خلاف الأولى إلخ) فتسميته خلاف الأولى ذنباً في مثل قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك والاعتراف بكونه ظاهراً كما في قصة آدم لعلة لعظمه عنهم أو عندهم لما نقل من أن حسنات الأبرار سيئات المقربين أو قصدوا به هضم أنفسهم وكسر أهلها بانها ارتكبت ذنباً تحتاج فيه إلى الاستغفار والاعتراف به على سبيل الإتهال والتفريط كي يعفو عنها ربها وأما ما جاء في الأحاديث والآثار فكان منقولاً منها بالآحاد وجب ردها لأن نسبة الخطأ إلى الرواة أهون من نسبة المعاصي إلى الأنبياء وما ثبت منها تواتراً فإدراكه محل آخر حملاً عليه ونصرفه عن ظاهره لئلا تلحق العصمة وما لم نجد له محيصاً حملناه على أنه كان من قبيل ترك الأولى أو من صغائر صدرت منهم سهواً (قوله والثاني قول المعتزلة) بناء على أصولهم الفاسدة في التحسين والتفويض العقليين ووجوب رعاية الصلاح والأصلح لأن صدور الكبائر عنهم عمداً يوجب سقوط هيبتهم في القلوب والخطا يرتبهم في أعين الناس فيؤدي إلى النفرة عنهم وعن الانقياد لهم ويلزم منه إفساد الخلاق وترك استصلاحهم وهو خلاف مقتضى العقل والحكمة (قوله سهواً) إلا الصغائر الخسيسة وهي ما يلحق فاعلها بالارذال والسفلى والحكم بالحسنة ودناءة الهمة كسرقة حبة أو لقمة فانها لا تجوز أصلاً لا عمداً ولا سهواً (قوله مطلقاً) أي عمداً أو سهواً (قوله والصغائر عمداً فلا) وهو المختار (قوله وعلى ذلك كثير) من المحدثين والأشاعرة وغيرهم (قوله إلى جميع الناس) وإلى الجن أيضاً (قوله وعموم بعثة نوح) جواب سؤال مقدر (قوله بالطوفان) أي طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سبيل ونحوه

بل الرسول اذا بلغ قومه عن الله بدعائه اياهم الى توحيدهم وعبادته انهم من تبليغه اياهم حجة على جميع من وصل اليه انه بلغ قومه ذلك وان المعجزة دلت على صدقه اذ لا فرق في ذلك بين انسان وانسان لكل منهم ما عقل يهتدى به والذاعم الاغراق قوم نوح وغيرهم ممن بلغته الدعوة لانه لبث في قومه يدعوهم الى الله ألف سنة الا خمسين عاما ثم ان معجزة نبينا الكبرى القرآن العظيم وهو باق دال

(قوله انه بلغ ذلك) لان اعلام الانبياء باهرة للعقول فكما لا يعذر من شاهد ها ولم يؤمن وزعم انه يستدل كذلك من سمع خبرها بالبلاغ المطبق الذي لا يحقل الكذب كما ذكر ذلك العلماء (قوله) وان المعجزة دلت على صدقه والمراد من الدلالة الدلالة العادية لا العقلية ولا السمعية قال في شرح للواقف وهذه الدلالة ليست عقلية محضة كدلالة العقل على وجود الفاعل ودلالة احكامه واتقانه على كونه عالم المصدر عنه فان الأدلة العقلية ترتبط بنفسها بحدولها ولا يجوز تقديرها غير دالة عليها وليست المعجزة كذلك فان خوارق العادات كنفطار السموات وانتشار الكواكب وتد كدك الجبال يقع عند تصرف الدنيا وقيام الساعة ولا ارسال في ذلك الوقت وكذلك تظهر الكرامات على أيدي الأولياء من غير دلالة على صدق مدعى النبوة ولا دلالة سمعية لتوقفها على صدق النبي فيدور بل هي دلالة عادية كما أشار اليه بقوله وهي عندنا اجراء الله تعالى عادته بخلق العلم بالصدق عقبيه أي عقيب ظهور المعجزة فان اظهار المعجزة على يد الكاذب وان كان ممكنا عقلا فعلاوم انتفاؤه فلا تكون دلالة عليه عقلية لتخلف الصدق عنه في الكاذب بل عادية كسائر العاديات لأن من قال أنا نبي ثم تنق الجبل وأوقفه على رؤسهم وقال ان كذبتموني وقع عليكم وان صدقتموني انصرف عنكم فكما هموا بتصديقه بعد عنهم واذا هموا بتكذيبه قرب منهم علم بالضرورة انه صادق في دعواه والعادة قاضية بامتناع ذلك من الكاذب مع كونه ممكنا عنه امكانا عقليا شمول قدرته تعالى للمكاتب بأسرها انتهى (قوله ألف سنة الخ) كما قال تعالى فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما (قوله القرآن العظيم الخ) وقد اختلف في وجه اعجازه اختلافا كثيرا ولنفقصر على ما قاله القاضي عياض في الشفاء قال اعلم ان القرآن منطوع على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه أولها حسن تأليفه والتسام كلفه وفصاحته ووجوه اعجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن والثاني صورة نظامه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ثم قال وكل من هذين النوعين الاعجاز والبلاغة بذاتها والأسلوب الغريب بذاته نوع اعجازه على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما ثم قال الثالث ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات وما لم يكن فوجد كما ورد الرابع ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البادية والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا القدر من أخبار

على صدقه على سرور الدهور وكر العصور والذي وجب على الرسل التبليغ وقد بلغوا كما وجب
عليهم وان نبينا صلى الله عليه وسلم كان كمنذر جيش يقول صبحكم مساكم ولم يزل يجتهد في التبليغ
الى جميع الناس فاسل رساله الى الملوك قاطبة وهو صلى الله عليه وسلم مثابر على مر صاقر به حتى انه
لما حج جمع الناس فقال للناس هل بلغت قالوا نعم فقال اللهم اشهد يقول ذلك ثلاثا ويستحيل عليهم
الكذب والالام يكونوا أمناء وحيه سبحانه وقد علم الله سبحانه منهم الصدق والامانة فاختارهم
لتبليغ رسالته وحفظ امانته وامرنا بالاقتداء بهم في اقوالهم وافعالهم ومن المعلوم ان علمه تعالى
محيط بما لا نهاية له فلزم ان تصديقه تعالى لهم مطابق لما علمه منهم وان جميع اقوالهم وافعالهم على
وفق ما يختاره سبحانه ويرضاه لكن تجوز الاعراض البشرية عليهم ولا يقدح ذلك في نبوتهم
وعالوم منزلتهم عند الله بل تزيدها علوا وقد ران الذي ثبت لهم هو الرسالة لا الالهية وفي حصول
الاعراض لهم وطروها عليهم ورفع لدرجاتهم ايضا من غير قدح في رسالتهم اذ لا يخل شيء من الاعراض
البشرية بمنصبتهم ولا يمتنع في حقهم الاما يقدر في ثبوت الرسالة وليس في ذلك الامضاء علة الاجور
وفيها ايضا اعظم دليل على صدقهم عليهم الصلاة والسلام وانهم مبعوثون من عند الله سبحانه وتعالى
وان تلك الخوارق التي ظهرت على ايديهم هي بمحض خلق الله تعالى تصديقهم عليهم الصلاة
والسلام اذ لو كان لهم قوة على اختراعها لدفعوا عن انفسهم ما هو ايسر منها من الأمراض والجوع
والحر والبرد وغير ذلك مما سلم منه كثير من لم يتصف بالنبوة وفيه ايضا فرق بضعة عفاء العقول لئلا

أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على انضه
وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب قال فهذه الوجوه الأربع من اعجازه بينة لا نزاع فيها ثم قال ومن وجوه
اعجازه كونه آية باقية لا تعد ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه ومنها ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمججه
الى آخر ما قال (قوله وكر العصور) فلا يمر عصر من الاعصار الا ويظهر فيه مما أخبر به من
الغيبات انه سيكون ويدل على صحة دعواه (قوله يقول) صفة منذر أو حال منه أو استئناف بياني
(قوله كمنذر جيش) من الانذار أي معلم الجيش بعدد له كمين (قوله صبحكم مساكم) أي
العدو والافعال بتشديد العين للمبالغة (قوله والالام يكونوا أمناء وحيه) لانهم أرسلوا ليعلموا
الخلق باقوالهم وافعالهم فيلزم ان لا يكون في جميعها مخالفة لامر الله تعالى الذي اختارهم على جميع
خلقه وامرهم على سر وحيه (قوله وحفظ امانته) فيستحيل ان يكونوا في نفس الامر على
خلاف ما علمه الله تعالى منهم (قوله وافعالهم) فانهم لو خانوا بفعل محرم أو مكروه لا تقلب المحرم
والمكروه طاعة في حقهم لان الله أمرنا بالاقتداء بهم والله تعالى لا يأمر بمحرم ولا مكروه (قوله
علوا وقدرنا) باعتبار عظم اجرهم

يعتقدوا فيهم الألوهية بما يرون لهم من الخوارق والخواص التي خصهم الله بها ولهذا ارد الله سبحانه
على النصارى قولهم بالوهمية عيسى وأمه بافتقارهما الى الاعراض البشرية من أكل الطعام وغيره
هذا واعلم انه قد علم من دين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم الذين هم حجة دين الله الاسلام اليانا
ضرورة اتباعه صلى الله عليه وسلم من غير توافف ولا تعالم ولا انظر أصلا في جميع أقواله وأفعاله
الا ما قام دليل على اختصاصه به وكانوا يتبعون أحواله صلى الله عليه وسلم في جاسون اذا جاس
ويخلعون جميع نعالم اذا خلع الى غير ذلك من الأحوال والأقوال والأفعال وكانوا أيضا يبحثون
عن هيئة جلوسه وكيفية أكله وغير ذلك حتى ان بعض السلف الصالح ترك أكل البطيخ لانه لم يبلغه
كيفية أكله صلى الله عليه وسلم له ولقد أدار ابن عمر رضي الله تعالى عنهما راحلته في مكان فاهما سئل
أجاب بأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم أدار راحلته فيه ومن ذلك الاتباع أيضا قول عمر رضي الله
عنه للحجر الاسود لقد دعمت انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقبلك ما قبلتك وبالجلة فمن تتبع أحوال الصحابة والتابعين وجد هم أحرص الناس على اتباع
النبي صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله والحق ان أفعال الرسل دائرة بين الايجاب والندب لا غير لان
المباح لا يقع منهم عليهم الصلاة والسلام بمقتضى الشهوة فقط كما يقع من غيرهم بل لا يقع منهم الا
مباحا لنية يصير بها قربة وأقل ذلك ان يقصدوا التشرية وذلك من قربة التعليم والمؤمن لو نوى
بمباحاته جميعها مثل ذلك من النيات انقلبت طاعات كما اذا نوى بنومه وأكله وشربه التقوى على

(قوله من أكل الطعام وغيره) كما قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم
الى قوله ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام
وفيه أيضا فائدة عظيمة وهي تشريع الاحكام للخلق المتعلقة بها كما عرف احكام السهو في
الصلاة من سهوه عليه الصلاة والسلام وكيفية أداء الصلاة في حال المرض والخوف من فعله
صلى الله عليه وسلم وهيئة أكل الطعام وشرب الماء من أكله وشربه صلى الله عليه وسلم (قوله
اذا خلع) وينزعون خواتمهم اذا نزع وكاد يقتل بعضهم بعضا من شدة الازدحام عند ما رأى صلى
الله عليه وسلم يحلق رأسه وحل من عمرته في قضية الحديبية (قوله حتى ان بعض السلف الصالح)
قال السنوسي وأخذه أحمد بن حنبل رحمه الله وقوله لانه لما قيل له في ذلك قال يمنعني من أكله
انه لم يثبت عندي كيف أكله النبي صلى الله عليه وسلم (قوله فيه) وكذلك مناساته السائل
عن صبغه بالصغرة ولبسه النعال السبتية وكونه لا يحرم اذا هل هلال ذي الحجة وانما يحرم في يوم
التروية وكونه انما يلبس الركبتين اليمانيين فاجابه بأنه استند في ذلك كاه لفعاله صلى الله عليه وسلم
(قوله من قربة التعليم) وناهيك بمزاولة قربة التعليم وفضلها

طاعة الله سبحانه وتعالى فإنه يكون عبادة فكيف يسيد المرسلين الذي فاق بالقيام بحقوق العبودية
 لما اختارها على الملك على جميع البرية وقد ثبت أنه تفطرت قدماه من كثرة قيامه لمولاه مع ما حباه
 وأولاه واعلم أيضاً أنه وإن جاز لحوق الأمراض بهم فليس لا تتعدى أبدانهم الشريفة إلى قلوبهم
 باعتبار ما فيها من المعارف فلا يحل المرض بشئ منها ولا يكدر عاينها صفوها ولا يوجب لهم ضجراً ولا
 ضعفاً لقواهم الباطنة وكذلك النوم والجوع لا يستوليان على قلوبهم ولهذا كانت تنام أعينهم ولا
 تنام قلوبهم وكان ينهى غيره عن الوصال في الصوم مع أنه كان يفعله مع لاله باني أنت كاحكم أن ربي
 يطعمني ويسقيني وفائدة أصابة ظواهرهم بالأمراض ما مر ذكره من تعظيم أجورهم والله قادر على
 أن يوصل ذلك إليهم من غير ذلك لكنه سبحانه اختار ذلك لحكمة لو لم يكن منها إلا ما مر ذكره
 من زيادة تصديقهم والرفق بضعفاء العقول من تابعيهم لكفى وفي ذلك أيضاً التشريع للامة ليكونوا
 لهم قدوة فلا يضجروا عند نزول الحوادث وليصبروا كما صبر من هو أفضل وأعلى منهم وليعلموا مقدار
 الدنيا فلو كانت عند الله سبحانه تساوى أدنى شيء لأفاضها على حبيبه وخاصة من أنبيائه وأوليائه
 وإذا نظر العاقل بعين بصيرته إلى ما كان عليه الأنبياء والمرسلون من انحرافهم عن الدنيا وأخذهم
 قدر الباقية منها وكيف كان صلى الله عليه وسلم في مأكله وملبسه وجميع أحواله علم يقيناً أن لا قدر لها
 عند الله سبحانه وإنما يجنب ما أعتد الله لعباده من النعيم المقيم كالآثار عند الأزهار أو كالخيفة في
 شاطئ الأنهار ومن ينظر بنور إيمانه إلى الجنان كيف يطمئن إلى دارهم ومكابدة الآخزان بل يسعى
 كل سعيد في طلب رضاه الموجب لاستدراار فضله الذي يتلقى به كل احسان ويحظى بالجنة
 الأبدية في بحبوحة الجنان رزقنا الله سبحانه رضاه والجنة وأبعد ناعن موجبات سخطه وعن كل
 محنة هادين مهديين غير مبدلين ولا محرفين آمين

﴿الباب الحادي عشر في بيان كيفية حياة الأنبياء والشهداء ومقرأرواحهم المقدسة﴾

وما يتبع ذلك

أخرج أبو يعلى والبيهقي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»

(قوله من المعارف) ولأننا نرى أن لا يعلم قدرها إلا الله تعالى أنى من شعيرهم بها (قوله بشئ منها) ولا
 بقلامه ظفر (قوله لقواهم الباطنة) أصلاً كما هو موجود كذلك في حق غيرهم فالمرض وإن كان
 يقع بهم فحدهم من البدن الظاهر (قوله عن الدنيا) وعن زخرفها الذي غر كثر من الحقاء (قوله
 أو كالخيفة الخ) ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى
 الكافر منها جرعة ماء فينبغي للإنسان أن يكون في الدنيا شبه المسافر المستعجل كما قال صلى الله عليه
 وسلم كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل

وأخرج أحمد ومسلم في صحيحه والنسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مررت ليلة أسري بي على موسى قائما يصلي في قبره قال المناوي لفظ رواية مسلم مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكتيب الأحمر وهو يصلي في قبره أي يدعو ويثني عليه ويدكره فالمراد الصلاة اللغوية وقيل المراد الشرعية وعليه التمرطي فقال الحديث بظاهره يدل على أنه رأى رؤية حقيقية في اليقظة وأنه حي في قبره يصلي الصلاة التي كان يصليها في الحياة وذلك ممكن ولا مانع من ذلك لأنه إلى الآن في الدنيا وهي دار تعبد فان قيل كيف يصاون بعد الموت وليس تلك حالة تكليف قلنا ذلك ليس بحكم التكليف بل بحكم الأكرام لهم والتشريف لانهم حجب لهم في الدنيا الصلاة فلزموها ثم توفوا وهم على ذلك فشر فوا ببقاء ما كانوا يحبونه عليهم فتكون عبادتهم الطهامة كعبادة الملائكة لا تكليفية ويدل عليه خبر يموت المؤمن على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولا تدافع بين هذا وبين رؤيته أياه تلك الليلة في السماء لأن الأنبياء مرأتع ومسارح يتصرفون في شأؤهم يرجعون أولان أرواح الأنبياء بعد مفارقة البدن في الرفيق الأعلى ولها الشراف على البدن وتعلق به يتكئون من التصرف والتقرب بحيث يرد السلام على المسلم وبهذا التعلق رآه يصلي في قبره ورآه في السماء فلا يلزم كون موسى عرج به من قبره ثم رده إليه بل ذلك مقام روحه واستقراره إلى يوم معاد الأرواح كما أن نبينا بالرفيق الأعلى وبدنه في ضريحه يرد السلام على من يسلم عليه ومن مكثف ادراكه وغلظ طبعه عن ادراك هذا فإينظر إلى السماء في علوها وتعلقها وتأثيرها في الأرض وحياة النبات والحيوان وإلى النار كيف تؤثر في الجسم البعيد مع أن الارتباط الذي بين الروح والجسد أقوى وأتم وألطف وأذاتأملت هذه الكلمات علمت أن لا حاجة إلى التكلفات البعيدة التي منها أن هذا كان رؤية مذام أو تمثيل أو اخبار عن وحى لا رؤية عين انتهى وقال الحافظ زين الدين بن رجب في كتاب أهوال القبور قد يكرم الله بعض أهل البرزخ بأعماله الصالحة في البرزخ وإن لم يحصل له بذلك ثواب لا تقطاع عمله بالموت لكن انما يبقى عمله عليه ليتنعم بذكر الله وطاعته كما يتنعم بذلك الملائكة وأهل الجنة في الجنة وإن لم يكن على ذلك ثواب لأن نفس الأكر بالطاعة أعظم نعيما عند أهلها من جميع نعيم أهل الدنيا فاستنعم المتنعمون بمثل ذكر الله انتهى وقد جعل الله الشهداء أحياء عند ربهم يزقون وهم بحسب رؤيتنا يتشعخضون في الدماء ولا مخالفة في ذلك اذ لو كانوا في رؤيتنا كما أخبر الله عنهم لا ترفع الإيمان بالغيب قال السبكي عود الروح إلى الجسد في القبر ثابت في الصحيح لسائر الموتى فضلا عن الشهداء وانما النظر في استقرارها في البدن وفي أن البدن يصير حيا بها كحالته في الدنيا أوحيا بدنها وهي حيث شاء الله فان ملازمة الحياة للروح أمر عادي لا عقلي فهذا أي أن البدن يصير بها حيا كحالته في الدنيا مما يجوز العقل فان صح به سمع اتبع وقد ذكره جماعة من العلماء يشهد له صلاة موسى في قبره فان الصلاة تستدعي جسد احياء وكذلك الصفات المذكورة

في الانبياء ليلة الاسراء كلها صفات الاجساد ولا يلزم من كونها حياة حقيقة ان تكون الابدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الاجسام التي تشاهدها بل يكون لها حكم آخر وأما الادراكات كالعلم والسمع فلا شك ان ذلك ثابت لهم ولسائر الموتي وقال غيره اختلف في الحياة هل هي للروح فقط أو للجسد معها بمعنى عدم البلاء له على قولين وقال البيهقي في كتاب الاعتقاد الانبياء بعد ما قبضوا ردت اليهم ارواحهم فهم احياء عند ربهم لشهداء وقال ابن القيم في مسألة تزاور الارواح وتلاقيها الارواح قديمان منعمة ومعذبة فأما المعذبة فهي في شغل عن التزاور والتلاقي وأما المنعمة المرسله غير المحبوسة فتتلاقى وتزاور فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها وروح نبينا صلى الله عليه وسلم في الرفيق الاعلى فان قيل قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء كيف يكونون أمواتا احياء قلنا يجوز ان يحياهم الله في قبورهم وأرواحهم تكون في جزء من ابدانهم يحس جميع بدنه بالنعيم واللذة لا جل ذلك الجزء كما يحس جميع بدن الحي في الدنيا برودة أو حرارة تكون في جزء من أجزاء بدنه وقيل المراد أجسامهم لا تبلى في قبورهم ولا تنقطع أوصالهم فهم كالأحياء في قبورهم وقال أبو حيان في تفسيره عند هذه الآية اختلف الناس في هذه الحياة فقال قوم معناها بقاء أرواحهم دون أجسامهم لما شاهد فسادها وفناءها وذهب آخرون الى ان الشهيد حي الجسد والروح ولا يقدح في ذلك عدم شعور نابه

(قوله حكم آخر) فليس في العقل ما يمنع من اثبات الحياة الحقيقية لهم (قوله في شغل) فيما هي فيه من العذاب (قوله وتزاور) وتنادى كما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا (قوله الذي هو على مثل عملها) قال تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فان المرء مع من أحب في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء وقد وردت السنة بذلك كما روى ابن أبي الدنيا قال لما مات بشر بن البراء بن معرور وجدت عليه أم بشر وجد اشديد فقالت يا رسول الله لا يزال الهالك يهلك من بني سامة فهل يتعارف الموتي فأرسل الى بشر بالسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم والذي نفسي بيده يا أم بشر انهم ليتعارفون كما تتعارف الطير في رؤس الشجر وكان لا يهلك هالك من بني سامة الا جاءته أم بشر فقالت يا فلان عليك السلام فيقول وعليك فتقول اقرأ على بشر السلام وقد وردت أحاديث كثيرة بان الأرواح تتلاقى عند الموت فتقول أرواح الموتي للروح التي تخرج اليهم كيف كان ما وراءك وفي أي الجسد كنت في طيب أم خبيث وماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فإذا سألوه عن رجل مات قبله قال انه قدم مات قبلي قالوا ان الله وانا اليه راجعون ذهب به الى أمه اهلوية (قوله بل احياء عند ربهم) يرزقون

فنعن نراهم على صفة الاموات وهم أحياء كما قال سبحانه وتري الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكما ترى النائم في هيئته وهو يرى في منامه ما يتنعم به أو يتألم قلت ولذلك قال تعالى بل أحياء ولكن لا تشعرون فنسبه بقوله ذلك خطاباً للمؤمنين على انهم لا يدركون هذه الحياة بالمشاهدة والحس وبهذا يتميز الشهيد عن غيره ولو كان المراد حياة الروح فقط لم يحصل له تمييز عن غيره لمشاركة سائر الاموات له في ذلك ولعلم المؤمنين بأسرهم حياة كل الارواح فلم يكن لقوله ولكن لا تشعرون معنى وقد كشف الله لبعض أوليائه في شاهد ذلك وقد اختلفت الروايات في تعيين مقر ارواح الشهداء ففي بعضها في حواصل طير خضر تسرح في الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل تحت العرش وفي بعضها على بارق بياض الجنة يخرج اليهم رزقهم من الجنة وفي بعضها في قباب في رياض بغناء الجنة وفي بعضها تعلق من ثمر الجنة أي تأكل العلقة وهي ما يتبلغ به من العيش وفي بعضها عن ارواح المؤمنين انها في حواصل طير خضر أيضا وانها تعلق أيضا وفي بعضها عن ارواح الشهداء في حواصل طير بيض وعن ارواح المؤمنين في عليين وورد أيضا في السماء السابعة وفي برزخ من الارض بين السماء والارض وورد باربعاء وبرزخ قال ابن القيم مسألة الارواح بعد الموت عظيمة

والآية نزلت في شهداء أحد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد (قوله جامدة) ثابتة في مكانها (قوله من السحاب) في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تبين حركتها (قوله الشهداء) جمع شهيد فاعيل بمعنى مفعول لانه مشهود له بالجنة أو يبعث وله شاهد بقتله وهو دمه أو بمعنى فاعل لأن روحه تشهد الجنة قبل غيره (قوله تحت العرش) كافي حديث عبد الله بن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم يعني يوم أحد جعل الله ارواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل مظللة في ظل العرش رواه الامام أحمد وأبو داود وبعنه في حديث ابن مسعود رواه مسلم فانهم لما بذلوا أبدانهم لله عز وجل حتى أتلفها أعداؤه فيه أعاضهم منها في البرزخ أبداناً خيراً منها تكون فيها الى يوم القيامة ويكون تنعمها بواسطة تلك الأبدان أكل من تنعم الأرواح المجردة عنها (قوله من الجنة) كافي حديث ابن عباس الآتي (قوله تعلق) روى بفتح اللام وهو الأكثر ويروى بضم اللام والمعنى واحد وهو الأكل والرعى يعني تأكل من ثمار الجنة وتسرح بين أشجارها والعاقوة والعاقب الأكل والرعى تقول العرب ماذا قال اليوم عاقوا أي طعما قال الربيع بن زياد يصف الخيل

ومجنبات ما يذقن عاقوة * يعضن بالمهراث والامهار

(قوله من ثمر الجنة) كافي رواية ابن عباس (قوله طير بيض) كافي رواية معمر عن قتادة

لا تتلقى الامن السمع وقد قيل ان ارواح المؤمنين كلهم في الجنة الشهداء وغيرهم اذ لم تحبسهم كبيرة
اظهار الاحاديث ولقوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم قسم الارواح
عقب خروجها من البدن الى ثلاثة مقر بين واخبارنا في جنة نعيم واصحاب يمين وحكم لها بالسلام
وهو يتضمن سلامتها من العذاب ومكذبة ضالة واخبارنا طائر لا من حميم وتصلية حجيم وقال تعالى
يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك الى قوله وادخلي جنتي قال جماعة من الصحابة والتابعين
انه يقال لها عند خروجها من الدنيا على لسان الملك بشارة وقال ابن خزم في طائفة مستقرها حيث
كانت قبل خلق اجسادها أي عن يمين آدم وشماله وهذا ما دل عليه الكتاب والسنة قال تعالى واذ
أخذر بك من نبي آدم من ظهورهم الآية وقال تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم الآية فصيح ان الله
خلق الارواح جملة واخبر صلى الله عليه وسلم ان الارواح جنود مجنونة فما تعارفت منها اثتلف وما
تناكر منها اختلف واخذ الله عهدا وشهادتها بالربوبية وهي مخوفة مصورة عاقلة قبل ان تؤمر
الملائكة بالسجود لآدم وقبل ان يدخلها في الاجساد والاجساد يومئذ تراب وماء ثم اقرها حيث

(قوله اذ لم تحبسهم كبيرة) ولادين ويلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم وهذا ما ذهب اليه هريرة
وعبد الله بن عمر وقوله اظهر الاحاديث كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال رايت صاحبكم
محبوسا على باب الجنة وغيره من الاحاديث (قوله فاما ان كان) أي المتوفى وقوله فروح فله
استراحة وقوله وريحان ورزق وقوله وجنة نعيم ذات تنعم (قوله من البدن) بالموت (قوله
وحكم لها بالسلام) قال تعالى واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين (قوله
وتصلية حجيم) كما قال تعالى واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية حجيم (قوله
المطمئنة) وهي التي اطمانت بذكر الله (قوله الى ربك) الى امره وموعده بالموت راضية بما
اوتيت مرضية عند الله فادخلي في جملة عبادي الصالحين وادخلي جنتي معهم (قوله بشارة)
لا ينافي ذلك قول من قال ان هذا يقال لها في الآخرة لأنه يقال لها ذلك عند الموت وعند البعث
وأول بشارة الآخرة عند الموت (قوله في طائفة) أي معها (قوله من ظهورهم الآية) أي اقرأها
وهي ذريتهم أي اخرج من اصلهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن واشهدهم على انفسهم
أأستبر بكم قالوا بلى (قوله ثم صورناكم الآية) أي ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا
ابليس لم يكن من الساجدين (قوله جنود مجنونة) أي جوع مجموعة كما يقال ألوف مؤافاة (قوله
فما تعارفت منها اختلف) أي كل روح شريك الآخر في المعرفة اختلف بيانه انه تعالى عرف ذاته
الارواح بنعوتها فعرّفها بعض الارواح بالفقر والجلال وبعضها باللطف والجمال وبعضها بالصبر ثم
استنقظها بقوله أأستبر بكم ثم اودع الارواح في الاجساد (قوله وما تناكر منها اختلف) أي كل

شاء وهو البرزخ الذي ترجع اليه عند الموت ثم قال فصيح ان الأرواح أجسام حاملة لا عرضها من التعارف والتناكر وانها عارفة بميزة فيبلاوهم الله في الدنيا بما يشاء ثم يتوفاهم فترجع الى البرزخ الذي رآها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به الى سماء الدنيا أرواح أهل السعادة عن عيسى بن آدم وأرواح أهل الشقاوة عن يساره ثم قال هؤلاء عيمينه في العلو والسعة وهؤلاء يساره في السفلى والسجن وتجل أرواح الأنبياء والشهداء الى الجنة وقيل هي على أفنية قبورها وقال ابن القيم أيضا وهذا القول ان أريد به انها لازمة للقبور لا تفارقها فهو خطأ يرد به الكتاب والسنة وعرض المقعد لا يدل على ان الروح في القبر ولا على فنائه بل على ان لها اتصالا به يصح ان يعرض عليها مقعدا فان للروح شأن آخر فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة في البدن بحيث اذا سلم المسلم على صاحبها رد عليه السلام وهي في مكانها هناك وهذا جبريل عليه السلام رآه النبي صلى الله عليه وسلم وله ستائة جناح منها جناحان سد الأفق وكان يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم حتى يضع ركبتيه الى ركبتيه وكفيه على فخذه وقلوب المخلصين تتسع للايمان بان من الممكن انه يدنيه منه وهو في مستقره من السموات ثم قال وانما يأتي الغلط من قياس الغائب على الشاهد فيعتقد ان الروح من جنس

روح لم يشارك الآخر في المعرفة المذكورة اختلف أي قلبه مع قلب الآخر وان تقارب جسدا هما اذا الائتلاف والاختلاف للقاب (قوله عند الموت) ففيه الاخبار عن مبدأ كون الأرواح وتقدمها على الأجساد أي انها خلقت أول خلقها على قسمين من الائتلاف والاختلاف كالجنود المجموعة اذا تقابلت وتواجهت ومعنى تقابل الأرواح ما جعلها الله عليه من السعادة والشقاوة والأخلاق في مبدأ الخلق يقول ان الأجساد التي فيها الأرواح تلتقي في الدنيا فتألف وتختلف على حسب ما خلقت عليه وهذا ترى الخير يحب الأخيار ويميل اليهم والشرير يحب الأشرار ويميل اليهم (قوله عن يساره) وذلك عند منقطع العناصر (قوله الى الجنة) قال ابن خزم وهذا قول جميع أهل الاسلام قال وهذا هو قول الله تعالى فاصحاب الميمنة واصحاب المشأمة واصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلثة من الأولين وقليل من الآخر بن وقوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الى آخرها فلا تزال الأرواح هناك حتى يتم عدد الأرواح كلها بنفخها في الأجساد ثم رجوعها الى البرزخ وتقوم الساعة ويعيد الله عز وجل الأرواح الى الأجساد ثانية وهي الحياة الثانية ويحاسب الخلق فريق في الجنة وفريق في السعير مخلد في فيها أبدا انتهى (قوله على أفنية قبورها) وقد ذهب الى هذا جماعة منهم أبو عمرو بن عبد البر (قوله ولا على فنائه) أي دائماً من جميع الوجوه (قوله به) أي بالقبر وفنائه (قوله وهي في مكانها هناك) كروح نبينا صلى الله عليه وسلم وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى

ما يعهد من الأجسام التي اذا شغلت مكانا لم يكن ان تكون في غيره وهذا غلط محض وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء موسى قائما يصلي في قبره وراه في السماء السادسة فالروح كانت هناك في مثال البدن وها اتصال في البدن بحيث يصلي في قبره ويرد على من يسلم عليه وهو في الرقيق الأعلى ولا تنافي بين الأمرين فان شأن الأرواح غير شأن الأبدان وقد مثل ذلك بعضهم بالشمس في السماء وشعاعها في الأرض وان كان غير تام المطابقة من حيث ان الشعاع انما هو عرض للشمس وأما الروح فهي تنزل وأما رؤية النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء ليلة الاسراء في السموات فانه صحيح انه رأى الأرواح في مثال الأجساد مع ورود انهم أحياء في قبورهم يصلون ثم قال وهذا مع القطع بان روحه في أعلى عليين أو الجنة أو السماء وان لها بالبدن اتصالا بحيث تدرك وتسمع وتصل وتقرأ وانما يستغرب هذا السكون الشاهد الذي ليس فيه ما يشابه هذا أو أمور البرزخ والآخرة على نمط غير هذا المؤلف في الدنيا انتهى وقال في موضع آخر للروح بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الاول في بطن الأم الثاني بعد الولادة الثالث في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه الرابع في البرزخ فانها وان كانت فارقت بالموت فانها لم تفارق فراقا كاملا بحيث لم يبق اليه التفات الخامس تعلقها يوم البعث وهو أكمل أنواع التعلقات ولا نسبة لما قبله اليه اذ لا يقبل البدن معه موتا ولا نوما ولا فسادا ثم سرد الأقوال فقال ولا يحكم على قول من هذه الأقوال بعينه بالصحة ولا بالبطان بل الصحيح ان الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت ولا تعارض بين الأدلة فان كلا

قائما يصلي في قبره وراه في السماء السادسة أو السابعة فاما ان تكون سريسة الحركة والانتقال تسير كلح البصر واما ان تكون متصلة بالقبر وفناءه كشعاع الشمس وجرمها في السماء (قوله انتهى) وقالت طائفة هم بفناء الجنة على بابها ياتيهم من روحها ونعيمها ورزقها وقال مالك بلغني ان الروح مرسلة تذهب حيث شاءت وقال الامام أحمد أرواح الكفار في النار وأرواح المؤمنين في الجنة وقالت طائفة من الصحابة والتابعين أرواح المؤمنين عند الله عز وجل ولم يزدوا على ذلك وروى عن جماعة من الصحابة والتابعين ان أرواح المؤمنين بالجانية وأرواح الكفار يرهوت بسير بحضر موت وقال كعب أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة وأرواح الكفار في سبعين في الأرض السابعة تحت خد ابليس وقالت طائفة أرواح المؤمنين بيثرون في أرواح الكفار بيثرون يرهوت وبقيت أقوال أخر أعرضنا عنها وعن دلائل أصحاب هذه الأقوال خوف الإطالة (قوله متغايرة) أي في الأحكام (قوله في بطن الأم) أي جنينا (قوله في البرزخ) هو الحاضر بين كل سيئين وهو هنا ما بين الدنيا والآخرة (قوله بحيث لم يبق اليه التفات) البتة (قوله لما قبله) من أنواع التعلق (قوله ثم سرد الأقوال) في مستقر الروح وما أخذت ربابها

منها وارد على فريق من الناس بحسب درجاتهم في السعادة والشقاوة فمنها أرواح في أعلى عليين في
 الملائكة الأعلى وهم الأنبياء وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء ومنها
 أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم فان
 منهم من يجلس عن دخول الجنة الذين كما في حديث البارقي ومنهم من يكون على باب الجنة كما في
 حديث ابن عباس ومنهم من يكون محبوسا في قبره كحديث صاحب الشملة ومنهم من يكون
 محبوسا في الأرض لم تصل روحه إلى الملائكة الأعلى فانها كانت روحا سفلية أرضية فان النفس الأرضية
 لا تتجامع النفس السمائية كما انها لا تتجامعها في الدنيا فالروح بعد المفارقة تلحق بأصحاب عملها
 ومنها أرواح تكون في تنور الزناة وأرواح في نهر الدم إلى غير ذلك فليس للأرواح سعيدها
 وشقيها مستقر واحد وكلها على اختلاف محاطا وتبين مقارها لها الاتصال بأجسادها في قبورها
 ليحصل له من النعيم أو العذاب ما كتب له انتهى وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني بعد كلام على

(قوله كما في حديث ابن عباس) أي المتقدم وكما في المسند عن محمد بن عبد الله بن جحش ان رجلا جاء
 إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال مالي ان قتلت في سبيل الله قال الجنة فاما ولي قال لا الذي سارني به
 جبريل أنفأ وكما ورد في الحديث الآخر أيت صاحبكم محبوسا على باب الجنة (قوله صاحب الشملة)
 التي غلها ثم استشهد فقال الناس هنيئًا له الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده ان
 الشملة التي غلها تشتعل عليه نار في قبره (قوله وأصحاب عملها) والنفس التي لم تكتسب في الدنيا
 معرقق بها ومحبتها وذكره والانس به لتقرب اليه هي أرضية لا تسكون بعد المفارقة لبيدتها الا هناك كما
 ان النفس العاوية التي كانت في الدنيا على كفة على محبة الله وذكره والتقرب اليه والانس به تكون
 بعد المفارقة مع الأرواح العاوية المناسبة لها فالمرء مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة (قوله في نهر
 الدم) كما في الحديث الطويل الذي رواه البخاري عن سمرة بن جندب فان منته ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال فاتينا على مثل التنور فاذا فيه لغط وأصوات قال فاطلنا فيه فاذا فيه رجال
 ونساء عراة واذا هم يأتهم لهب منهم فاذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا فقال قات ما هؤلاء قال انطلق
 انطلق فانطلقنا فاتينا على نهر أحر مثل الدم فاذا في النهر رجل يسبح واذا على شط النهر رجل قد جمع
 عنده حجارة كثيرة واذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له
 فاه فيلقمه حجرا قلت لهم ما هذا قالوا انطلق انطلق ثم قالوا في الجواب في آخر الحديث أما
 الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور فانهم الزناة والزواني وأما الرجل الذي أتيت عليه
 يسبح في النهر ويلقم الحجارة فانه آكل الربا (قوله إلى غير ذلك) مما وردت به السنة (قوله فليس
 للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد) بل روح في أعلى عليين وروح أرضية سفلية لا تصعد عن

نحو ما تقدم ومع ذلك فاذا نقل الميت من قبر الى قبر فلا اتصال المذكور مستقر وكذا الوتفرقت الاجزاء
انتهى قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في أماليه في قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
أمواتا بل أحياء فان قيل الاموات كلهم كذلك فالجواب ان الكل ليس كذلك لان الموت عبارة عن
ان تنزع الروح عن الاجساد لقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية أى يأخذها وافية من
الاجساد والمجاهدين تنقل روحه الى طيراً خضر فقد انتقل من جسد الى آخر بخلاف غيره فان ارواحهم
تنفث من الاجساد وأما حديث كعب نسمة المؤمن فهذا العموم محمول على المجاهدين لانه قد ورد ان
الروح في القبر يعرض عليها مقعدهما من الجنة والنار ولا تأمرنا بالسلام على أهل القبور ولولا
الارواح لما أمرنا بالسلام عليهم قال الامام السيوطي اختار في ارواح الشهداء انها تكون في طير لا
انها نفسها طير كما عليه غيره ويؤيده ما ورد عن ابن عمر انها تركب في جسد آخر وهو وان كان موقوفاً
فله حكم المرفوع لان مثله لا يقال من قبل الرأي وقد رأيت له شاهداً مرفوعاً انتهى وقال ابن القيم
لا منافاة بين حديث انه طائر يعلق في شجر الجنة وبين حديث عرض المقعد بل ترد روحه أنهار الجنة
وتأكل من ثمارها ويعرض عليه مقعده لانه لا يدخله الا يوم الجزاء بدليل أن منازل الشهداء يومئذ
ليست هي التي تأوى اليها ارواحهم في البرزخ فدخل الجنة التام انما يكون للانسان التام روحاً وبدناً

الأرض (قوله وافية من الأجساد) بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها (قوله من جسد الى
آخر) فان قلت فهذا هو القول بالتناسخ وحاول الارواح في أبدان غير أبدانها التي كانت في اقلت
هذا المعنى دل عليه السنة الصريحة فهو حق يجب اعتماده ولا يبطله تسمية المسمى له تناسخاً وأما
الباطل هو ما يقوله أعداء الرسل من الملاحدة الذين ينكرون المعاد فانهم زعموا ان الارواح تصير
بعد مفارقة الأبدان الى أجناس الحيوان والحشرات والطيور التي تناسبها وتساكلها فاذا فارت
هذه الأبدان انتقلت الى أبدان تلك الحيوانات لتنعّم فيها وتعذب ثم تفارقها وتحل في أبدان اخر
اتناسبها وهكذا أبدانهم امعادهم عندهم ونعيمها وعذابها فهذا هو التناسخ الباطل المخالف لما
تفقت عليه الرسل من أولهم الى آخرهم وهو كفر بالله واليوم الآخر (قوله وأما حديث كعب) ابن
مالك الذي أخرجه في الموطأ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر
الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه وقوله نسمة المؤمن أى روحه (قوله فهذا العموم محمول
على المجاهدين) قال شارح العقيدة الطحاوية فقوله نسمة المؤمن نعم الشهيد وغيره ثم خص
الشهيد بان قال هي في جوف طير خضر ومعاًوم انها اذا كانت في جوف طير صدق انها طير فتدخل
في عموم الحديث بهذا الاعتبار (قوله ليست هي التي تأوى اليها ارواحهم في البرزخ) فهم يرون
منازلهم ومقاعدهم من الجنة ويكون مستقرهم في تلك القناديل المعلقة في العرش كما تقدم (قوله

ودخول الروح فقط أمر دون ذلك وفي بحر الكلام للنسفي الأرواح على أربعة أوجه أرواح
 الأنبياء تخرج من جسد ها وتسير مثل صورتها مثل المسك والكافور وتكون في الجنة تأكل
 وتشرب وتنعم وتأوي بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش وأرواح الشهداء تخرج من جسد ها
 وتكون في أجواف طير خضر تأكل وتنعم وتأوي بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش وأرواح
 المطيعين من المؤمنين برض الجنة لا تأكل ولا تمتع ولكن تنظر في الجنة وأرواح العصاة من
 المؤمنين تكون بين السماء والأرض في الهواء وأما أرواح الكفار فتكون في سجين في جوف
 طير سود تحت الأرض السابعة وهي متصلة بأجساد ها فتعذب الأرواح وتتلألم الأجساد كالشمس في
 السماء ونورها في الأرض انتهى وحكي عن طائفة من المتكلمين أن الأرواح تموت بموت الأجساد
 ونسب إلى المعتزلة وقال به جماعة من فقهاء الأندلس منهم عبد الأعلى بن وهب ومن متأخريهم جماعة
 كالسهريلي وأبي بكر بن عريفي وقد اشتهر تكبير العلماء على هذه المقالة فأنها قول أهل البدع
 والنصوص الكثيرة الدالة على بقاء الأرواح بعد مفارقة الأبدان ترد ذلك وتبطله والفرق بين حياة
 الشهداء وغيرهم من المؤمنين الذين أرواحهم في الجنة من وجهين أحدهما أن أرواح الشهداء
 يخلق لها أجساد وهي الطير التي تكون في حواصلها ليكمل بذلك نعيمها ويكون أكمل من نعيم
 الأرواح المجردة عن الأجساد فإن الشهداء بذلوا أجسادهم للقتل في سبيل الله فعوضوا عنها بهذه
 الأجساد في البرزخ والثاني أنهم يرزقون من الجنة وغيرهم لم يثبت في حقهم مثل ذلك وإن جاءتهم
 يعلقون في شجر الجنة فقيل معناه التعلق وفيل الأكل من الشجرة وبكل حال فلا يلزم مساواتهم
 للشهداء في الكمال النعيم وفي هذا الباب فوائد منها أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا تأكل الأرض
 أجسادهم الشريفة بل هم طريون على ما كانوا عليه في الدنيا وكذلك ما ورد فيه مثل ذلك يؤمن به
 ومنها أن الأولى الأمسك عن الكلام في الروح لأنها سر من أسرار الله تعالى لم يؤت علمه البشر

ودخول الروح فقط أمر دون ذلك) ونظيره أهل الشقاء تعرض أرواحهم على النار غدوا وعشيا
 فإذا كان يوم القيامة دخلوا منازلهم ومقاعدهم التي كانوا يعرضون عليها في البرزخ فتنعم الأرواح
 بالجنة في البرزخ شيء وتنعمها مع الأبدان بها يوم القيامة شيء آخر فغذاء الروح من الجنة في البرزخ
 دون غذائهم مع بدنها يوم البعث ولهذا قال تعلق في شجر الجنة أي تأكل العلقمة وأما تمام الأكل
 والشرب واللبس والتمتع فأنما يكون إذا ردت إلى أجساد ها يوم القيامة فظهر أنه لا يعارض هذا
 القول من السنة شيء وإنما السنة تعاضده وتوافقها (قوله أن الأرواح تموت بموت الأجساد)
 واستدلوا على موتها بانها نفس وكل نفس ذائقة الموت قالوا قد دلت الأدلة على أنه لا يبقى إلا الله
 وحده قال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام وقال كل شيء هالك إلا

فوقوف عامنا عن ادراك حقيقة الروح كوقوفه عن ادراك سر القدر ومنها ان أكثر المسلمين على ان الروح جسم لطيف لوصفها في الآيات والحديث بصفات الاجسام والاعراض ليست بهذه الصفات والالقام العرض بالعرض وهو فاسد

وجهه قالوا اذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت وقد قال تعالى عن أهل النار انهم قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فالموتة الاولى هي المشهورة بالبدن والاخرى للروح وأجيب عن ذلك بان الأرواح مستثناة في قوله تعالى الامن شاء الله من عموم كل من عليها فان وكل شيء هالك الا وجهه كما قال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله وأما قول أهل النار فتفسيرها الآية التي في البقرة وهي قوله تعالى فكيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فكانوا أمواتا وهم نطف في اصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم ثم أحياهم بعد ذلك ثم أماتهم ثم يحييهم يوم النشور وليس في ذلك امانة أرواحهم قبل يوم القيامة قال ابن القيم والصواب ان يقال ان موت النفوس مفارقتها لأجسادها خروجها منها فان أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت وان أريد انها تعدم وتضمحل وتصير عدا محضاً فهي لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب انتهى (قوله فوقوف عامنا عن ادراك حقيقة الروح كوقوفه عن ادراك سر القدر) قال تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي (قوله على ان الروح جسم لطيف) نوراني علوي حي متحرك ينفذ في جوهر الاعضاء ويسري فيها سر يان الماء في الورد والدهن في الزيتون فادامت هذه الاعضاء صالحة لقبول الآثار (القائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف ساري في هذه الاعضاء وأقادها هذه الآثار من الحس والحركة الارادية واذا فسدت هذه بسبب استيلاء الأخلط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل الى عالم الأرواح (قوله بصفات الاجسام) كما في قوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها الآية ففيها الاخبار بتوفيتها وامساكها وارسالها وقوله تعالى ولوترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسوط أيديهم أخرجوا أنفسكم ففيها بسط الملائكة أيديهم لنا ولها ووصفها بالخراج والخروج والاخبار بعذابها بعد ذلك والاخبار عن مجيئها الى ربها الى غير ذلك من الصفات المذكورة في الآيات والحديث كتوفيتها بالليل وبعثها الى أجسادها بالنهار وتوفي الملائكة لها عند الموت والرجوع والدخول والرضى والصعود وغير ذلك من الصفات الدالة على انها جسم خفيف (قوله وهو فاسد) بل ممتنع كما ذهب اليه جمهور المتكلمين متمسكين بوجهين الأول ان معنى قيام العرض بالمحل انه تابع له في التحيز فما يقوم به العرض يجب ان يكون متحيزاً بالذات ليصح ككون الشيء تبعاله في التحيز والمتحيز بالذات ليس الا

ومنها وهو الصحيح ان الروح والنفس شيء واحد وقال كثير ومنهم ابن عبد السلام ان في الجسد روحين احدهما روح اليقظة والاخرى روح الحياة وقد سمي بعضهم روح الحياة نفسا وفي ذلك كلام كثير واستدل غزير لاتفى هذه المجالة بسطه ومنها ان الروح في القلب وبه جزم الغزالي وأورد له الامام السيوطي حديثا يستأنس به ومنها ما أجمع عليه أهل السنة من ان الروح

الجوهر الثاني لوقام عرض بعرض فلا بد في الآخرة من جوهر ينتهي اليه سلسلة الاعراض ضرورة امتناع قيام العرض بنفسه وحيث ان قيام بعض الاعراض ببعض ليس أولى من قيام الكل بذلك الجوهر بن هذا أولى لأن القائم بنفسه أحق بان يكون محلا مقوما لحواله ولأن الكل في حيز ذلك الجوهر تبعاله وهو معنى القيام وجوز الفلاسفة قيامه به والجواب عن دلائلهم وبيان بطلانها ودفع ما عترضوا به على المتكلمين مبسوط في الكتب الكلامية (قوله ان الروح والنفس شيء واحد) وعليه الجمهور (قوله لاتفى به هذه المجالة) ولكن ننقل ما قاله ابن القيم قال ونحن نكشف سر المسئلة بحول الله وقوته فنقول النفس تطلق على أمور أحدها الروح قال الجوهرى النفس الروح يقال خرجت نفسه قال أبو خراشة

نجاس الماء والنفس منه بشدة * ولم ينج الا جفن سيف ومثزر

أى بجفن ومثزر والنفس الدم يقال سالت نفسه وفي الحديث ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء اذا مات فيه والنفس الجسد قال الشاعر

نبئت ان بنى تميم أدخاوا * أبياتهم تامور نفس المنذر

والتامور الدم والنفس المعين يقال أصابت فلانا نفس أى عين والنفس في القرآن تطلق على الذات بجملة ما كقوله تساموا على أنفسكم وقوله ولا تقهوا أنفسكم وقوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله كل نفس بما كسبت رهينة وتطلق على الروح وحدها كقوله تعالى يا أيها النفس المطمئنة وقوله أخرجوا أنفسكم وقوله ونهى النفس عن الهوى وقوله ان النفس لأماراة بالسوء وأما الروح فلا تطلق على البدن بانفراده ولا مع النفس وتطلق الروح على القرآن الذى أوحاه الى رسوله قال تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وعلى الوحي قال تعالى يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق وسمى ذلك روحا لما يحصل به من الحياة النافعة وسميت الروح روحا لأن بها حياة البدن وسميت النفس روحا لحصول الحياة بها وسميت نفسا لما من الشيء النفس لنفسها وشرفها وامان تنفس الشيء اذا خرج فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سميت نفسا فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات وانما سمي الدم نفسا لأن خروجه الذى يكون معه الموت بلام خروج النفس وان الحياة لا تتم الا به كما لا تتم الا بالنفس انتهى ملخصا (قوله

مخلوقة محدثة ومنها الاختلاف الواقع في خلق الارواح قبل الاجساد أم بعدها عند نشأتها فيها
والاول هو المشهور المذكور ومنها بقاء الروح بعد موت البدن وتكون مستأندة في قوله تعالى الا
من شاء الله من عموم كل من عليها فان كما قيل في الحور العين وفيه مباحث كثيرة والمقصود منه بيان
كيفية الحياة ومقر الارواح وهو متحصل مما نقلته لك فقل ذلك لا يؤخذ الا من السمع ولا مجال فيه
للعقل فيجب الايمان به على حسب ما ورد ولا تتعرض لما فيه لدردر بما انما انزلت واتبعنا الرسول
فاكتبنا مع الشاهدين

الباب الثاني عشر في أحكام زيارة القبور وما فيها من صدق وزور وفي بعض التعرض لحكم
شد الرحال اليها وما في حكم ذلك من أحكامها ومحظوراتها

روى بريدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها في هذا
الحديث تصريح بوقوع النهي في صدر الاسلام عن زيارتها الكونها مبدأ عبادة الاصنام وكان
ابتداء ذلك الداء العضال في قوم نوح النبي عليه الصلاة والسلام كما أخبر الله سبحانه به في كتابه فقال
تعالى قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يرزده ماله وولده الا خسار او مكر او مكرا بكرا وقلوا
لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا قال ابن عباس وغيره من السلف

مخلوقة محدثة) اذ لا قديم عندهم الا الله وصفاته عنده من أئبها زائدة على ذاته لكنهم اختلفوا في
انها هل تحدث مع حدوث البدن أو قبله فقال بعضهم تحدث معه لقوله تعالى بعد تعداد أطوار البدن
ثم أنشأناه خلقا آخر والمراد بهذا الانشاء افاضة النفس على البدن وقال بعضهم بل قبله لقوله صلى الله
عليه وسلم خلق الله الارواح قبل الاجساد بانفي عام قال في المواقيت وشرحه وغاية هذه الأدلة الظن
دون اليقين الذي هو المطلوب أما الآية فاجواز أن يريد بقوله ثم أنشأناه جعل النفس متعلقة به
وانما يلزم من ذلك حدوث تعاقب الاحداث ذاتها وأما الحديث فلانه خبر واحد فتعارضه الآية وهي
مقطوعة الماتن مظنونة الدلالة والحديث بالعكس فكل رجحان من وجهه فيتقاومان انتهى وأما
الفلاسفة فانهم قد اختلفوا في حدوثها فقال به ارسطو ومن تبعه ومنعه من قبله وقال بقدمها (قوله
بعد موت البدن) منعمة أو معذبة (قوله في الحور العين) وغيرهم من أهل الجنة ومن في النار
من أهل العذاب وخزنها (قوله وفيه مباحث) أي في هذا الباب (قوله مع الشاهدين)
بوحدانيتك (قوله انهم عصوني) فيا أمرتهم (قوله الا خسارا) أي اتبعوا رؤسائهم
الجارين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارتهم في الآخرة (قوله بكرا)
أي كثيرا في ابدانه واحتياهم في الدين وتحريش الناس على أذى نوح (قوله لا تذرن آلهتكم)
أي عبادتها (قوله ولا سواعا) روى محمد بن جرير باسناده في الثوري عن موسى عن محمد بن

والسبب الذي ورد عاياه لفظ الخبر يتناول الكافر والعلة موجودة في ذلك كله وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي قبور البقيع والشهداء للدعاء والاستغفار لهم فهذا المعنى يختص بالمسلمين انتهى وإذا رأيت هذا الاذن لم تجده في جميع رواياته مطلقا بل مقيدا بالنهي عما هو مخالف لما حمل الشارع على الاذن فيه من التعليل الذي هو المقصود من هذه الاباحة وقد علمنا صلى الله عليه وسلم كيفية الزيارة كما روى بريدة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر أن يقولوا السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا سلف ونحن لكم تباع نسأل الله لنا ولكم العافية وروى عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أقول يا رسول الله في زيارة القبور قال قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله عن قريب لاحقون وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم مر بقبور المدينة فأقبل عليهم فقال السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالآثر فانه صلى الله عليه وسلم بين لنا فائدة زيارة القبور وهي احسان الزائر الى نفسه والى أهل القبور أما احسانه الى نفسه فتذكر الموت والآخرة والزهد في الدنيا والاتعاظ والاعتبار وأما احسانه الى أهل القبور فبالسلام عليهم كما كانوا في حال حياتهم والدعاء لهم بالرحمة والمغفرة وسؤال العافية لهم من جميع محنهم فانظر كيف مهد لنا صلى الله عليه وسلم أصول هذا الأمر الذي أباحه لنا

(قوله البقيع) بفتح الموحدة وكسر القاف وسكون التحتية مقبرة أهل المدينة (قوله فهذا المعنى يختص بالمسلمين) كما روى ذلك مسلم في صحيحه (قوله يا أهل الديار) المراد بالديار المقابر وهو جائز لغة قال الخطابي انه يقع على الربع العامر المسكون والخراب وأنشد على ذلك قول النابغة يادارمية بالعلياء والسند * أقوت وطال عليه اسالف الأمد

وأقوت الدار خلت (قوله وانا ان شاء الله بكم لاحقون) قيل التقييد بالمشيئة على سبيل التبرك وامتنال أمر الله تعالى وقيل بل الى تلك التربة بعينها (قوله سلف) بفتح حين قيل سلف الانسان من تقدمه بالموت من أقربائه وأقرانه والحاصل انكم مقدمون علينا في هذا السفر (قوله تباع) بفتح حين أي تابعين على أعقابكم (قوله العافية) أي من العقوبة في الدنيا والآخرة رواه مسلم في صحيحه (قوله المتقدمين منا ومنكم) بالموت (قوله والمستأخرين) أي منا بالحياة (قوله لاحقون) رواه مسلم (قوله عن قريب لاحقون) رواه مسلم (قوله فاقبل عليهم) بوجهه (قوله بالآثر) رواه الامام أحمد والترمذي وحسنه والاثربفتح حين وفي رواية بكسر فسكون

بجميع أمورهم ولم يبق لنا شعبة نشبث بها خوفا علينا من كيد الشيطان وشرورده فان الشريك بقبر
الرجل المعروف بالصلاح اقرب الى النفس من الشريك بالاسحجار لما ان الشيطان من دسائس يلقبها
في قلوب بني آدم وقد ادخلها في قلوبهم انما شر عيات وهن تمويهات ثم اذا القوها لم تسكدان
تفارقها النفوس ولو قطعت بالسيوف فمما ألقاه اليهم بكيده ان قال ان هؤلاء قوم صالحون وعند الله
مقربون ولهم ما يشاؤون ولهم الجاد الأعلى والمقام الرفيع الاسمى فمن قصدهم لا يخيب سعيه ولا يطيش
رأيه وان يركتهم تدفع البليات وتقضى الحاجات وبشفاعتهم يتقرب زوارهم الى الله الغفار فتخط
عنهم بشفاعتهم عند الله الاوزار الى غير ذلك من الدلائل التي يملأ بها قلوب أهل الاماني بمثل هذه
المعاني فيتلاعب بهم قولهم السخيفة وآرائهم النحيفة ويحسن لهم البدع والمنكرات بما يلقى اليهم من
الحكايات والخرافات ويحثهم على التقرب الى أهل القبور بما يقدرون عليه من التحر والنذور
والانتطواف والتزيين بالزينة المحرمة من التصبب والفضة والذهب وتعايق القناديل وايقاد شموع
العسل وتصفيح الجدران والأعتاب والسقوف والأبواب بالفضة والذهب وغيرهما مما يجاوز
الحساب ويفهمهم انهم كلما زادوا في مثل ذلك أحسنوا كل الاحسان فدخلوا الجنان ثم ما كفاه ذلك
حتى استخفهم فدعاهم الى أن يطلبوا ما هم انصروا على الأعداء والشفاء من عضال الداء فاجابوه الى
مادعاهم مسرعين وزادوا على ذلك بأن طلبوا منهم بقاء الحياة لأولادهم فتراهم يقولون قد علمنا
أولادنا عليهم ومنهم من يطلب منهم النسل اذا كان عقيما والشفاء اذا كان سقيما وكثير ممن يطلب منهم
منصبا فيه أخذ أموال العباد والسعي في الأرض بكل فساد فيجىء اليهم ويلزمهم معتقدا ان من
لازمهم قضيت حاجته ونجحت سعائته واقتربت سعادته واذا فتحت أبواب بيوت قبورهم المذهبة

أى على عقبكم (قوله شعبة) الشعبة بالضم الطائفة من الشئ (قوله نشبث) تتعاق (قوله
من كيد الشيطان) الكيد المكر والخبث وهو الحاق الشر بالانسان من حيث لا يشعر (قوله
من دسائس) الدس الاخفاء ودفن الشئ تحت الشئ (قوله في قلوب) يفرغها فيها (قوله
بكيده) بمكره وخبثه (قوله الجاه) القدر (قوله الرفيع) ضد الوضيع (قوله الاسمى)
أى الأعلى (قوله لا يخيب سعيه) لا يحرم من قصده وعمله (قوله يطيش) أى يخف (قوله
الأوزار) الآثام (قوله الأمانى) جمع أمنية وهو فى الأصل ما يقدره الانسان فى نفسه من منى
اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب (قوله السخيفة) الرقيقة (قوله النحيفة) الضعيفة الهزلة
(قوله الخرافات) جمع خرافة وهو حديث مستعمل كذب (قوله واقتربت سعادته) والنفوس
مولعة بقضاء حوائجها وازالة ضروراتها لاسيما من كان مضطرا يتشبث بكل سبب فاذا سمع أحدا ان قبر
فلان ترياقي مجرب يميل اليه فيذهب ويدعو عنده بذل وانكسار فيجيب الله دعوته لما قام بقلبه

ورفعت ستور الأبواب المطلات المطرزة وفاحت تلك الروائح المسكية من الجدران المحلقة وجد هذا الزائر في فؤاده من الخشية والرعب ما لا يجد أدنى معشار جزء عشره بين يدي خالق السموات والأرضين والله جيع العالمين فيدخل الى القبر خاشعا ذليلا متواضعا لا يخطر في قلبه مثقال ذرة من غير اجلاله منتظرا فيض كرمه ونواله فأقسم بالله انه لم يتصوره بشرا قد وضع بأكفانه في لحده ولو سلمنا انه خطرت له وهو عنده تلك الخطرة لتعود بالله منها ووقف عند حده وياخيبة من أنكر عليهم حالهم ويا شناعة من رد عليهم أمرهم ويا خسارة من علمهم وأرشدهم فان ذلك عندهم قد تنقص حق الأولياء وهضمهم مراتبهم من السموات والارتقاء فبالله عليك أيها الناظر الا ما قابلت أفعالهم هذه مع ما ورد عن سيد الأنام صلى الله عليه وسلم متأملا كيفية اذنه بالزيارة بعد المنع وانظر الى سبب المنع والاذن وما عمل النبي صلى الله عليه وسلم الاذن به وجعله في حكم الغاية له والشرط وقد نهى عن أشياء كثيرة بما تقع ككثرت كل ذلك في الأحاديث الصحيحة وكان يعلمهم كيفية القول والعمل ويفعل امامهم ويفصل لهم هذه الجمل سد الذرائع وقطعا عن هذه المطامع ولم يزل هذا دأبه صلى الله عليه وسلم حتى أوصى بما يناسب ذلك ولم تزل الصحابة والسلف الصالح على هذا العمل المتبع الراجح الى أن ظفر ابليس بهؤلاء الاخلاف فحين دعاهم أجابوه من غير خلاف قال صاحب مجالس الأبرار واعلم ان الزيارة نوعان زيارة شرعية وزيارة بدعية والمقصود من الزيارة الشرعية التي أذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من أحد ههنا راجع الى الزائر وهو تعاضده وزهده وعبرته وثانيها راجع الى المزور وهو الدعاء له ومن سجلته السلام عليه وأما الزيارة البدعية فهي زيارة القبور لأجل الصلاة عندها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود عليها وأخذ ترابها ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية والولد وقضاء الديون وتفريج الكربات واغاثة اللهفات وغير ذلك من الحاجات التي كان عباد الأصنام يسألونها من أصنامهم فأصل هذه الزيارة البدعية ما خوذ منهم وليس شيء من ذلك مشروعا باتفاق المسلمين اذ لم يفعل رسول رب العالمين ولا أحد من الصحابة والتابعين وسائر أئمة الدين بل قد أنكر وأما هودون ذلك كما روى عن المعروور بن سويدان عمر رضي

من الدل والانكسار لا لاجل القبر فانه لو دعا كذلك في الحانة والحمام والسوق لاجابه فيظن الجاهل ان للقبر تأثيرا في اجابة تلك الدعوة ولا يعلم ان الله تعالى يجيب دعوة المضطر ولو كان كافرا فليس كل من أجاب الله تعالى دعاءه يكون راضيا عنه فان الله تعالى يجيب دعاء البر والفاجر والمؤمن والكافر (قوله وعبرته) وقد أشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله فانها تذكركم الآخرة (قوله عليه) ونزيدنا ثاوها احسان الزائر الى نفسه باتباع السنة والوقوف عند ما شرعه صلى الله عليه وسلم (قوله وأما الزيارة البدعية) الزيارة البدعية الشريكة أصلها ما خوذ من عباد الأصنام قالوا الميت المعظم

الله عنه صلى صلاة الصبح في طريق مكة فرأى الناس يذهبون مذاهب فقال أين يذهب هؤلاء فقيل
 مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم يصابون فيه فقال إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا
 كانوا يتبعون آثاراً نبياهم ويتخذونها كائس وبيعافن أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصلها
 فيها ومن لا فيمض ولا يتعمدها وكذلك لما بلغه ان الناس ينتابون الشجرة التي بويج تحت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أرسل اليها فقطعها فاذا كان عمر فعل هذا بالشجرة التي بايع الصحابة تحتها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرها الله في القرآن حيث قال لقد رضى الله عن المؤمنين اذ
 يبايعونك تحت الشجرة فاذا يكون حكمه فيما عداها ولقد جرد السلف الصالح التوحيد حتى كانت
 الصحابة والتابعون حين كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد الى زمن الوليد بن عبد الملك
 لا يدخل فيها أحد الا لصلاة ولا لدعاء ولا لغير ذلك مما هو من جنس العبادة بل كانوا يفعلون جميع
 ذلك في المسجد وكان أحدهم اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم وأراد الدعاء استقبل القبلة وجعل
 ظهره الى جدار القبر ثم دعا وهذا مما لا نزاع فيه بين العلماء وإنما نزاعهم في وقت السلام عليه قال أبو
 حنيفة يستقبل القبلة عند السلام أيضا ولا يستقبل القبر حتى لا يكون الدعاء عند القبر فان الدعاء

الذي لروحه قرب ومزية عند الله لا يزال تأتيه الألطاف من الله وتفيض على روحه الخيرات فاذا
 علق الزائر روحه به وأدناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها
 كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له قالوا فتمام الزيارة ان يتوجه
 الزائر بروحه وقلبه الى الميت ويعكف بهمة عليه ويوجه قصده كله واقباله عليه بحيث لا يبقى التفات
 الى غيره وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب لا تتفاع به وقد ذكر هذه الزيارة على
 هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما وصرح بها عباد السكواكب وقالوا اذا تعلق النفس
 الناطقة بالأرواح فاض عليها منها النور (قوله استقبل القبلة وجعل ظهره الى جدار القبر ثم دعا)
 وذكر الامام أحمد وغيره انه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبره وقال أصحاب مالك
 يدنو من القبر فيسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو مستقبلا القبلة يوليه ظهره وقيل لا يوليه
 ظهره وهذا اختلافهم إنما نشأ لما يحصل فيه من استدباره فاما اذا جعل الحجرة عن يساره فقد زال
 المحذور بلا خلاف وصار في الروضة أو أمامها (قوله وإنما نزاعهم في وقت السلام) فقال مالك
 وأحمد وغيرهما يستقبل قبره ويسلم عليه وهو الذي ذكره أصحاب الشافعي وقال أبو حنيفة بل
 يستقبل القبلة ويسلم عليه هكذا في كتب أصحابه وقال مالك فيما ذكره اسمعيل بن اسحق في المبسوط
 والقاضي عياض وغيرهما لا يرى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو ولكن يسلم
 ويمضي وقال أيضا في المبسوط لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه

عبادة كما ثبت في الحديث والسائق الصالح من الصحابة والتابعين جعلوا العبادة خالصة لله تعالى ولم يفعلوا عند القبور شيئا منها الا ما أذن فيه النبي صلى الله عليه وسلم من السلام على أصحابها وسؤال الرحمة والمغفرة والعافية لهم وسبب ذلك ان الميت قد انقطع عمله وهو محتاج الى من يدعوه ويشفع لأجله ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء له وجوبا أو ندبا ما لم يشرع مثله في الدعاء للحى فانما كانا اذا قلنا على جنازته تدعوه ونشفع لأجله فبعد الدفن أولى ان ندعوه ونشفع لأجله لانه في قبره بعد الدفن أشد احتياجا الى الدعاء منه على نعشه لأنه حينئذ معرض للسؤال وغيره ثم قال فهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل القبور بضعا وعشرين سنة وهذه سنة الخلفاء الراشدين وطريقة جميع الصحابة والتابعين فبدل أهل البدع والضلال قولنا غير الذي قيل لهم فانهم قصدوا بذلك سؤال الميت والاستغاثة به الى آخر ما قال وقال ابن القيم في الاغاثة هذا يدل على ان العمل اذا جرى على خلاف السنة فلا اعتبار به ولا التفات اليه وقد جرى العمل على خلاف السنة منذ من طويل فاذن لا بد لك ان تكون شديدا لتوقى من محادثات الأمور وان اتفق عليه الجمهور فلا يغيرك اطبا قهم على ما أحدثت به الصحابة بل ينبغي لك ان تكون حريصا على التفتيش عن

وسلم ويدعوه ولا يكره ويحرم فقل له ان ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر عند القبر فيسأمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ولا يصلح آخر هذه الأمة الا ما أصالح أهلها ولم يبلغني عن أول هذه وصدرها انهم كانوا يفعلون ويكره الا ان جاء من سفر أو أراد ود قد ورد من الآثار عن السلف والأئمة ما يوافق (قوله كما ثبت في الحديث) عنه صلى الله عليه وسلم ان الدعاء هو العبادة رواه الترمذي وغيره (قوله ما لم يشرع مثله للحى) قال عوف بن مالك صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة خفقت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله وأوسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الذنوب والخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وأزواجا خيرا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار حتى تميت أن أكون أنا الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الميت رواه مسلم الى غير ذلك مما ورد من الأدعية في صلاة الجنازة (قوله لأنه حينئذ معرض للسؤال وغيره) كما روى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لله لأخيكم واسألواه التثبيت فإنه الآن يسأل الى غير ذلك من الأحاديث التي في هذا الباب (قوله والاستغاثة به) فبدلوا الدعاء بدعائه نفسه وقصدوا بالزيارة المشروعة التي هي احسان الى الميت واحسان الى الزائر وتذكير بالآخرة وسؤال الميت والاقسام به على الله وتخصيص

أحوالهم وأعمالهم فإن أعم الناس وأقربهم إلى الله أشبههم بهم وأعلمهم في طريقهم إذ منهمم أخذ الدين وهم أصول في نقل الشريعة عن صاحب الشرع فلا بد لك أن لا تكثرت بمخالفتك لأهل عصرك في موافقتك لأهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم إذ قد جاء في الحديث إذا اختلف الناس فعائسكم بالسواد الأعظم قال عبد الرحمن بن اسمعيل المعروف بأبي شامة حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك به قليلا والمخالف له كثيرا لأن الحق ما كان عليه الجماعة الأولى وهم الصحابة ولا عبرة بكثرة الباطل بعدهم وقال الفضيل بن عياض ما معناه الزم طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين فيه وإياك وطرق الضلال ولا تغتر بكثرة الهالكين وقال ابن مسعود أقيم في زمان خيركم فيه المتسارع في الأمور وسيأتي زمان بعدكم خيرهم فيه المتثبت المتوقف بكثرة الشبهات قال الإمام الغزالي لقد صدق لأن من لا يتثبت في هذا الزمان بل وافق الجاهل في ما هم فيه وخاض فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا فإن أصل الدين وعموده وقوامه ليس بكثرة العبادة والتسلاوة والمجاهدة بالجوع وغيره وإنما هو باحرازه من الآفات والعاهات التي تأتي عاياه من البدع والمحدثات التي تؤدي إلى تبدله وتغيره كما تبدل وتغير أديان الرسل من قبل بسبب ذلك انتهى فليصن المرء دينه

تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العبادة (قوله قال عبد الرحمن الخ) أي في كتاب الحوادث والبدع (قوله ولا تغتر بكثرة الهالكين) وعن الحسن البصري رحمه الله تعالى أنه قال السنة والذي لا اله الا هو بين الغالي والجافي فاصبر واعلم بها رحمة الله فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى وهم أقل الناس فيما بقي الذين لم يذهبوا مع أهل الأتراف في أترافهم ولا مع أهل البدع في بدعهم وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم فكذلك فكونوا وقال عمرو بن ميمون الأودي صحبت معاذ باليمن فافارقت حتى وارتته بالتراب بالشام ثم صحبت بعدد أفقه الناس عبد الله بن مسعود فسأته يقول عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة ثم سمعته يوم ما من الأيام وهو يقول سيلي عليكم ولاية يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فاصلوا الصلاة فافهم في الفريضة وصلوا معهم فانها لكم نافلة قال قلت يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدثون قال وما ذاك قلت تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول صل الصلاة وحدها وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي نافلة قال يا عمرو بن ميمون قد كنت أظن أنك من أفقه أهل هذه القرية تدري ما الجماعة قلت لا قال إن جمهور الجماعة الذين فارقوا الجماعة الجماعة ما وافق الحق وأن كنت وحدك وفي رواية أخرى وضرب على نخدي قال ويحك إن جمهور الناس فارقوا الجماعة وإن الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى قال نعم بن حماد يعني إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن يفسدوا وإن كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ كره البيهقي وغيره (قوله من البدع والمحدثات التي تؤدي إلى تبدله وتغيره الخ) وذلك كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول

من العوائد التي استأنس بها فانهم اسم قائل قل من سلم من آفاتهما لا يرى ان قر يشالاً جل العوائد التي
ألفتها نفوسهم أنكر واعلى النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء به من الهدى والبيان وكان ذلك
سبب الكفرهم وطغيانهم وقد خالف هؤلاء المبتدعون ما جاءت به الرسل فلقد نهاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد وعن اتخاذ قبره الذي هو أفضل قبر على وجه الأرض
عيداً

اياكم وما يحدث من البدع فان الدين لا يذهب بمرّة من القلوب بل الشيطان يحدث لكم بدعاً حتى
تذهب الايمان من قلوبكم هذا وانها اكثرتها وشيوعها صارت كأنها من شعائر الدين أو من الأمور
المفروضة علينا فيا ليتنا كنا نبشرها على انها بدعة اذ لو كان كذلك ليرجى منا التوبة والاستغفار
والسكنا أخذنا طاعة وعبادة وجعلنا هاديين لنا مقتفين في ذلك آثار من سبها أو غلط أو غفل من
بعض من تقدمنا وجعلناه قدوة في ديننا فاذا جاء أحد وأنكر علينا ما ارتكبناه من تلك الأمور فان
كان ممن له توقير في قلوبنا نقول له هذا جائز ذهب الى جواز فلان ونذكر له بعض من تقدمنا ممن
سبها أو غلط أو غفل وان كان ممن لا توقير له في قلوبنا نسمع منا ما لا يظنه ولا يخطر بباله ذلك بسبب
الجهل المركب فينا لا نلورأينا أنفسنا على ما هي عليه من الجهل لقبولنا جواب من أرشدنا على الحق
وما أقنأنا من سبها أو غلط أو غلط حجة في ديننا اذ لا يجوز ان يقلد الانسان في دينه الا من هو صاحب
الشرعية أو من شهد له بالخير لا من شهد له بالكذب ونهى عن الاعتماد له بقوله صلى الله عليه وسلم
خير القرون قرني الذين بعثت فيهم ثم الذين يلوهم ثم الذين يلوهم ثم يفشوا الكذب فلا تعمدوا
أقوالهم وأفعالهم فان كل من أتى بعدهم يقول في بدعها انها مستحبة ثم يأتي على ذلك بدليل خارج
عن أصولهم فذلك غير مقبول منه فان التقليد والاقتداء مجرد حسن الظن انما يجوز ان كان مجتهداً
عدلاً لا لمن كان مقلداً الكن لما انقطع الاجتهاد منذ زمان طويل انحصر طريق معرفة مذهب
المجتهدين في نقل كتاب معتبر متداول بين العلماء أو اخبار عدل موثوق به في علمه وعمله فلا يجوز
العمل بكل كتاب اظهر في هذا الزمان كتب جمعها ضعفاء الرجال ولا بقول كل عالم اذ غلب الفسق في
الناس بعد القرون الثلاثة والمستور في حكم الفاسق فلا بد من العدالة المرجحة لجانب الصادق حتى
يقبل قوله في الديانة (قوله عن اتخاذ القبور مساجد) كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم لعنة الله على
اليهود والنصارى اتخذوا قبوراً أنبيائهم مساجد وهم خالفوه وبنوا عليها المساجد ونهاهم عن الصلاة
عندها وهم خالفوه وصاوا عندها (قوله وعن اتخاذ قبره عيداً) كما روى أبو هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تجعلوا قبري عيداً وصاوا فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم وهم
خالفوه حيث انهم جعلوا القبور أعياداً يجتمعون عندها في أوقات مخصوصة

وعن تعليق القناديل عليها وزيادة تراب غير ترابها وأمر بتسوية القبور المشرفة ونهى عن رفعها
وتجسيصها والكتابة عليها فتراهم يرفعونها فوق كل رفيع وينثونها بالحص والآخر العظام ويكتبون
عليها الآيات القرآنية ويعملون لها التوايت من خشب الصندل والعاج ويضعون فوقها مستور
الحريير المحلاة بالذهب والعقيان والفضة الخالصة ولم ير ضهم ذلك حتى أداروا عليها شبائيك من الفضة
وغيرها وعاقوا عليها قناديل الذهب وبنوا عليها قبابا من الذهب أو الزجاج المنقوش وزخرفوا أبوابها
وجعلوا لها الأقفال من الفضة وغيرها خوفًا عليها منصوص كل ذلك مخالف للدين الرسل وعين
المحادثة ورسوله فإن كانوا متبعين فلينظر واليه صلى الله عليه وسلم كيف كان يفعل بأصحابه الذين
هم أفضل الأصحاب ولينظر والى قبره الشريف كيف كان وما عملت الصحابة فيه والا فليفعلوا ما شاؤوا
لا جازاهم الله إلا بما يليق بهم هذا ما كان من التعظيم الغير اللائق بدين الله والمخالف لسنة رسول الله
وأما الاحترام لها فهو مندوب فلا توطأ قبور المسلمين ولا يجلس عليها وتعامل قبورهم كما يعاملون في
حياتهم وأما قبور الأنبياء والصالحين فيزاد احترامها كما يحترمون في حياتهم وليطبق الحال في
القبور على حسب ما كانوا في الحياة من مراعاة الآداب وخفض الأصوات والوقوف على بعد زيادة
في التوقير والاحترام قال العلامة ابن حجر في شرح المنهاج (ويقرب) ندبا (زائره) من قبره
(كقربه منه) إذا زاره (حيا) احترامه والتزام القبر وأما عليه من تابوت ولو قبره صلى الله
عليه وسلم بنحو يده وتقبيله بدعة مكروهة قبيحة انتهى قال بعضهم ومن البدع المنكرة اجتماع
ال العامة في بعض أضرحة الصالحين في يوم مشهور فقد قال صلى الله عليه وسلم صلوا في بيوتكم ولا
تتخذوها قبورا ولا تتخذوا بيتي عيداً واصلوا على وساموا فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم قال
المنائوي معناه النهي عن إخلاء البيوت عن العبادة كالقبور وفيه معنى النهي عن الدفن في البيوت
وإنما دفن المصطفى صلى الله عليه وسلم في بيته مخافة اتخاذ قبره مسجداً ذكره القاضي ومعنى النهي عن
اتخاذ عيد النهي عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد أما الدفع المشقة أو كراهة أن يتجاوزوا حد
التعظيم وقيل العيد ما يعاد إليه أي لا تجعوا قبوري عيداً تعودون إليه متى أردتم وإن عليكم أن تصلوا
على فظاهره ينهى عن المعاودة والمراد المنع عما يوجب به وهو ظنهم بأن دعاء الغائب لا يصل إليه ويؤيده
قوله وصلوا على إلى آخره أي لا تتكفوا المعاودة إلى آخر ما قال ثم قال تنبيه قوهم فيما سلف معناه

(قوله وعن تعليق القناديل عليها) وهم خالفوه وأقروا عليها القناديل والشموع بل يوقفون لذلك
أوقافاً (قوله التوايت) أي الصناديق (قوله فلا توطأ قبور المسلمين) قال ابن حجر في شرح
المنهاج الاضرورة كان لم يصل إلى قبره ميتة وكذا ما يريد زيارته ولو غير قريب فيما يظهر ولا يمكن
من الحفر إليه اهـ (قوله ولا يجلس عليها) وكذا لا يتكئ عليها

النهي عن الاجتماع الى آخره يؤخذ منه ان اجتماع العامة في بعض أضرحة الأولياء في يوم أو شهر مخصوص من السنة وربما يرقصون منهي عنه شرعا ويجب على ولي الأمر ردعهم عن ذلك وانكاره عليهم وإبطاله انتهى وقال في المنهاج وشرحه لابن حجر مامليخصه ويكره تخصيص القبر والبناء عليه في حريمه وخارجته والكتابة عليه للنهي الصحيح عن الثلاثة سواء كتابة اسمه وغيره في لوح عند رأسه أو في غيره نعم بحث الأذرعى حرمة كتابة القرآن لتعريضه للاهتان بالدوس والتنجيس بصد يد الموتى عند تكرار الدفن ووقوع المطر ونذب كتابة اسمه لمجرد التعريف به على طول السنين لاسيما لقبور الأنبياء والصالحين لانه طريق للاعلام المستحب ولما روى الحاكم النهي قال ليس العمل عليه الآن فان أئمة المسلمين من المشرق الى المغرب مكتوب على قبورهم فهو عمل قد أخذ به الخلف عن السلف ويرد بمنع هذه الكتابة وبقرضها للبناء على قبورهم أكثر من الكتابة عليها في المقابر المسبلة كما هو مشاهد لاسيما بالحرمين ومصر ونحوهما وقد عاموا بالنهي عنه فكذا هي فان قلت هو اجاع فعلى وهو حجة كما صرحوا به قلت ممنوع بل هو أكثرى فقط اذ لم يحفظ ذلك حتى عن العامة الذين يرون منعه ويفرض كونه اجاعا فعليا فحمل حجته كما هو ظاهر عند صلاح الأزمنة بحيث ينفذ فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد تعطل ذلك منذ أزمنة ولو بنى نفس القبر لغير حاجة مما مر كما هو ظاهر أو نحو تحويط أوقية عليه خلافا لمن زعم ان المراد الثاني وهل من البناء ما اعتيد من جعل أربعة أحجار لصق رأس كل منها برأس الآخر بحصن محكم أولا لانه لا يسمى بناء عرفا والذي يتجه الاول لان العلة السابقة من التأييد موجودة هنا وذلك في مقبرة مسبلة وهي ما اعتاد أهل البلد الدفن فيها عرف أصلها ومسبلة أم لا ثم قال جوابا بالواقع في المتن قبله هدم وجوبا لحرمة كما في المجموع لما فيه من التضييق مع ان البناء يتأبد بعد ان يحاق الميت فيحرم الناس تلك البقعة وقد أفتى جمع بهدم كل ما بقراقة مصر من البناء حتى قببة امامنا الشافعي رضي الله عنه التي بناها بعض المساوئك وينبغي اسكل أحد هدم ذلك فاما يخش منه ففسادة فيتعين الرفع لزاما انتهى وقد اختلفوا في زيارة النساء والكثير على الحرمة عليهن

(قوله تخصيص القبر) أي تبليغه لا تطينه (قوله مما مر) في كلامه وهو ما اذا خشى نبشه أو حفر سبع أو هدم سبل (قوله مسبلة الخ) ومثلها موقوف بل هذه أولى لحرمة البناء فيها قضاء قاله الاسنوي (قوله الواقعة في المتن قباه) وهو ما نقله عنه بقوله ولو بنى نفس القبر (قوله على الحرمة عليهن) لا يخبر الصحيح لعن الله زوارات القبور ولما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أيما امرأة خرجت الى مقبرة تلعنهما لأككة السموات السبع والأرضين السبع وتمشي في لعنة الله تعالى ولما روى عن سامان وأبي هريرة انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم من المسجد فوقف على باب داره فأثت فاطمة

وقيل يكره بشروط ان اختل شيء منها حرمت اجماعا وبالجملة فالبحث في ذلك كبير شهير
وأما القراءة عندهم فقليل مشروعة وعلى ذلك المتأخرون من الفقهاء أخذوا من وضع الجريدة
على قبره من رآه النبي صلى الله عليه وسلم يعذب لأجل تخفيف عذابه قالوا فالقراءة أولى ومنعها
البعض وقالوا لا بد ان يرى أن يكون مشغولا بالاعتبار وقراءة القرآن يحتاج صاحبها الى التدبر
واحضار الفكر فيما يتلوه والفكر ان لا يجتمعان في قاب واحد في زمان واحد فان قال قائل
اني أعتبر في وقت وأقرأ في وقت آخر والقرآن اذا قرئ تنزل الرحمة فيرجى أن يلحق بأهل
القبور شيء من تلك الرحمة فالجواب عنه من وجوه الأول ان قراءة القرآن وان كانت
عبادة لكن كون الزائر مشغولا بما تقدم من الفكر والاعتبار في حال الموت وسؤال الملكين وغير
ذلك عبادة أيضا والوقت ليس محالا الا هذه العبادة فقط فلا يخرج من عبادة الى عبادة أخرى
لا سيما لأجل الغير والثاني انه لو قرأ في بيته وأهدى ثوابها لهم بأن قال بلسانه بعد فراغه من قراءته
اللهم اجعل ثواب ما قرأته لأهل القبور لوصل اليهم لان هذا دعاء بوصول الثواب اليهم والدعاء يصل
بلا خلاف فلا يحتاج ان يقرأ على قبورهم الثالث ان قراءته على قبورهم قد تكون سببا لعذاب
بعضهم اذ كلما قرئت آية لم يعمل بها يقال له أما قرأتها أما سمعتها فلم خالفها ولم تعمل بها فيعذب لأجل
مخالفتها الرابع ان السنة لم تدرجها وكفى به منعاً فاذا كان كذلك فاللائق بالزائر ان يتبع السنة
ويقف عند ما شرع له ولا يتعداه ليكون محسنا الى نفسه وإلى أهل القبور وقال ابن حجر المكي في

فقال من أين جئت قالت خرجت الى منزل فلانة التي ماتت فقال صلى الله عليه وسلم هل ذهبت الى
قبرها فقالت معاذ الله تعالى ان أفعل شيئا بعد ما سمعت منك فقال لو زرت قبرها لم ترحي رائحة الجنة
(قوله وقيل يكره) وعليه المتأخرون من الشافعية خشية الفتنة ورفع أصواتهم بالبكاء وقيل
تباح اذا لم يخش محذور الا أنه صلى الله عليه وسلم رأى امرأة بمقبرة ولم ينكر عليها (قوله بشروط)
كأن من الفتنة وعدم رفع الصوت وغيرها (قوله المتأخرون من الفقهاء) وهو مذهب الامام
أحمد وبعض أصحاب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي (قوله ومنعها البعض) وهو المشهور
من مذهب مالك والشافعي (قوله والدعاء يصل بلا خلاف) بين أهل السنة وقال المعتزلة ان
الدعاء من الأحياء لا موات غير نافع تمسكا بان القضاء لا يبدل وكل نفس مرهونة بما كسبت والمرء
محزى بعمله لا بعمل غيره وأجيب بان عدم تبديل القضاء بالنسبة الى الموتي لا ينافي ففقد دعاء الأحياء
لهم فان ذلك النفع بالدعاء يجوز ان يكون بالقضاء على انه قد ورد في الأحاديث الصحيحة من الدعاء
للاموات خصوصا في صلاة الجنازة وقد توارثه السلف وهو مجمع عليه فلو لم يكن فيه نفع للاموات
لكان عيبا بل جاء في القرآن آيات كثيرة متضمنة للدعوات للاموات كقوله تعالى رب ارحمهما كما

زواجه بعد ان عدا اتخاذ القبور مساجد وابقاد السرج عليها واتخاذها أوثانا والطواف بها واستلامها
والصلاة اليها من الكبار وأورد الأحاديث الزاجرة عن ذلك تنبيه هذه الستة من الكبار ووقع في
كلام بعض الشافعية وكأنه أخذ ذلك مما ذكرته من هذه الأحاديث ووجه أخذ اتخاذ القبور مساجدا
منها واضح ثم بين دليل ذلك وقال بعده ومن ثم قال أصحابنا تحرم الصلاة الى قبور الأنبياء والأولياء
تبركا واعظاما ثم قال وكأنه قاس على ذلك كل تعظيم للقبر كابقاد السرج عليه تعظيما له وتبركا به
والطواف به كذلك وهو أخذ غير بعيد سيما وقد صرح بالحديث المذكور أنفا بل عن من اتخذ على
القبر سرجا فيحمل قول أصحابنا بذكر اهنة ذلك على ما إذا لم يقصد به تعظيما وتبركا به في القبور أو ما اتخذها
أوثانا فالنهي عنه بقوله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا قبوري وثنا يعبد بعدى أى لا تعظموه تعظيم غيركم
لأوثانهم بالسجود له أو نحوه فان أراد ذلك الامام بقوله واتخاذها أوثانا هذا المعنى اتجه ما قلناه من ان
ذلك كبيرة بل كفر بشرطه وان أراد ان مطلق التعظيم الذى لم يؤذن به كبيرة ففيه بعد نعم قال بعض
الحنابلة قصد الرجل الصلاة عند القبر متبركا بها عين المحادة لله ولرسوله وابداع دين لم يأذن به الله للنهي
عنهم اجماعا فان أعظم المحرمات وأسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجد وبناءها عليها
والقول بالكرامة محمول على ذلك اذ لا يظن بالعلماء تجويز فعل تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم
لعن فاعله وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التى على القبور اذ هى أضرم من مسجد الضرار لانها
أسست على معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه نهى عن ذلك وأمر صلى الله عليه وسلم بهدم
القبور المشرفة وتجب ازالة كل قنديل أو سراج على قبر ولا يصح وقفه ونذره انتهى والعجب كل
العجب ممن ألف رسالة أباح فيها جميع ما ذكرناه من اشراف القبور للصالحين وبناءها بالحصن والآجر
وتعليق الفناديل ووضع التوابيت عليها وسترها بالثياب الفاخرة مما ورد النهى الصحيح عنه ولعن
فاعله وما كفاه ذلك التجري على الله ورسوله ومخالفة ما نص الرسول على النهى عنه حتى جعل ذلك
سنة صالحة وطريقة فالحة وانها من شعائر الاسلام ولو لا الحياء لأباح في ذلك كل محرم وجعل نفسه

ربىانى صغيرا وقوله رب اغفرلى ولوالدى وللمؤمنين والمؤمنات وقوله ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان (قوله من مسجد الضرار) الذى هدمه صلى الله عليه وسلم كما روى ان بنى
عمر بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيهم
فخسدهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجد اعلى قصدا ان يؤمهم فيه أبو عامر الراهب اذا قدم
من الشام فاما ما تروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا الذى الحاجة والعلة
والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذ مصلى فاخذوا به ليقوم معهم فنزلت الآية وهى قوله تعالى
والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين الآية قد عامالك بن الدخشم ومعن بن

مشرعاً أجزأ من شرع شرعاً من عند نفسه سيما إذا كان بحكم وهمه وحده وكل هذه قياسات
 فاسدة وهمية قد خالفت القواطع الشرعية ولم يزل يتسع الخرق بهذا التساهل حتى هان عليهم القياس
 المخالف للأصول والدلائل مثلاً جاء فقيه فقال من عند ياته يجوز كتابة اسم صاحب القبر إذا كان ولياً
 صالحاً لا علام به جاء آخر فقال يستحب لأن فيه اعزاز الدين جاء آخر فقال وكذا بناؤده بالحص
 ورفع قياساً على ذلك ولأن في ذلك توقير الله وهو أمور به ثم جاء آخر فقال وكذا وضع التوايت
 وستره وتعايق القناديل عليه ولم يزل الأمر كذلك إلى أن أباحوا المحرمات مع أن القياس أن لا يؤخذ
 بكلام الفقيه إلا إذا كان مأخوذاً عن مقلده فإن أتى به من عنده لم يؤخذ به إلا إذا كان موافقاً لأصول
 مذهبه أو مدلاً بدليل من الكتاب والسنة الصحيحة فينتدئ يؤخذ به فكيف بمن قال قولاً من عنده
 وقد خالف به ما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم أنه ليس من دين الله لا شك أن قوله
 حينئذ مردود عليه وقد جوز بعض الشافعية ستر قبور الأنبياء بالحري رقياساً على الكعبة فجاء من
 بعده فقياس قبور الصالحين على قبور الأنبياء فجوز سترها بالحري وهكذا حتى اتسع الخرق ولم يبق من
 فرق وقد رد على الأولين الإمام عبد البر الأجهوري فقال مانعه ويجوز تزيين الكعبة بالحري تعظيماً
 لها والأوجه جواز تزيين قبر النبي صلى الله عليه وسلم بالحري وكذا سائر الأنبياء كما جزم به الأشموني
 جرياً على العادة المستمرة وكان شيخنا الزبائي يقول لم يستثنوا يعني الأصحاب إلا الكعبة وظاهره
 الحرمته حتى قبر ذلك الرجل الكبير يعني النبي صلى الله عليه وسلم ومثله بقية الأنبياء والأولياء وقال
 بعضهم مما يحرم ستر التابوت بالحري مطلقاً لأنه يشبه ستر الجدران بالحري وقال بعضهم هذا من باب
 التكفين فمن جاز تكفينه بالحري جاز ستر تابوته به والأفلا والمعتد الحرمته مطلقاً انتهى وبالجلة
 فالزيارة مشروعة على الوجه السني الذي فصلناه والبدع تختلف بحسب مذهبها وتعرف أحكامها
 من الكراهة والحرمه والكفر وغير ذلك من الأحوال التي أجريت فيها اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا
 اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه آمين (وأما ستر الرجال) إلى القبور الفاضلة فجوزه
 الكثير مستدلين بما روى الدارقطني والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وروى الطبراني في الكبير والوسط والدارقطني في
 أماليه وأبو بكر بن المقرئ في مجمه عن ابن عمر رضي الله عنهما ما مر فوعا من جاءني زائر لا تعمله
 حاجة إلا يارتني كأن حقاً على أن أكون له شفيعاً يوم القيامة وقد فهم من أورده عموم الزيارة في
 حياته وبعد وفاته وهذا الحديث أصح من الأول وفي سند الأول اضطراب واختلاف شديد بين
 المحدثين وروى ابن الجوزي في مشير العزم الساكن بأنظر من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن
 عدى وعامر بن السكن وغيرهم فقال لهم انطلقوا إلى مسجد هذا الظالم فاهدموه وأحرقوه ففعلوا

زارني في حياتي وصحبي رروي ابن عسدي في الكامل والماء ارقطني من حج البيت ولم يزرني فقد
 جفاني وادعي بعضهم الوضع في هذا الحديث ورد ماخرون رروي أبوداود الطيالسي عن عمر رضي
 الله عنه مرفوعا من زار قبري أو قال من زارني كنت له شفيعا وشهيدا ومن مات في أحد الحرمين
 بعثه الله عز وجل من الآمين يوم القيامة ومثل ذلك أحاديث كثيرة بطرق مختلفة رروي أبوداود
 بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا من أحد يسلم على الله على روي حتى أرد
 عليه السلام صدر به اليه في باب الزيارة واعتمد ذلك جماعة منهم الامام أحمد كما نقله السهمودي
 لتضمنه فضيلة رد صلى الله عليه وسلم وهي عظيمة وذكر ابن قدامة هذا الحديث من رواية أحمد بالفظ
 مام من أحد يسلم على عند قبري فان ثبت فالمسلم عند القبر امتاز بالموافاة بالخطاب المستدعي للرد
 وذلك قال الامام أبو عبد الرحمن عبد الله المتبري أحد كبار شيوخ البخاري هذا الحديث في الزيارة
 اذا زارني فسلم على ردا لله على روي حتى أرد عليه ويؤيد ان أصل السلام عرفا ما يوافق به المسلم
 عليه من قريب ويكنى به عن الزيارة وهو سلام التحية المستدعي للرد على المسلم بنفسه أو برسوله
 بخلاف السلام الذي يقصد به الدعاء منا بالتسليم عليه من الله تعالى سواء كان بلفظ الغيبة أو بالحضور
 وهو الذي قيل باختصاصه به عن الامة كالصلاة فلا يقال فلان عليه السلام وهذا الحديث استدله به
 البيهقي على حياة الانبياء قال والمعنى الا وقد ردا لله على روي حتى أرد عليه وقيل هو خطاب على قدر
 فهم المخاطبين من انه لا بد من رد الروح ليسمع فكأنه قال أسمعهم تمام السماع وأجيبهم تمام الاجابة مع
 دلالة الرد عليه السلام عند سلام أول مسلم ولم يرد قبضها بعده ولا قائل به تنو إلى موات لا تحصر أو ان
 الرد معنوي من الاستغراق في الشهود وفي هذا الاثر حيازة فضل رد السلام عليه مواجبة وقوله سرد
 السهمودي الآثار الدالة على حياته بينيته صلى الله عليه وسلم مع قوة النفوذ في العالم واستغنائه عن
 المؤلفات البشرية بخلاف غيره فانها قطع بوجود الادراكات لهم وعذاب القبر ونعيمه من الاعراض
 المشروطة بالحياة لكن لا تتوقف على البنية واذا ثبت حياته صلى الله عليه وسلم وصحت الاحاديث
 الحاتة على زيارته ومنها ما ذكره السهمودي في قصة بلال وان عمر بن عبد العزيز كان يريد البريد إلى
 المدينة للسلام عليه فلا نزاع في فضيلته اذ فيه حيازة فضائل عديدة من انبائه ونيل المواعود به وغير
 ذلك وقد أطل البحث والاعتصار السهمودي في كتابه خلاصة الوفا في أخبار دار المصطفى فقد ذكر كل
 حديث في الباب واستقصى جميع أقوال العلماء وافقهاء في هذا الشأن فان أردت استيفاء البحث
 فعليك به وقد منع آخرون شد الرحال إلى قبره صلى الله عليه وسلم مستدلين بقوله صلى الله عليه وسلم
 لا تشد الرحال الا إلى ثلاث الحديث ونقروا في هذا الاحاديث الواردة المفيدة لجواز شد الرحال

وانخذ مكانه كاسته (قوله الا إلى ثلاث الحديث) تمامه للجد الحرام والمسجد الأقصى

والكلام في ذلك طويل عريض والمقصود في ذلك جليل فاقداً نصف العلامة ابن حجر المكي وغيره
فقالوا الأولى لمن أراد المدينة المنورة أن يقصد بشدة رحله الصلاة في مسجد هالي يحصل له الأمر على
يقين وينال الأمرين من غير خلاف بين المسلمين وفقنا الله لرضائه وأدر عليه ناعوانه برأيه آمين
باب الثالث عشر في بيان حكم الهجرة من دار الكفر وكيف حكمها من دار امتثال بالنعاصي
فهجر فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكيف يعمن من ابتلى بمثل هذا وخاف على دينه
وخشى الاضطراب في يقينه

اعلم أولاً أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم من أبواب الدين وعليه مدار المؤمنين
وهم من شعب الإيمان الظاهرة وقرينان لا يفترقان وشعبتان مرتبتان لأن الأمر بالنهي
عن ضده والنهي عن ضده أمر به وكل منهما من أقوى شعب الإيمان بوجه وأضعفها بوجه آخر كما
روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكراً

ومسجدي هذا قال في اقتضاء الصراط المستقيم بعد نقله هذا الحديث عن الصحيحين ما لفظه
وهذا النهي يعم السفر إلى المساجد والمشاهد وكل مكان يقصد السفر إلى عينه للتقرب بدليل أن
بصرة بن أبي بصرة الغفاري لما رأى أبا هريرة راجعاً من الطور الذي كان الله عليه موسى عليه
السلام قال أورايتك قبل أن تأتيه لم تأت به لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة
مساجد فقد فهم الصحابي الذي روى الحديث أن الطور وأمثاله من مقامات الأنبياء مندرجة في
العموم وأنه لا يجوز السفر إليها كما لا يجوز السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة وأيضاً إذا كان السفر
إلى بيت من بيوت الله غير الثلاثة لا يجوز مع أن قصده لأهل مصره يجب تارة ويستحب أخرى وقد
جاء في فضل المساجد من الفضل ما لا يحصى فالسفر إلى بيوت عباده أولى أن لا يجوز اه (قوله
أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) المعروف اسم لكل ما يحبه الله من الإيمان والعمل
الصالح والمنكر اسم جامع لما نهى الله عنه (قوله لأن الأمر بالنهي عن ضده والنهي عن
ضده أمر به) قال تعالى ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر وقد أثنى الله تعالى على الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله كنتم خير أمة
أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فحصل ما فضلهم به على سائر الأمم أنهم
يأمرون وينهون ولعن قوم من بني إسرائيل فقد كراهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه (قوله
من رأى منكم الخ) أي علم إذا لا يشترط في الوجوب رؤية البصر بل المدار على العلم البصر أم لا ورأى
مستعملة في حقيقة أنها من الإبصار ويكون حكم المعلوم غير المبصر مقيساً على حكم المبحر بجماع أن
القصاص دفع مفسدة المنكر مطلقاً نعم من علم اختلاء جماعة بمنكر فإن كان نحو قتال أو زنا

فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وفي خبر آخر ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل قال الامام البيهقي في شعبه ما ملخصه الامر بالمعروف هو الحجة لان الرسل امرت بالمعروف والنهي عن المنكر هو الوقاية ببقى الناس من العذاب قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبان الذين ظالموا منكم خاصة أى أهل المنكر اذا لم يغير عليهم والمعروف والمنكر ضدان كالليل والنهار اذا ظهر هذا غاب هذا فان المعروف مأخوذ من العرف الذى هو العادة التى عرفها الناس وعاموها والمنكر هو الذى أنكرته العقول والقلوب عند رؤيته فان المعروف الحق الذى لم يزل ولا يزال هو الله تعالى ومخاوقاته فى الملك والمليكوت والعرش والجبروت لم يعرفوا الا اياه باولم تعرف طاعة الاطاعته فكان التعبد له والقيام بحقه هو المعروف فقط فاما خلق ابليس والثقلين وذريتهما وحدثت المعاصى عن أيديهم ما صار العصيان والمخالفات منكر أى أنكرته العقول والقلوب لانهم لم تألفوه ولم تعهده ولا كان له أصل فى العرف الذى تقدم عند الخلائق كلها ولهذا اذا جاءت القيامة وفنيت الدنيا التى ظهرت فيها المناكر لم يكن للمنكر أثر ولا وجود وانقاد وطاع أهل المنكر حين يرون ان القوة لله جميعا ولم يبق فى الوجود مقدار ذرة من العصيان لان الهوى المعبود الذى اتخذ الهام من دون الله وحسب الذين يتبعون الظن انه يضر وينفع فأطاعوه بغنى وجوده اذا ظهر الاله الحق فى الآخرة وقد شاهدت العقول حقيقته وأنكرت ان يكون عند غيره معنى من الالهية وما كانت

لا يستدرك لزم الهجوم لازالت وان كان فيه تسور جدار وان كان غير ذلك فلا لأنه تجسس وقد نهينا عنه قاله ابن حجر (قوله فان لم يستطع فبقلبه) رواده مسلم انما قدم التغيير باليد لكونه أقوى فى المنع وأما فى العمل فينبغى ان يقدم المنع بالقول ليكون أقرب الى تحصيل المطلوب رفقا عليه ثم فى الدفع بالقول حين ما يكون ألين يكون أحسن وان لم ينته بالقول فليغيره باليد فان قلت هذا الحديث مخالف لقوله تعالى عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قلت معنى الآية الزموا أنفسكم اذا فعلتم ما كلفتم به لا يضركم تقصير غيركم ومما كلف به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فن أمر ونهى ولم يمتثل به المخاطب لا يضره قيل هذا مختص بمن علم ان ما رآه منكرا بالنسبة الى الفاعل لأن الجاهل ربما يرى شيئا منكرا فى مذهبه ويكون جائزا فى مذهب الفاعل وقيل مختص أيضا بمن لا يفعل المنكر كيلا يدخل فى قوله تعالى أأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وردهذا بان النهى عن المنكر لدفع الأضرار عن الفاعل وهو لا يسقط بفعل الناهى المنكر غاية أنه ترك واجبا عليه وبه لا يسقط عنه الواجب الآخر وهو النهى (قوله ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل) ومنه يستفاد ان عدم انكار القلب للمسلم دليل على ذهاب الايمان منه ومن ثم قال ابن مسعود رضى الله عنه هالك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر أى لأن ذلك فرض لا يستخط عن

معصية قط لا يشرك خفي أو جلي واقبال على غير الله أو حب غير الله أو مشاهدة شيء يضر أو ينفع غير الله أو غفلة عن الله انتهى فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على من تعين عليه عينا فإن كانوا جماعة وجب على الكفاية فإذا قام به البعض سقط عن الباقي وإن لم يفعاوه كلهم أموا وكذلك من تمكن من العلم به ولم يغيره واستحق العذاب من تأهل للعلم ولو كان غير حاضر ويختلف ذلك بحسب اتساع البلد وتضييقها في الأحاديث الصحيحة الدالة على استحقاق من ترك ذلك شيء كثير منها ما روى عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي وهم يفسدون على أن يغيروا ولا يغيرون إلا أصابهم منه بعقاب قبل أن يموتوا وانظر إلى عاقرة الناقة كان واحدا من قوم صالح عليه الصلاة والسلام كما أخبر الله تعالى به حيث قال فنادوا أصحابهم فتعاطى فعقر وتبعه ثمانية وكانوا تسعة كما بينه الله تعالى بقوله وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون فانزل الله العذاب على قوم صالح فشمّل الأصغر والأكبر وكذلك سائر الأمم يشمل العذاب صغارهم وكبارهم ونساءهم وحيواناتهم فمن قاعدة العذاب إذا نزل بقوم يعم المستحق وغيره ثم يبعثون على نياتهم كما جاء في الصحيحين وغيرهما كما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت يا رسول الله إن الله تعالى إذا أنزل سطوته بأهل الأرض وفيهم صالحون أفهم يسكون بهلاكهم فقال يا عائشة إن الله إذا أنزل سطوته بأهل نقمته وفيهم صالحون فيصابون معهم ثم يبعثون على نياتهم والمرء لا يسمى صالحا إلا إذا أنكر بمقدار وسعه وأما من داهن ولم ينكر مع استطاعته فإنه يكون من الفاسقين لا من الصالحين وما ينبغي أن يعلم أن تغيير المنكر لا يختص بالحكام ولا يتوقف على

أحد بحال والرضى به من أقبح المحرمات أو أن ذلك أقل ثمرة قاله ابن حجر (قوله قبل أن يموتوا) وفي حديث آخر أن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة ولكن إذا عمل المنكر جهارا استحقوا العقوبة كالهم والأحاديث في ذلك كثيرة (قوله فنادوا أصحابهم) فدار بن سالف (قوله فتعاطى فعقر) اجتراً على تعاطى قتلها فقتلها أو فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشيء بتكاف (قوله يفسدون في الأرض ولا يصلحون) أي شأنهم الإفساد الخالص عن شوب الصلاح (قوله فشمّل الأصغر والأكبر) واليهائم من العذاب حين لم يشعروا عاقرة الناقة عن عقربها (قوله وكذلك سائر الأمم) الظلمة وقوله يشمل العذاب صغارهم إلى آخره ولهذا كان الله تعالى يأمر الأنبياء أن يخرجوا مع المؤمنين من بين قومهم قبل نزول العذاب مع كون القدرة صالحة لإنجائهم وإن قعدوا في أمّاكنهم لكن لا تبديل لسنة الله (قوله في الصحيحين) عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا أنزل الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم يبعثون على نياتهم (قوله وسعه) أي استطاعته (قوله لا من الصالحين) لأنه يكون راضيا والراضي بمنزلة العاصي فإن المنكر إذا ظهر

اذنهم بل يجب على كل أحد بحسب استطاعته وان لم يكن مأذونا من جهتهم سواء كان رجلاً أو امرأة
أو حراً أو عبداً كما عليه الاجماع لما في قوله صلى الله عليه وسلم من رأى منكراً فليغيره الحديث
المتقدم فقوله فليغيره أمر إيجاب بالاجماع وقوله من رأى منكراً عام شامل لجميع الأمة لكن قوله
تعالى ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر يدل على أنه
فرض كفاية والاشتغال بفرض الكفاية أفضل من الاشتغال بفرض العين لأن من يترك فرض
العين يختص هو بالآثم ومن يفعله يختص هو بإسقاط الفرض عن نفسه وأما فرض الكفاية فلو ترك
يآثم الجميع ولو فعل يسقط الآثم عن الجميع ففعله ساع في صيانة جميع الأمة عن الآثم فعلى كل مسلم أن
يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بمقدار طاقته ثم إن كان الوالي راضياً بفعله فيها وإن لم يرض
فسخطه منكر يجب الانكار عليه وجميع العلماء على دخول الأمراء والسلاطين تحت ذلك وكيف
يحتاج إلى اذنهم في الانكار عليهم وعلى هذا مضى سلف الأمة فكانوا ينكرون على الأمراء
والسلاطين كما هو مشهور لكن ينبغي أن يراعى فيه التدريج فيبدأ أولاً بالأسهل الأرفق كالوعظ

بين الناس يجب على من رآه أن يغيره فإذا لم يغير فكأنهم عاصون بعضهم برضائه وبعضهم بتعاطيه
(قوله وإن لم يكن مأذوناً من جهتهم الخ) نعم إن خشي من عدم استئذان الإمام فسد راجحة أو
مساوية من انحرافه عليه بأنه افتات عليه لم يبعد وجوب استئذانه حيثئذ قاله ابن حجر (قوله أمر
إيجاب) ووجوبه ثابت بالشرع لا بالعقل خلافاً للعتزلة (قوله فرض كفاية) إن علم به أكثر من
واحد والا فهو فرض عين (قوله أفضل من الاشتغال بفرض العين) وهو ما عليه الأستاذ أبو
اسحق الأسفرائني وإمام الحرمين وأبو الشيخ محمد الجويني وهو المشهور وإن قال الجلال المحلى في
شرحه على جمع الجوامع ما قال (قوله فعلى كل مسلم أن يأمر بالمعروف الخ) لا شك أن من قام مقام
جميع المسلمين في إقامة مهمهم من مهمات الدين يكون أفضل ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من أمر
بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله تعالى في أرضه وخليفة كتابه ورسوله وإنما كان كذلك
لأن الأنبياء ما بعثوا إلا لأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمن تبعهم وأمر ونهى كان نائباً عنهم في
هذا الأمر العظيم (قوله تحت ذلك) أي العموم (قوله كما هو مشهور) في حكايات كثيرة مستورة
في التواريخ بالانكار (قوله فيه) في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (قوله فيبدأ أولاً
بالأسهل الأرفق الخ) وينظر إلى العاصي بنظر الرحمة ويرى أقدامه على المعصية صيبة على نفسه
لكون المسلمين كنفس واحدة فإن من أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر فهو على شفير جهنم
فإياك أن تدفعه في قعر جهنم إذ قد يتعلق بك فتقع معه فيها وذلك أنك إن أمرته بالغاظ فلعابه تقوى
عليك بالأذى باليد واللسان فتكون قد زدته شراً على شره فتهلك به بعد أهلاكه نفسك

والنصيحة والتخويف بالله فإن لم يرجع أغلظ له الكلام وسبه من غير خش مثل يافاسق أو يباحل
أو يامن لا يخاف الله تعالى وليحذر في استرسال غضبه من كذب صريح وخش قبيح وليحذر مما
يفعله كثير من الاسترسال في الضرب بعد زوال المنكر فإن ذلك لما حاكم فقط فإن لم يقدر بفعله
ككسر أو إني الحروا آلات الله وغير ذلك ولا بقوله على ما فصل بحسب الانكار بقلبه بأن يحزن
ويكره ذلك ويود أن له قدرة فيغيره وهذا أمر صعب فإنه يظهر في كل حين وزمان كثير من
المنكرات فلا تغير بل يقع السكوت عنها لاستئناس النفوس بها وكما وجد منه كبر وجاء بعده غيره
صار سنة قد ألفتها النفوس فكانه قد زالت منكريته قال بعض العلماء والله ما بالي بكثرة المنكرات
والبدع وإنما أخاف من تأنيس القلب بها ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم وذلك أضعف الإيمان
أخبرني هذا الحديث أن التغيير بالقلب أضعف الإيمان وهو ما يجده المؤمن في قلبه من البغض لذلك
الفعل المرئي وانزعاجه وقلقه وهو في الغالب إنما يحصل فيما يندرو وقوعه وأما الأشياء التي تشهد في
كل حين وزمان فتستأنسها النفس فلا يوجد في القلب القلق والانزعاج الذي هو أضعف الإيمان
ويريده وضوح ما ذكر في قوت القلوب أن الحسن البصري قال أول بدعة رأيتها بليت الدم ثم بعد
ذلك بليت أصفر ثم عاد الأمر إلى العادة فإنه لقوة إيمانه ورؤيته ما لم يعهده قوى انزعاجه حتى تغير
مزاجه وظهر أثره في مائه فلما استمرت تلك البدعة ولم يقدر على تغييرها تغير ذلك الانزعاج الأول
لاستئناس النفس بها وبقي عنده من الانزعاج قدر ما يلزمه من التغيير بالقلب الذي لا يسقط بوجه
من الوجوه قال العلامة ابن حجر المكي في شرح الأربعين النووية ينبغي لطالب الآخرة والساعي
في رضا الله عز وجل أن يعتني بهذا الباب فإن نفعه عظيم ولا ينبغي له أن يهاب من ينسكرك عليه لارتفاع
مرتبته فإنه سبحانه وتعالى قال ولينصرن الله من ينصره والأجر على قدر النصب ولا يحجابي نحو
صديق فإن حق الصديق أن ينصح صديقه ويهديه إلى مصالح آخرته وينقذه من مضارها ويسعى في
عمارة آخرته وإن نقصت دنياه ثم قال ومما يتساهل فيه الناس أنهم يرون من يبيع المعيب فلا يبينونه
للمشتري ولا ينسكرونه على البائع وهم مسؤولون عنه والدين النصيحة انتهى فقد علم بما تقدم أن الأمر

(قوله اغلظ له) بالوعظ والنصيحة (قوله أو يامن لا يخاف الله تعالى) ونحو ذلك ويراعى فيه الصدق
فإن مثل هذا الكلام صدق في الحقيقة إذا كل من يرتكب المنكر فاسق جاهل لا يخاف الله تعالى
(قوله وغير ذلك) كمنع ظالم من نحو ضرب (قوله وظهر أثره في مائه) فإن مزاج الإنسان
إذا تغير يظهر أثره في مائه ألا ترى الأطباء يستدلون على داء المريض برؤية مائه (قوله بوجه من
الوجوه) إذا لم يمنع منه وذلك أضعف الإيمان (قوله في شرح الأربعين النووية) ناقلا
عن المصنف (قوله والدين النصيحة) ومن لم ينصح فقد غش وقد نص العلماء على أنه يجب على

بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان باليد فان لم يقدر فباللسان ولا يكفي اللسان مع القدرة عليه
 باليد كما انه لا يكفي الانكار بالقلب مع القدرة باللسان وأقل الايمان الانكار بالقلب بمعنى ان
 التقرب الى الله بالأمر والانكار الخاصين بالقلب ليس كالتقرب الذي في اليد واللسان وقد ذكر
 النبي صلى الله عليه وسلم ضعف هذا التقرب القلبي بقوله وذلك أضعف الايمان ليعلم المكاف حقارة
 ما حصل له في هذا القسم فيعرض الى غيره ثم انه كما يجب الأمر والنهي في الواجبات والمحرمات
 يستحبان أيضا في المندوبات والمنكر وهاتولذلك شروط مذكورة في المطولات قال العلامة ابن
 حجر في شرح المنهاج والكلام في غير المحتسب اما هو فيمنكر وجوبه على من أدخل بشئ من الشعائر
 الظاهرة ولو سنة كصلاة العيد والأذان ويلزمه الأمر بهما وليسكن لو احتيج في انكار ذلك لقتال لم
 يفعله الأعلى انه فرض كفاية وبهذا يجمع بين متفرقات كلماتهم انتهى وقال الامام الحلبي في
 شعب الايمان ورأس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الدعاء الى الاسلام والقتال على الكفر
 والأصل ان يقوم بهما سلطان المسلمين لان اقامة الحدود والتعزيرات اليه والحبس والاطلاق له
 دون غيره فينبغي له ان ينصب في كل بلد وقرية رجلا صالحا قويا عالما أميناً يأمره بمراعاة ما يجري من
 الأحوال فلا يسمع منكر الا غيره ولا يترك معروفاً محتاجاً الى الأمر به الأمر به ولا حد واجب على
 فاسق الا اقامه ولم يعطه وكما لا ينبغي ان يعطى احد ابعدا ما وجب لا ينبغي أيضاً ان يسرف في ذلك فيحد
 أو يقطع أو يقتل من غير وجوب ويسمى ذلك سياسة فليس بممكن ان يكون أحد أعلم بمصالح العباد
 وطريق سياستهم من الله تعالى فلو علم ان الحدود التي شرعها لا آت كفي لراد فيها هذا وقد قال صلى الله
 عليه وسلم لعن الله من بلغ حد في غير حد فهو من المعتدين وكل من جمع بين العلم والصالح فعليه ان
 يدعو الى المعروف ويرجز عن المنكر بقدر طاقته فان أطاق ابطال المنكر بنفسه أو باستعانة غيره
 فعليه ما يطيقه الا ما كان طريقه الحد والعقوبة فان ذلك للسلطان لا غير وان لم يطق الا القول قال
 أو الانكار بالقلب أنكر وكذلك الأمر بالمعروف يتصور فيه الفعل والقول والارادة بالقلب قال
 صلى الله عليه وسلم من رأى منكر الحديث فقله فيه وذلك أضعف الايمان أي أضعف الايمان
 الذي هو انكار المنكر فلا يرد الاشكال بأن هذا الحديث جعل فيه الانكار القلبي آخر درجات
 الايمان وفي قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة قد جعل أدناها إمطة الاذى ويجوز
 ان يفرق بين الأضعف والأدنى بأن الأدنى ما بعد عن معاني القرب وان كان مرجعه اليها والأضعف
 ما يظهر وجه القربة فيه الا انه يكون من نوعه ما هو أقوى منه كإنكار المنكر باليد ابطالاً له ومعاقبة
 لتعاطيه وإنكاره باللسان زجراً عنه فان كلا منهما أقوى من إنكاره بمجرد القلب مع ظهور القربة

من علم ذلك ان ينكر على البائع ويعرف المشتري

فيه رجوعه الى تعظيم أمر الله والتهيب له وهو فرض مكتوب على المكلف بخلاف امانة الأذى عن الطريق فانها بعيدة من معاني القرب ووجه القربة فيها أن لا يؤذى مسلم ومعلوم أنه يمكن السلامة منه مع عدم الاماطة واذا اطمأنت فلا يسلم منه المسلم وحده بل كل ما في ذلك الطريق مسلم ما كان أو كافرا فلا يمكن القطع بأن ما فعل حصل منه النفع للمسلمين أو ان حصل كان لهم دون أعدائهم ثم هو في نفسه خفيف الكلفة لا يكاد يكون في القرب أخف منه فلهذا كان أدنى شعب الإيمان وكان أقل من أضعف الإيمان الذي هو انكار المنكر في القلب ثم قال وينبغي للمصلحين في جميع الاوقات ان يجانبوا المفسدين ولا يخالطوهم بضيافة وغيرها ولا يشاوروهم ولا يصغوا اليهم فان ذلك نوع استدلال لهم يرجي ان يردهم عن الباطل الذي هم فيه انتهى وقد تبين لك ان من خاف على دينه حيث تعطل أمره فشاعت المنكرات وتركك الابدات وحكمت العادات ان يتجنبهم الا القدر الذي تدعوه اليه الضرورات ومع ذلك فليبعضهم في الله وليهجرهم لله ولا يستأنس بهم وليضطرب قلبه على قدر إيمانه بالله وغيرته على ارتكاب معصية الله فلا ينكار بالقلب فرض عين لا يتصور ان يكون فرض كفاية وكما بعد عنهم قوى إيمانه بالله وكان من صرف توفيق الله قال الامام الحلي عنده مباحة الكفار والمفسدين شعبة من شعب الإيمان ما ملخصه بعد ان سرد الآيات الدالة على ان المسلم لا ينبغي ان يواد كافرين كائنا من كان وأشد الآيات على ذلك قوله تعالى ومن يتولهم منكم فإنه منهم فليجتهد أن لا يكون من قلبه ولا من لفظه ولحظه بالميل اليه نصيب وليكن عليه أشد منه على قائل أبيه أو ابنه وكيف لا وقد علم انه عدو الله وعدو رسوله وعدو المسلمين قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء فاذأفكر المؤمن في حال الكافر وأنه يتسكك في الله تعالى بما لا يرضاه ويكذب رسوله ويتسكك فيه بما أجل الله عنه قدره وجب ان يكون ذلك أشد عليه من ان يناله بما يكره في نفسه أو والديه أو ولده فلا يزور كافرا ولا يعودده اذا مرض الا ان يتألفه فاذا دخل

(قوله عن الباطل الذي هم فيه) الى الحق الذي تركوه (قوله قال الامام أبو عبد الله) الحلي في المنهاج (قوله بعد ان سرد الآيات الخ) منها قوله لا تتخذ المؤمنون الكافرين أولياء وقوله لا تتخذ قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم الى غير ذلك مما ذكر (قوله فانه منهم) أي ومن والاهم منكم فهو من جلتهم وهذا التشديد في وجوب مجانبتهم كما قال صلى الله عليه وسلم انا بريء من أهل ملتين تراءى نارهما كما يأتى في كلام البيهقي (قوله أولياء) فتعقدوا عليهم وتعاشروهم معاشرة الأحياب (قوله الا ان يتألفه) بذلك على الاسلام قال الله تعالى ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة أو يكون جارا له فيكون في عيادته مراعاة حق الجار أو يخافه

عليه لم يدع له بالعافية الا ان يقرنها بالهدى ولا يبدأ بسلام ولو بغير لفظه الشرعي لان في ذلك تأنيسا له
وينبغي ان ياجأه في الطريق الى ارضه ففي الحديث اذا القيمت المشركين في الطريق فلا تبدؤهم بالسلام
واضطروهم الى اضيقة ولا يصاحفه فان مد الذمى يده اليه اعطا يده في كفه واذا رأى على وجهه كافرا أو
ثوبه قد اذ لم يطها عنه ولا يقدمه على نفسه في مدخل ولا مخرج ولا يخاطبه الا بما يخاطب به ولا يطعمه
من طعامه ولا يعيره ثوبا أو قدام أو مداد اليه يكتب به الباطل ولا يزور اذا قدم من سفر ولا يهنيه بعينه
ولا ينبغي للامام ان يسامحهم في أمر الغيار وشدة الزنا وركوب الخيل ويمنعهم من اظهار كفرهم واسماع
مقالاتهم للمسامين و يمنع المسامين من الاصغاء الى ذلك الا ان يجادل المسلم مشركا رغبة في اسلامه
ولا ينبغي للمسلم ان يقبل هدية مشرك لان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا لا تقبل زبد المشركين
ويحتمل ان يكون ذلك لان الهدية تعاقب بالقب فتميله وربما يرد مكافأته فيصير ذلك من جواب
المودة ولا يوادهم أو يفشي اليهم سرا ولا يتوكل عليهم في محاصمة ولا ينبغي للمسلم ان يتكفل عن كافر
مالا لا يحبس وليتحرر المسلم ان لا يكون جار الكافر لقوله صلى الله عليه وسلم لا تترأى ناراهما أي
يرى هذا نار ذلك وذلك نار هذا ولا ينبغي للمسلم ان يساط كافر اعلى مسلم فتوكل ونحوه فان في ذلك

(قوله الا ان يقرنها بالهدى) فيقول شفاك الله وهداك أو أقامك مهديا في عافية ونحو ذلك (قوله)
وينبغي ان يلجئته في الطريق) وجوبا عند ازدحام المسامين فيه (قوله الى ارضه) لكن
يحيث لا تاذى بنحو وقوع في هدة أو صدمة جدار (قوله اعطا يده في كفه) ولا ينتظر ان يكون
هو النازع ليدع كافي فعله بالمسلم (قوله ولا يقدمه عليه في مدخل ولا مخرج) ولا يرفع مجلسه
ولا يلقي له وسادة ولا يعينه على كروب ولا يقوم له من مجلسه (قوله الا بما يخاطب به) ولا يهدي
اليه مالا (قوله ولا يعيره ثوبا) يشهد فيه الكنيسة أو البيعة أو بيت النار أو يقرأ فيه المحرف
من التوراة أو الانجيل (قوله اذا قدم من سفر) الا ان يكون جاره (قوله ولا يهنيه بعينه)
أو يروا أو مهرجان ولا يتابعهم على شيء مما يفعلونه في هذه الأوقات (قوله الزنا) وهو خيط
غليظ فيه ألوان يشد بالوسط (قوله وركوب الخيل) لما فيها من العز والفخر (قوله واسماع
مقالاتهم للمسامين) كقولهم بالاقانيم الثلاثة وقولهم في عزير والمسيح انهما ابنا الله والقرآن انه ليس
من الله وغير ذلك (قوله فتياله) أي نحو المهدي (قوله وربما يرد مكافأته) لانها تقيض
المكافأة فاذا وقع التهديد بين مسلم وكافر فيصير الخ (قوله في محاصمة) مسلم قال تعالى ولا تكن
لخائنين خصيما ولا يضمن عن كافر جزية ليخفف عنه بضمانه أو يدفع به صغارا عنه (قوله ان
لا يكون جار الكافر) وينأى عنه ما أمكن فان حدث له جار كافر فلا بأس باستقراره في موضعه
(قوله ناراهما) أي لا ينبغي ان ينزل المسلم بقرب الكافر فيرى الخ

صغار الاخوانه المسلمين ولا يعمل الوالى منهم جلاد او نحوه فانه يتشقى بما يناله من المسلمين ولا ينبغي
للمسلم ان ينظر في كتب المشركين ومقالاتهم قبل ان يحكم قواعدين الله ويرسخ في علمه ويستبصر
بأصوله وحججه فيكون نظره حينئذ على بصيرة قاصده بذلك ان يريه الله تعالى فضائلها وقبائحها
فيزيل الشبهات ويكشف عن وجوه الضلالات في تلك المقالات والفساق في كثير من المعاني التي
مر ذكرها كالكفار فلا ينبغي ملاينتهم لان ملاينة العدل للفاسق تجبره وتنقص من عدالة العدل كما
ان ملاينة المسلم للكافر نقص من اسلامه فلا يجوز له ذلك ومن ملاينة الفاسق ان يراه متجاهرا
بفسقه وهو يقدر على ردعه فلا يردعه لحاجة له عند رعاها وذلك قبيح لانه باع دينه بدينار وذلك
منه خيانة للامانة والحذر كل الحذر من الدخول على الظامة انتهى وبالجملة فكل من الكافر
والفاسق المتجاهر بفسقه لا تجوز موالاته وموالاته بوجه من الوجوه الا لضرورة دعت فيباح له قدر
الذي يدفع ضرورته الا انه يكره الكافر لكفره والفاسق المتجاهر بفسقه هذا ما كان من أحكام
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الاجمال وقد ضيع ذلك من أزمته متطاوله فلم تبق في قلوب
المؤمنين الا الكراهة التي هي من صرف الايمان حيث لا مقر ولا مقر فكراهة كل ما لا يرضى الله
طاعة وايمان كما انه لو أحب ذلك واستحسنه كان كفرا وخسرانا وليستغث المسلم بربه ان يثبتته على
الدين القويم ويهديه الصراط المستقيم ويصرف عن قلبه الاستئناس بكل قول سقيم أو فعل وخيم
وهذا بعض من الكلام في هذه الأحكام (وأما أحكام الهجرة) فقد قال العلامة ابن حجر المديني
في شرح المنهاج ما اخصه والمسلم بدار كفر أي حرب والظاهر ان دار الاسلام التي استولوا عليها
كذلك ان أمكنه اظهار دينه وأمن فتنة فيه ولم يرج ظهور الاسلام بمقامه فيه استحب له الهجرة الى
دار الاسلام لئلا يكثر سوءادهم وورع كادوده والالم تجب لقدرته على اظهار دينه ولم تحرم لان من شأن
المسلم بينهم القهر والمجزوم من ثم لورجى ظهور الاسلام بمقامه كان مقامه أفضل أو قدر على الامتناع

(قوله من المسلمين) وذلك صغارهم (قوله كما ان ملاينة الخ) أي من غير عذر (قوله خيانة للامانة)
ودخول في جملة أهل الخيانة وقد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم
(قوله من الدخول على الظامة) كما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما بعث الله من نبي الا كان
بعده خلفاء يقولون ما يفعلون ويفعلون ما يؤمرون وسيكون بعدى أمر ايعقولون ما يفعلون
ويفعلون ما لا يؤمرون قالوا كيف نصنع يا رسول الله قال من اعترضهم سلم ومن فارقههم نجا ومن كان
معهم هلك (قوله اظهار دينه) لشرفه وأشرف قومه (قوله أو قدر على الامتناع) والاعتزال وفيه ما
ذكره ابن قاسم بانه قد يقتضى وجوب المقام على الامام أو نائبه مع من معه من المسلمين اذا دخلوا دار
الحرب وقدر على الامتناع كما هو الغالب ولم يختل أمر دار الاسلام بمقامهم هناك ولا يخلو عن البعد

ولم يرج نصره المسلمين بالهجرة كان مقامه واجبا ثم انه فصل حكم دار الاسلام بعد ارجاعها هل
 تعود أملاك المسلمين اليهم كما كانت أم تصير دار حرب فاطال في المقال وآخر ما قال مانصه فكل ما هم
 صريح فيما ذكرته ان ما حكم بأنه دار اسلام لا يصير بعد ذلك دار كفر مطلقا وقال أيضا ولا يمكنه
 اظهار دينه أو خوف فتنة في دينه وجبت الهجرة ان أطاقها وأثم بالاقامة ولو امرأة وان لم تجد
 محرما لكن اذا أمنت على نفسها أو كان خوف الطريق دون خوف الاقامة فان لم يعطها فعند رلقوله
 تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم الآية والخبر الصحيح لا تنقطع الهجرة ما قوتل
 الكفار وخبر لا هجرة بعد الفتح أى من مكة لانها صارت دار اسلام الى يوم القيامة واستثنى من في
 اقامته مصلحة للمسلمين أخذ ما جاء ان العباس رضى الله عنه أسلم قبل بدر واستمر مخفيا اسلامه الى
 فتح مكة يكتب باخبارهم الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان يجب القدوم عليه فيكتب له ان مقامه
 بمكة خير والاستدلال بذلك يتوقف على ثبوت اسلامه قبل الهجرة وانه صلى الله عليه وسلم كتب
 اليه ذلك ولم يثبت كل ذلك وهو قد كان آمنا غير خائف من فتنة ومن هو كذلك لا تلزمه الهجرة فلا
 دليل في ذلك أصلا وذكر صاحب المعتمد ان الهجرة كما تجب هنا تجب من بلد اسلام أظهر بها حقا
 أى واجبا ولم يقبل منه ولا قدر على اظهاره ويوافق قول البغوى في تفسير سورة العنكبوت يجب
 على كل من كان ببلد يعمل فيها المعاصي ولا يمكنه تغييرها الهجرة الى حيث تنهيها له العبادة لقوله تعالى
 فلا تقعد بعد الذكري مع القوم الظالمين نقل ذلك جمع من الشراح وغيرهم منهم الأذرى والزركشى
 وأقروه وينازع فيه بما مر في الوليمة ان من بجواره آلات له لا يلزمه الانتقال وعمله السبكي بان في
 مفارقة داره ضرر عليه ولا فعل منه فان قلت ذاك مع النقلة يصدق عليه انه في بلد المعصية فلم يلزمه
 بخلاف هذا فانه بالنقلة يفارق بلد المعصية بالسكنية قلت قضية هذا بل صريحه ان ذاك يلزمه الانتقال

فليتأمل اه (قوله واجبا) لان محله دار اسلام فلو هاجر لم يدار حرب ثم ان قدر على قتالهم
 ودعائهم للاسلام لزمه والا فلا (قوله مطلقا) وقد ذكر الائمة الحنفية في ذلك تفصيلا حسنا قال في
 التنوير وشرحه للعلائي ما لفظه لا تصير دار الاسلام دار حرب الا بامور ثلاثة باجراء أحكام أهل الشرك
 وباتصالها بدار الحرب وبان لا يبقى مسلم او ذمى آمنا بالامان الاول على نفسه ودار الحرب تصير دار
 اسلام باجراء أحكام أهل الاسلام فيها الجمعة وعيد وان بقي فيها كافرا أصلي وان لم تتصل بدار الاسلام
 اه ومثله في الدرر (قوله فلا دليل في ذلك أصلا) قال ثم رأيت شيخ الاسلام الحافظ في الاصابة قال
 في ترجمته حضر بيعة العقبة مع الانصار قبل ان يسلم وشهد بدرا مع المشركين مكرها فافتدى نفسه
 وعقيل اورجع الى مكة فيقال انه أسلم وكنتم قومه ذلك فكان يكتب الاخبار اليه صلى الله عليه وسلم
 ثم هاجر قبل الفتح بقليل اه وهو صريح فيما ذكرته ثم قال وذكر كراخ (قوله بعد الذكري)

من البلد وهذا الم يلزمه به لانه اذا لم يلزمه من الجوار فالولى البلد على ان قضية كلام السبكي المذكور
انه لا نظر لبلد ولا لجوار بل لاشقة وهي في التحول من البلد اشق وبفرض اعتماد ذلك فيجب
تقييده بما اذا لم يكن في اقامته مصلحة للمسلمين اخذ من نظيره في الهجرة من دار الكفر بالأولى ثم
رأيت البلقيني صرح به وبأن شرط ذلك أيضا ان يقدر على الانتقال لبلد سالمة من ذلك وان يكون
عنده المؤمن المعتبرة في الحج والحاصل ان الذي يتعين اعتماده في ذلك ان شرط وجوب الانتقال
بهذه الشروط المذكورة ان تظهر المعاصي المجمع عليها في ذلك المحل بحيث لا يستحي أهلها منهم من
ذلك تركهم ازالتهام مع القدرة لان الإقامة حينئذ هم تعذاعة وتقرير الهم على المعاصي انتهى
قال البيهقي في شعبه عند ذكر الهجرة مانصه فالظاهر منها أي من الهجرة هو الفرار بالجسد من الفتن
لقول النبي صلى الله عليه وسلم ان ابري من أهل ملتين تترأى نارهما فقبراً النبي صلى الله عليه وسلم
منهم لعدم هذه الشعبة فيهم وهي الهجرة فهي اذا من أعظم شعب الإيمان ولقول النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم وقد ذكر الفتن فقال لا يسلم لذي دين دينه الا من فر من شاق الى شاق وقال الله تعالى ان
الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا لم تكن
أرض الله واسعة فتهاجروا فيها الآية وفي البخاري والفرار من الفتن من الإيمان فما كان من الإيمان
فهو من شعبه بلا شك فالفرار ظاهر من بين ظهراني المشركين واجب على كل مسلم وكذلك كل
موضع يخاف فيه الفتنة في الدين من ظهور بدعة أو ما يجري الى كفر في أي بلد كان من بلاد المسلمين
فالهجرة منه واجبة الى أرض الله الواسعة انتهى قال الامام الغزالي بعد سوقه كلاما كثيرا عن
السلف مانصه فهنا يدل على ان من بلى ببلدة يكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا عذر له في المقام بها
بل ينبغي ان يهاجر قال الله تعالى لم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منعه من ذلك عيال أو
علاقة فلا ينبغي ان يكون راضيا بحاله مطمئن النفس بل ينبغي ان يكون منزعج القلب منها قائل على
الدوام ربنا أخرجننا من هذه القرية الظالم أهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل البلاء ود مر على الجميع
وشمل الطائعين والعاصين انتهى وقال الامام الخليلي في شعب الإيمان مانصه ومن الشرح بالدين

أي بعد ان تذكره (قوله ظالمى أنفسهم) أي في حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة وموافقة
الكفرة (قوله قالوا) أي الملائكة تويناها لهم (قوله فيم كنتم) أي في أي شيء كنتم من
أمر دينكم (قوله قالوا) كما مستضعفين في الأرض اعتذروا بما وبخوابه بضعفهم وعجزهم
عن الهجرة وعن اظهار الدين واعلاء كلمته وقوله قالوا أي الملائكة تكذبتهم أو تكبتوا وقوله
فيها أي الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحشة (قوله الآية) أي افرأها وهي
قائلك مأواهم جهنم وساءت مصيرا (قوله توفاهم) يحتمل الماضي والمضارع بحذف التاء

ان يهاجر المسلم من موضع لا يمكنه ان يوفي الدين فيه حقوقه الى موضع يمكنه فيه ذلك فان أقام بدار
الجهالة ذليلة مستضعفا مع امكان اتقائه عنها فقد ترك فرضا في قول كثير من العلماء لقوله تعالى ان
الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم الآية لا يقال ليس في الآية تصريح بذكر المؤمنين فيجوز ان
يكون المراد بها الكافر الذي مال الى الايمان وأيضا فانها نزلت قبل فتح مكة فلما فتحت قال صلى الله
عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية لانا نقول ذكر العفو عمن استثنى منهم يرد ذلك فان
الله تعالى لا يعفو عن الكافر وان عزم على الايمان مالم يؤمن وقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد
الفتح معناه لا هجرة من مكة بعد ان صارت دار اسلام فلا يدل على نفي وجوب الهجرة من غيرها اذا
لم يمكن إقامة الدين فيه فانه كمكة قبل الفتح ولو صارت مكة والعياذ بالله بحيث لا يمكن المقيم بها إقامة
دينه وجبت الهجرة منها أيضا لانها انما وجبت منها أولا لهذا المعنى حيث وجدت هذه العلة ثبت الحكم
وكل بلد ظهر فيه الفساد وكانت أيدي المفسدين أعلى من أيدي أهل الصلاح أو غلب الجهل على أهله
وسعت الأهواء فيهم وضعفت العلماء وأهل الحق عن مقاومتهم واضطروا الى كتمان الحق خوفا على
أنفسهم من الاعلان به فهو كمكة قبل الفتح في وجوب الهجرة منه عند القدرة عليها ومن لم يهاجر
منه والحالة هذه لم يكن من الأشحاء بدینه بل من السخاء به المتساهلين فيه انتهى وقال في المجالس
والمهاجر ليس من هاجر من مكة الى المدينة قبل فتح مكة فقط حتى تنقطع الهجرة بعد فتح مكة بل
الهجرة باقية الى يوم القيامة لانها اتت قال من الكفر الى الايمان ومن دار الحرب الى دار الاسلام ومن
السيئات الى الحسنات وهذه الأشياء باقية مادام التكليف باقيا فالهجرة الكاملة هو الذي يترك
جميع ما نهى الله تعالى عنه من المعاصي ويستغل بما أمر الله تعالى به من محاسن الأعمال كما جاء في
حديث آخر انه عليه الصلاة والسلام قال المهاجر من هجر ما نهى الله تعالى عنه فانه عليه الصلاة
والسلام بين في هذا الحديث ان الهجرة التامة الكاملة هي هجران الفواحش والمنكرات والجد
في الطاعات والعبادات لكن ينبغي ان يعلم ان صحة الطاعات والعبادات موقوفة على صحة الاعتقاد
لان الايمان أصل والعمل فرع والعبد اذا لم يعرف ما الايمان والهداية لا يعرف ما الكفر والضلالة
فتارة تجرى على لسانه كلمة التوحيد على طريق الاعتقاد لا بالعلم والاعتقاد وتارة تلفظ بألفاظ الكفر
فيدخل في حيز الارتداد ومن كان في الاعتقاد بهذه المرتبة لوبقى ألف سنة في الصوم والصلاة لن
وقرى توفاهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة أنفسهم فيتوفونها أي يمكنهم
من استيفائها فيستوفونها (قوله فانها نزلت الخ) في ناس من مكة أساءوا ولم يهاجروا حين كانت
الهجرة واجبة (قوله عمن استثنى منهم) حيث قال تعالى الا المستضعفين من الرجال والنساء
والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا
غفورا (قوله بعد ان صارت دار اسلام) وزال المعنى الموجب للهجرة منها (قوله والعبادات)

ينفعه ذلك الاعتقاد يوم العرض الأكبر ومصيره إلى النار ومن زعم أنه مسلم وتقاعد عن تعلم قدر ما هو فرض عين عليه من الإيمان لا يوجد فيه من الإيمان إلا مجرد الدعوى وهذا النوع من الإيمان إنما يظهر فائدته في الدنيا حيث لا يؤخذ منه الجزية كما تؤخذ من الكفار لكن يتعذر له الوصول في العقبي إلى درجة الأبرار فإن العبد بمجرد الاتيان بكلماتي الشهادة وتقرير الفاظ الإيمان على طريق العادة وعد نفسه من المؤمنين من غير فهم معناها لا يصير مؤمنا بينه وبين الله تعالى حتى يصدق بقلبه جميع شرائعه وينقاد في جميع أحكامه ولا يتشكك ولا يتردد في شيء منها ولو جود هذا التصديق والانقياد في القلب علامات منها أن لا يفرغ عن أمر دينه بل يسعى في إصلاحه بتعاهده من أهله والعمل به ومنها أن لا يشق على قلبه إذا أخبر عن شيء من أمر دينه ولا يتهاون به ولا يتكبر عنه بل يقبله ويطيعه وإن كان ذلك الأمر في غاية الصعوبة والمخبر في غاية الخسارة ومنها أن لا يكون هو أميرا والشرع تابعه بل لا يأخذ من الشرع شيئا إلا ما يوافق هواه بل يجب أن يكون الشرع أميرا وهو هو أسير أفلا يأخذ من هواه ومراده شيئا إلا باذن الشرع وإن كان فيه نقصان المال والجاه والعرض كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به فإذا وجد في العبد تلك العلامات كان مؤمنا حقا وهذا هو الإيمان المنجى من العذاب الأبدى لكن بشرط التحفظ من جميع ما يهدم هذا التصديق وينافيه مما يجري على قلبه ولسانه وسائر جوارحه مما يوجب الكفر فإن الإيمان لا يزول إلا بالكفر والكفر ثلاثة أنواع النوع الأول كفر جهلي وسببه عدم الأصغاء وعدم الالتفات وعدم التأمل في الآيات والدلائل مثل كفر العوام فإن أكثرهم لا يعرفون ماوجب عليهم معرفته من عقائد الإيمان بل بعضهم ينطق بكلماتي الشهادة لكن لا يعرف معناها ولا يميز بين الله تعالى ورسوله والنوع الثاني كفر مجرودي وسببه إما الاستكبار مثل كفر فرعون وملئه أو خوف زوال الرياسة وعدم الوصول إليها مثل كفر هرقل أو خوف النجم والتعسير

كما قال صلى الله عليه وسلم من جلة الحديث الذي رواه عنه فضالة بن عبيد والمهاجر من ترك الذنوب والخطايا وهذا الحديث رواه البغوي في حسان المصابيح (قوله كفر جهلي) والجهل هو عدم العلم بمن شأنه أن يكون عالما وهو نوعان بسيطا ومركب (قوله والدلائل) الدالة على وحدانية (قوله عدم الأصغاء) أي الاستماع (قوله ولا يميز بين الله تعالى ورسوله) فهم كالأنعام بل هم أضل (قوله كفر مجرودي) وعنادي أي بخلاف الدين الحنيفي بعدتيقنه (قوله أما الاستكبار) عن الحق (قوله مثل كفر فرعون وملئه) قال تعالى فاستكبروا وكانوا قوما عالين أي عن الدخول عنادوا وكبروا قالوا أي فرعون وقومه أو من لبشرين مثلنا وقومهم لنا عابدون (قوله مثل كفر هرقل) وقد جاء في حقه كفا في فتح الباري مرفوعا أثر دنياء على آخرته (قوله

مثل كفر أبي طالب والنوع الثالث كفر حكيم وهو الذي جعل له الشرع من علامات التكذيب كشدة الزنا وسجود الصنم أو كان عن استخفاف ما يجب تعظيمه كالقاء المصحف في الزبلة واستهزاء العلم والعلماء وما هو من أمور الدين أو عن استحلال ما حرم لعينه وثبت حرمة بدليل قطعي كالزنا وشرب الخمر انتهى وهذا آخر ما أردنا ذكره من بيان الأساس الذي بنى عليه الإسلام فقيام الدين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ بأهله تناسط الأحكام ويتم النظام وفيه بيان ما قالت به العلماء فيمن وجبت عليه الهجرة وفيمن لم تجب عليه ممن لم يقدر عليها عارض مرض أو غيره أو لم يجد أحسن منها في إصلاح دينه وإظهار يقينه ولو تتبع ما بسطت العلماء فيه أقوالهم وأطلقت اللسان في الناس مبيناً حواهم إلى المقال واتسع المجال لففات المقصود من بيان أصول المسائل الدينية على وجه الاجمال وعلى الله قصد السبيل ولو شاء هذا كما أجمعين

الباب الرابع عشر في بيان أحكام المرتدين وأحكام نارك الصلاة وما نعى الزكاة مع بيان حكم من ترك شيئاً من باقي شرائع الدين وهل يجب مقاتلتهم على الإمام وهم تحت اسم الإسلام

اعلم أن الردة أعادنا الله منها لغة الرجوع وقد تطلق على معنى الامتناع عن الحق كما نعى الزكاة في زمن أبي بكر الصديق المدعى بعضهم عدم وجوب أدائها إلى الإمام فهم أهل بغى أطلقت عليهم لدخولهم في غمار أهل الردة وسموا مرتدين بهذا المعنى الثاني وشرعاً قطع الإسلام ممن صرح عنه وهي أخش أنواع الكفر وأغلظها حكماً وإنما تحبط العمل عند إمامنا الشافعي إن اتصلت بالموت أما حبائط ثواب الأعمال قبلها فبالوفاق ولا تصح ردة صبي ومجنون ومكره إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان ولو ارتد جفن لم يقتل في جنونه ومذهب الشافعي وغيره صحة ارتداد السكران وتقبل الشهادة بالردة مطلقاً من غير تفصيل فلا يحتاج الشاهد إلى تفصيلها لأنها لخطرها لا يقدم العدل على الشهادة بها إلا بعد من يدتحر وقيل يجب التفصيل قال بعض الفقهاء وهو القياس ويجب استتابة المرتد والمرتدة لأحترامهما بالإسلام وربما عرضت لهما شبهة فتزاح وفي قول آخر تستحب كالسكافر الأصلي وهو على القوانين في الحال للخبر الصحيح من بدل دينه فاقتلوه فإن أصر اقتلا والنهي عن قتل النساء محمول على

مثل كفر أبي طالب) الذي مات عليه كما ورد أنه لم يطلب منه صلى الله عليه وسلم التكلم بكلمتي الشهادة قال له ولا تخافة إن يعيرني قريش تقول إنما حله عليه الجزع لا قررت بهما عينيك (قوله كفر حكيم) أي حكم عليه به شرعاً كما قال (قوله من علامات التكذيب) أي للرسول (قوله فبالوفاق) كما ورد ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وقوله ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وقوله لن أشركت ليحبطن عملك وقوله ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ولما كان النزاع فيما إذا ارتد

الحرىات والسيد قتل قنه والقتل بضرب العنق ولا يتولاه الا الامام أو نائبه وان أسلم صح اسلامه وترك لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقيل لا يقبل اسلامه ان ارتد الى كفر خفي كالزنادقة والباطنية قال العلامة ابن حجر المكي في التحفة لان التوبة عند الخوف عين الزندقة والزندق من يظهر الاسلام ويخفي الكفر وفرقه بعضهم عن المنافق بانه من لا ينتحل ديناً والباطني من يعتقد ان القرآن باطناً غير ظاهره وانه المراد وحده أو مع الظاهر وليس منه خلافاً لمن وهم فيه اشارات الصوفية التي في تفاسيرهم كتفسير السلمي والقشيري لان أحد امثهم لم يدع انها مرادة من لفظ القرآن وانما هي من باب ان الشيء يذكر ماله به نوع مشابهة وان بعدت ولا يدل قبول اسلامه من النطق بالشهادتين ولا يكفي الرجوع فقط لان تركه التلفظ بهم مامع قدرته عليه وعلمه بشطريته أو شرطيته لا يقصر عن محور محي مصحف بقدر ولا بد من البراءة من كل دين يخالف دين الاسلام أو يرجوعه عن الاعتقاد الذي ارتد بسببه انتهى واعلم ان الصلاة من أهم أركان الاسلام وأقوى الذرائع للدخول في دار السلام فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال بين العبد والكفر ترك الصلاة ومعناه ان بين العبد وبين ان يصل الى الكفر ان يترك الصلاة وقد اتفق على تأكيد وجوبها والتهديد على تركها الكتاب والسنة واجماع الأمة من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا ووردت الوعيدات الشديدة والتهديدات الغليظة على تاركها فمن جعلتها ماروى عنه صلى الله عليه وسلم قال من ترك الصلاة متممدا فقد كفر جهاراً فهي كما ورد عماد الدين ومن هدمها فقد هدم الدين وقد اختلف العلماء في كفر تاركها عمداً ابلاغاً فقال جماعة من الصحابة منهم عمر وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبد الله وأبو الدرداء وأبو هريرة وعبد الرحمن بن عوف ومن غيرهم كاحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وعبد الله بن المبارك والنسعي والحكم بن عتبة وأبي أيوب السخستاني وأبي داود الطيالسي وأبي بكر بن أبي شيبة وغيرهم الى كفره وذهب آخرون الى انه لا يكفر ووجه الأحاديث التي تدل على كفر تاركها على من تركها جاحداً أو على الزجر والوعيد بمعنى ان المؤمن لا يتركها ومن أدانهم على عدم كفره قوله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات افترضهن الله تعالى من أحسن وضواهن وصلاهن لوقتهن وأتمركوهن وسجودهن وخشوعهن كان له عند الله عهد أن يغفرله ومن لم يفعل ليس له على الله عهد ان شاء غفرله

ثم عاد الى الاسلام هل تحبط الاعمال التي عملها قبل الرد أم لا تحبط الا اذا مات مرتد اعلى قولين مشهورين بين الشافعية والحنفية (قوله بين العبد والكفر ترك الصلاة) رواه مسلم (قوله وذهب آخرون الى انه لا يكفر) واما حديث مسلم بين العبد وبين الكفر الخ فهو محمول على تركها

وان شاء عذبه فقلوبه ان شاء غفر له دليل على عدم كفره لا اجماع على ان الكافر لا مغفر له قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ثم اختلفوا في حد تاركها بلا عذر فقال حماد بن زيد ومكحول والشافعي ومالك وأحمد بن حنبل يقتل الا انه عند أحمد يقتل كفر او عند غيره من هؤلاء يقتل حدا لا كفر او حملوا الأحاديث الدالة على كفر تاركها على استحقاق جزاء الكفر وليس للكفر في الدنيا جزاء غير القتل وعند أبي حنيفة لا يكفر ولا يقتل بل يحبس أبدا وقيل يضرب ضربا شديدا حتى يسيل منه الدم مبالغة في الزجر وقيل يضرب ضربا شديدا حتى يصلي أو يموت * وأما الزكاة فالممتنع منها لا يقتل وانما لم نقل بقتله وان قل به جماعة لانه ان امتنع أمكن تحصيلا بامنه بالقتال والامكان تحصيلا بامنه بالقتال فلم يجز القتل هنا اذ لا ضرورة اليه بخلافه في تارك الصلاة لانه اذا امتنع لم يمكن استيفاء هاهنا فغاضت عقوبته بالقتل ما لم يتب بان يصلي وعلى كل حال فهي قرينة الصلاة حسا وزجرا ولما كان في منع الزكاة ما ورد من التشديدات العظيمة والتهديدات الجسيمة كان وجه الحكمة في ايجابها هو الامتحان في التوحيد لأن التلذذ بكلمة الشهادة التزاما للتوحيد وشهادة بانفراد المعبود وادعاء لمحبه فان من يقول اشهد ان لا اله الا الله يصير كأنه قال رأيت بقلبي وعامتي بعقلي ان لا معبود ولا محبوب الا الله فالتمت عبادته ومحبهه ولا أعبد ولا أحب الاياه فيلزم الوفاء بما ادعاه من التوحيد في المحبة وتمام الوفاء ان لا يبقى للموحد محبوب سوى الفرد الواحد لأن المحبة لا تقبل الشراكة والتوحيد باللسان قليل النفع وانما يظهر درجة المحبة بمفارقة المحبوبات والأموال محبوبه للخلق لكونها آلة لتنعمهم وقضاء حاجاتهم في الدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون من الموت مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا في صدق دعواهم في المحبة

محمد أو المراد بين ما يوجب الكفر جمعا بين الأدلة (قوله وان شاء عذبه) رواه أبو داود وصححه ابن حبان (قوله يقتل) ولو ترك الشهادة للصلاة قتل كما جزم به الشيخ أبو حامد لانه ترك لها ويقاس بها الاركان وسائر الشروط نعم محله في المتفق عليه أو كان فيه خلاف واه بخلاف القوي ففي فتاوى القفال لو ترك فاقد الطهورين الصلاة متعمدا أو مس شافعي الذكر أو لمس المرأة أو توضأ ولم ينو وصلى متعمدا لا يقتل لان جواز صلاته مختلف فيه وقيد بعضهم بما اذا قلد القائل بذلك والا فلا قائل حينئذ بجواز صلاته قال والذي يتجه قتله لانه تارك لها عند امامه وغيره فعلم ان ترك التيمم كترك الوضوء ان وجب اجماعا ومع خلاف ولم يقلد القائل بعدم وجوبه انتهى والاوجه الاخذ بالاطلاق كما قاله ابن الرملی (قوله محبوبه للخلق) قال تعالى وآتى المال على حبه وقال وانه لحب الخير لشديدي عني لحب المال وانما كانت الاموال محبوبه لهم لكونها آلة لتنعمهم الخ (قوله مع ان فيه لقاء المحبوب) ولذلك صار الاجل المال يركبون البحار ويقتحمون الاسفار ويواصلونها

ببذل المال الذي هو معشوقهم هذا ما كان في حق المنفرد الممتنع عن الصلاة والزكاة وأما أولو القوة
كالثقات والقري فيقاتلهم الامام على ترك الصلاة وأداء الزكاة وجوب الحديث الصحيح أمرت
ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة
فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله قال العلامة ابن حجر
المكي في شرح هذا الحديث ما ملخصه عند قوله يقيموا الصلاة أي يأتوا بها على الوجه المأمور به
ويداوموا عليها وفيه دليل لقتل تاركها غير الجاحد لوجوبها وهو ما عليه أكثر العلماء لأنه غيا الأمر
بالقتال بفعلها فإلّا يفعلها فهو مقاتل وجوباً ويتركه من قتاله قتله غالباً واحتمالاً فدل على جواز بل
وجوب قتله وسياق الحديث وان كان في الكافر لكن المسلم أولى منه بذلك لأنه تركها مع اعتقاده
وجوبها بخلاف الكافر ومن ثم قضى المرتد ما فاتته في زمن ردة بخلاف الكافر الأصلي ثم قال عند
قوله دماءهم وأموالهم وهي كمالها صح إيراد نحو البيع عليه وأريد به هنا ما هو أعم من ذلك حتى يشمل
الاختصاصات ولا ينافي ما تقرره ما هو معلوم بالضرورة انه صلى الله عليه وسلم كان يعصم الدم
بالشهادتين ومن ثم اشتد نكيره على اسامة نقتله من قاهما لأنه وان كان يقبل بمجرد انطق
بالشهادتين لكنه لا يقر من نطق بهما على ترك صلاة ولا زكاة ومن ثم أمر معاذاً لما بعثه صلى الله
عليه وسلم الى اليمن ان يدعوهم أولاً الى الشهادتين وان من أطاعه بهما أعاده بالصلاة ثم بالزكاة فيعلم
انه بهما يعصم ويحكم باسلامه ثم ان أتى بشرائع الاسلام فظاهر والاقتول ذوا المنعة ثم انه أتى بروايتين
أخرتين وقال وليس في الأحاديث الثلاثة ذكر الصوم والحج فيحتمل ان هذه الثلاثة كانت قبل
فرضهما فيعطيان حكمهما من المقاتلة عاينهما ولك ان تقول انهما اذا خلان في قوله في حديث أبي
هريرة رضي الله عنه وبما جئت به فانه شامل لدينك وغيرهما من جميع ما علم من دينه صلى الله عليه
وسلم بالضرورة وقد استدلل الصديق رضي الله عنه بالرواية الأخرى التي ليس فيها الا حق كلمة الشهادة
فجعل بكامل استنباطه ودقة فهمه مقاتلة ما نفي الزكاة من أعلى حقوق كلمة الاسلام وبالجملة الواجب
على الامام مقاتلة من ترك الصلاة أو منع الزكاة أو ترك حقاً من حقوق الاسلام الظاهرة التي هي من
شعائره وقد أجمعوا على جواز أخذ أموالهم اذا أصروا وعاندوا وأجمعوا على عدم جواز سبي ذرارهم
فهم والمرتدون في هذا الحكم من واحد واحد واعلم انه يجب على الامام انفاذ الحدود الشرعية وله ان

بسببه ويقاتلون عنه كما يقاتلون عن نفوسهم ويشحون به كما يشحون بأولادهم (قوله فجعل) أي
الصديق رضي الله عنه وقال والله لا قاتل من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال أي كما ان
الصلاة حق البدن وقد قرن الله بينهما فلا فرق فكما كنت أقاتلهم على الصلاة لو تركوها فكذلك
أقاتلهم على الزكاة اذا منعوها

يعزر في كل معصية لا حد فيها ولا كفارة بحبس أو ضرب أو صفع أو توبيخ على حسب اجتهاده في جنسه وقدره لأنه مأخوذ من العز وهو المنع والنكال والاجبار على الأمر والتوقيف على الحق وكل ذلك غير مقدر فوكل إلى رأيه لاختلافه باختلاف مراتب الناس ويجب على الإمام أن لا يقطع الجهاد في كل سنة إلا إذا قامت الأعذار الواضحة الموجبة لتأخيرته فإنه حينئذ ذلك وإن يث السرايا في كل جهة من جهات العدو ويؤمر الصالحين العارفين بطرق الحروب ويوصيهم بتقوى الله بعد أن يستعرض الجيش فمن رآه ضعيفا أخره وإن رأى في دوابهم ما لا يصلح أمر بآدماله وكذلك أسلحتهم ومن كان منهم غير تام السلاح أمر بآدماله ويرد الجبان المخذل إن علمه ويأمر الجند أن يطيعوا أميرهم ولا يدعوا له النصيحة ولا يخذل بعضهم بعضا وإن أظفرهم الله بعدوهم لم يغفلوا ولم يخونوا إلى غير ذلك من الآداب التي يحتاجون إلى معرفتها قال الإمام الحليمي لا يخفى أن الجهاد من أعظم أركان الدين لأنه لا شيء أعز على أحد من الحياة فإذا بلغ به تعظيم الله تعالى وحبه والغيط على من يشرك به ويعصيه رضى بما قد يؤل أمره إليه من أن يقتل ولم يرض أن يرى عدو الله ماشيا على وجه الأرض متنعما بالحياة متقلبا في نعم الله تعالى وهو مع ذلك يكفر به إمامان يحجده أو يشرك به ما لا خلق له

(قوله في كل معصية) لله أو لآدمي (قوله لا حد فيها) أراد به ما يشمل القود ليدخل نحو قطع الطرق (قوله أو صفع) وهو الضرب بجميع الكف أو بسطها (قوله أو توبيخ) باللسان (قوله من العز) بفتح فسكون (قوله باختلاف مراتب الناس) والعاصين (قوله فإنه حينئذ ذلك) ويسن أن يبدأ بقتال من يلونا إلا أن يكون الخوف من غيرهم أكثر فيجب البداءة بهم وإن يكثره ما استطاع (قوله السرايا) جمع سرية وهي من مائة إلى خمائة (قوله ويؤمر الصالحين) فإن أمر فاسق حرم (قوله العارفين بطرق الحروب) لأن القوم إلى أمرهم ينظرون وإن رأوا من أميرهم كسلا أو فشلا فشلوا وإن ثبت ثبتوا وإن رجع أو جنح للسلم أو جدهم كذلك (قوله بتقوى الله) وطاعته والسيقة ويحذرهم الشتات والفرقة والاهمال والغفلة (قوله ضعيفا) بكبر أو مرض (قوله ويرد الجبان المخذل إن علمه) ومن صحب الجيش من غير المقاتلة فمن علم فيه فائدة للمقاتلة خلاصه من خاف أن يصير كالأعلى - يردده (قوله الجند) بالضم العسكر والأعوان والأناصر (قوله أن يطيعوا أميرهم) ويسمعوها ولا يختلفوا عاينيه (قوله ولا يخذل بعضهم بعضا) ولا جماعتهم إلا بهير (قوله ولم يخونوا) ولم يقتلوا امرأة لا تقتلهم ولا وليدا ولا يعقروا دابة لا تكون تحت مشرك وإنهم أن وصلوا إلى قرية لا يدرون حالها المسكوا ولم يشنوا عليهم الغارة حتى يعلموا حالها (قوله الجهاد) هو بذل الوسع في القتال في سبيل الله مباشرة أو معاونة بمال أو رأي أو تكثير سواد أو غير ذلك

ولا رزق ولا نفع ولا ضرر ودعته الحية الى ان يجاهده فاما ان يردده الى الحق واما ان يقتله أو يقتله
العدو ثم قال وينبغي ان تكون نية الامام صيانة حوزة الاسلام واعلاء كلمة الله تعالى وحمل عباده
على دينه وطاعته واتباع أمره وعبادته ثم قال بعد ما تكلموا اذا مضوا باسم الله فلقوا العدو
فليتعوذوا بالله منهم وليقولوا اللهم اننا نندرك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم واذا قاتلوا
فليقولوا اللهم بك نصول وبك نحول وليقولوا اياك نعبد واياك نستعين اللهم منزل الكتاب سريع
الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزمهم وليكن شعارهم حم لا ينصرون الى غير ذلك من
الآثار المذكورة في هذا الباب وبالجملة فليكن نظار امام المسلمين الجمع على معنى كلمة التوحيد فيقاتل
المشركين على شركهم والكفار على كفرهم والعاصين على معصيتهم عاملاً بكتاب الله متبعاً لسنة
رسول الله فهذا أمر المسلمون ومثل هذا فليعمل العاملون

باب الخامس عشر في معرفة البدع وأنواعها

اعلم ان البدعة لغة المحدث مطلقاً واصطلاحاً اذا قوبلت بالسنة يراد بها المحدث في الدين اما بزيادة أو
نقصان وهي السيئة التي ليس لها أصل ظاهر من الكتاب والسنة أو سند صحيح استنبطه علماء الأمة
فاما ما كانت حسنة ناشئة عن هذه الأصول فهي قد تكون مباحة كالمواطبة على أكل لب الخنطة
والشبع منه مثلاً

(قوله وعبادته) وكذلك ينبغي ان تكون نية الجند وأمرهم (قوله ندرأ) نزع (قوله
بك في نحورهم) بضم نين جمع نحور وهو موضع القلادة من الصدر وهو المنحر والمعنى كما قال
صاحب المفاتيح اللهم اننا نجعلك في آراء أعدائنا حتى تدفعهم عنا انتهى (قوله ونعوذ بك الخ)
كالعطف التفسيري (قوله نصول) أي نستطو ونقهر من الصولة وهي الجملة والوثبة (قوله
نحول) أي تتحرك وقيل نحال وقيل ندفع فنمنع من حال بين الشيتين اذا منع أحدهما عن الآخر
(قوله منزل الكتاب) بالتخفيف ويجوز تشديده والمراد جنسه أو القرآن (قوله الأحزاب)
الطوائف من الكفار مفردة حزب وقوله واهزمهم بكسر الزاي اغلبهم والضمير راجع الى الأعداء
الموجودين وقوله وزلزمهم أي اجعل أمرهم مضطرباً (قوله من الآثار المذكورة في هذا الباب)
كان يقول في عامة أحوالهم حسبنا الله ونعم الوكيل وان حصبهم فليقولوا شأهت الوجوه وان
رموهم فليقولوا ومارميت ولكن الله رمى (قوله كالمواطبة على أكل لب الخنطة)
فالمباغة في تطيب الدقيق وتحسينه وازهاب نخاله وأخذ لبابه أمر مبتدع (قوله والشبع منه)
بكسر أوله وفتح ثانيه وسكونه مصدر شبع امتلاً بطنه وبعضهم يجعل الساكن اسم ما يشبع به من
خبز ولحم وغيرها وقد قيل ان أول بدعة حدثت الشيع مطاقاً والزيادة عليه حرام ان أضرت أو كانت

وقد تكون مستحجة كبناء المنارة وتصنيف الكتب وقد تكون واجبة كنظم الدلائل لرد
 كيد الملاعة وشبه الفرق الضالة وقد وقع من ذلك عن الصحابة شيء كثير كما وقع لأبي بكر وعمر
 ولزيد بن ثابت في جمع القرآن فان عمر أشار به على أبي بكر خوفا من اندراس القرآن بموت
 الصحابة رضوان الله عليهم لما كثرت فيهم القتل يوم اليمامة وغيره فتوقف أبو بكر رضي الله عنه
 لكونه صورة بدعة ثم شرح الله صدره لفعله لأنه ظهر له انه يرجع الى الدين وانه غير خارج عنه ولما
 دعا زيد بن ثابت وأمره بالجمع قال له كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 والله انه حق وكما وقع لعمر في جمع الناس لصلاة التراويح في المسجد مع تركه صلى الله عليه وسلم
 لذلك بعد ان كان فعله ليالي وقال أعني عمر نعمت البدعة هي لأنها وان سماها بدعة باعتبار معناها
 اللغوي فليس فيها رد لما مضى وزيادة في الدين بل هي من الدين لأنه صلى الله عليه وسلم علل الترك
 بخشية الافتراض وقد زال بوفاته صلى الله عليه وسلم فخشى الدم ما قاد الى شيء من مخالفة السنة ودعا
 الى الضلالة قال ابن حجر المكي ما حاصله والحاصل ان البدع منقسمة الى الأحكام الخمسة لأنها اذا

من طعام الغير ولم يعلم رضاه بذلك والافلا حزمة (قوله المنارة) في المصباح المنارة التي يوضع عليها
 المصباح وهي بفتح الميم مفعلة من الاستنارة والقياس كسر ها لأنها آلة والمنارة التي يؤذن عليها
 وجعها مناوور بالواو لا بالهمزة لأنها أصلية كما لا تهمز ياء معاش لذلك وبعضهم يهمزها يقول منائر
 تشبه الاصل بالزائد كما قيل مصائب والأصل مصاوب انتهى (وتصنيف الكتب) في العاوم
 المنسوبة نقلها اماما يجب نعلمه ولو كفاية فالتصنيف الكتب به فرض كفاية صرح به الزركشي من
 الشافعية وغيره (قوله وشبه الفرق) بضم ففتح جمع شبهة وذلك فرض كفاية على الصالحين له
 ويجب ان يكون في كل ناحية من له قدرة على القيام بذلك ودفع الشبهة أمارد كل من أصحاب المذاهب
 الأربعة على مخالفهم في الحكم فهذا كما قال التاج السبكي في معيد النعم مما لا ينبغي بل الذي يطالب
 منهم تأييد بعضهم لبعض والاجتماع على رد ذوى الزيغ والباعد وتنازعهم فيما بينهم يشغلهم عن ذلك
 فيفرح المبتدعة (قوله انه لحق) ولم يزل يراجع حتى شرح الله صدره الذي شرح له صدرها
 (قوله ليالي) أي ثلاث وفي الليلة الرابعة دخل الى الحجرة بعد ما صلى الفريضة ولم يخرج اليهم فلم يزالوا
 ينتظرون خروجه وظنوا انه نام فجعل بعضهم يتنحنح وبعضهم يقول الصلاة نخرج اليهم وقال
 خشيت ان تفرض عليكم فصلاوا أيها الناس في بيوتكم فان أفضل صلاة المرء في بيته الا المكتوبة
 (قوله باعتبار معناها اللغوي) وهو ان عمر رضي الله عنه جمعهم على امام واحد وأشرح المسجد
 فصارت هذه الهيئة عملا لم يكونوا يعملونه من قبل فسمى بدعة باعتبار المعنى اللغوي ولم تكن بدعة
 شرعية لأن السنة اقتضت انه عمل صالح لولا خوف الافتراض وخوف الافتراض زال بموته صلى الله

عرضت على القواعد الشرعية لم تخل عن واحد من تلك الأحكام فمن البدع الواجبة على التكفائية الاشتغال بالعلوم العربية المتوقعة عليها فهم الكتاب والسنة كالنحو والصرف واللغة والمعاني والبيان ومن المحرمة مذهب سائر البدع المخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة ومن المندوبة أحداث نحو المدارس وكل احسان لم يعهد في العصر الأول ومن المنكر وهمة زخرفة نحو المساجد ومن المباحة اتوسع في لذيل المآكل والشارب انتهى والقول الفصل الموضح لما تقدم هو ان البدعة لها معنيان أحدهما لغوي وهو المحدث مطلقا سواء كان من العادات أو العبادات وثانيهما شرعي وهو الزيادة في الدين أو النقصان منه من غير اذن من الشارع لا قول ولا فعلا ولا صريحا ولا إشارة فالبدعة التي هي ضلالة كما في الحديث هي بحسب معناها الشرعي فيقتصر بها على غير العادات من العبادات التي هي لأصول الشريعة من الكتاب والسنة والاذن من الشارع مخالقات فالمنارة عون للمؤمنين لاعلام وقت الصلاة وتصنيف الكتب عون للتعليم ونظم الدلائل رد الشبهة ذب عن الدين فكل ذلك مأذون فيه لأن البدعة الحسنة ما لم يحتج اليه الأوائل واحتاج اليه الآخر وعند الاستقراء لا توجد هذه البدعة في العبادات البدنية المحضة كالصوم والصلاة والذكر والقراءة بل لا تكون البدعة فيها الا سيئة قال صاحب مجالس الأبرار ما ملخصه لأن عدم وقوع الفعل في الصدر الأول اما لعدم الحاجة اليه أو لوجود مانع أو لعدم تنبه أولئك كاسل أولئك كراهة أو لعدم مشروعية الأوائل منتفیان في العبادات البدنية المحضة لأن الحاجة في التقرب الى الله لا تنقطع وبعد ظهور الاسلام لم

عليه وسلم فافتنى المعارض وهكذا جمع القرآن فان المانع من جمعه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ان الوحي لا يزال ينزل فيغير الله ما يشاء فلو جمع في مصحف واحد لتعسر أو تعدل تغييره كل وقت فاما استقرار القرآن واستقرت الشريعة بموته صلى الله عليه وسلم أمن الناس من زيادة القرآن ونقصه وأمنوا من زيادة الايجاب والتحریم والمقتضى للعمل قائم بسنته صلى الله عليه وسلم فعمل المسلمون بمقتضى سنته وذلك العمل من سنته وان كان يسمى في اللغة بدعة (قوله ودعا الى الضلالة) ثم البدعة لا تخلو اما ان تكون في الاعتقاد أو في العبادة أو في العادة فالتى في الاعتقاد يكون بعضها كفر أو بعضها ليس بكفر لكنهما أكبر من كل كبيرة حتى القتل والزنا وليس فوقها الا الكفر والتى في العبادة وان كانت دون الاولى الا ان فعلها عصيان وضلال لاسيما اذا صارت سنة والتى في العادة ليس في فعلها عصيان وضلال بل ترك الاولى (قوله الى الأحكام الخمسة) وهي الايجاب والتدب والتحریم والكراهة وخلاف الاولى (قوله والبيان) بخلاف العروض والقوافي ونحوهما (قوله المدارس) جمع مدرسة وهي محل الدرس للعلم (قوله زخرفة نحو المساجد) كتزييق المصاحف (قوله فالمنارة عون لاعلام وقت الصلاة وتصنيف الكتب عون للتعليم)

يكن من موانع ولا يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم عدم التنبيه أو التسكاسل فذلك أسوأ الظن المؤدى
إلى الكفر فلم يبق إلا كونها سيئة غير مشروعة وكذلك يقال لكل من أتى في العبادات البدنية
المحضة بدعة لم تكن في زمن الصحابة إذ لو كان وصف العبادة في الفعل المبتدع يقتضى كونه بدعة
حسنة لما وجد في العبادات ما هو بدعة مكروهة ولما جعل الفقهاء مثل صلاة الرغائب والجماعة فيها
ومثل أنواع النعمات الواقعة في الخطب وفي الأذان وقراءة القرآن في الركوع مثلاً والجهر بالذكر
إمام الجنازة من البدع المنكرة فمن قال بحسنها قيل له ما ثبت حسنها بالأدلة الشرعية فهو إما غير بدعة
فيبقى عموم العام في حديث كل بدعة ضلالة وحديث كل عمل ليس عليه أمر نافه وردي على حاله أو
يكون مخصوصاً من هذا العام والعام المخصوص دليل فيما عدا ما خص منه فمن ادعى الخصوص فيما
أحدث أيضاً احتاج إلى دليل يصلح للتخصيص من كتاب أو سنة أو إجماع مختص بأهل الاجتهاد
ولا نظر للعوام ولعادة أكثر البلاد فيه فمن أحدث شيئاً يتقرب به إلى الله تعالى من قول أو فعل فقد
شرع من الدين ما لم يأذن به الله تعالى فعلم أن كل بدعة في العبادات البدنية المحضة لا تكون إلا سيئة
والحاصل كلما أحدث ينظر في سببه فإن كان لداعي الحاجة بعد أن لم يكن كنظم الدلائل لرد الشبه
التي لم تكن في عصر الصحابة أو كان قد ترك لعارض زال بموت النبي صلى الله عليه وسلم بجمع
القرآن فإن المانع منه كون الوحي لا يزال ينزل فيغير الله ما يشاء وقد زال كان حسناً

فكل منهما قرينة مطلوبة شرعاً والوسيلة للقرب قرينة **(قوله غير مشروعة)** وهذا المعنى أراد
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما أخبر بالجماعة الذين كانوا يجلسون بعد المغرب وفيهم رجل
يقول كبروا الله كذا وكذا وسبحوا الله كذا وكذا واحمدوا الله كذا وكذا فيفعلون فحضرهم
فلما سمع ما يقولون قام فقال أنا عبد الله بن مسعود فوالله الذي لا إله غيره لقد جئتم ببدة ظالماء أولقد
فقمتم على أصحاب محمد عما يعني أن ما جئتم به إما أن يكون بدعة ظالماء أو أنكم تداركتم على
الصحابة ما فاتهم لعدم تذكيرهم له أو لتسكاسلهم عنه فغلبتموهم من حيث العلم بطريق العبادة والثاني
منتف فتعين الأول أي كونه بدعة ظالماء **(قوله مثل صلاة الرغائب)** وهي ما يصليها بعضهم في أول
جمعة من رجب وفي ليلة النصف من شعبان قال النووي هي أي صلاة الرغائب بدعة منكرة من
البدع التي هي ضلالة وجهالة قاتل الله واضعها ومخترعها قال وقد صنف جماعة من الأمة مصنفات
نفيسة في تقبيحها وتضليل من يصليها ودلائل قبحها وبطلانها وتضليل فاعلمها أكثر من أن تحصر
(قوله للعوام) أو ما هم في حكمهم من الزهاد والعباد الذين لا علم عندهم **(قوله ما لم يأذن به الله تعالى)**
فمن تبعه فقد اتخذه شريكاً ومعبوداً كما قال تعالى في حق أهل الكتاب اتخذوا أجبارهم ورهبانهم
أرباباً من دون الله فقال عدي بن حاتم للنبي صلى الله عليه وسلم ما عبدوهم فقال صلى الله عليه وسلم

والأفاحدائه بصرف العبادات البدنية القولية والفعلية تغيير الدين الله تعالى مثلاً الأذان في الجمعة سنة وقبل صلاة العيد بدعة ومع ذلك فإنه يدخل في عموم قوله تعالى واذكروا الله ذكراً كثيراً وقوله تعالى ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله فيقول القائل هذا زيادة عمل صالح لا يضر لأنه يقال له هكذا تتغير شرائع الرسل فإن الزيادة لو جازت لحاز أن يصلي الفجر أربعاً والظهر ستاً ويقال هذا عمل صالح زيادته لا تضر لكن أهل السنة يتبعون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الفعل والترك فإن الله سبحانه قد بين لنا الشرائع وأتم لنا الدين فهذا هو من غير زيادة أو نقص فالزيادة عليه كالنقصان فنعبده بما شرع ولا نعبد به بالبدع فعقولنا عن مثل ذلك قاصرة وآراؤنا إذا كاسدة خاسرة والعقول لا تهتدي إلى الأسرار الإلهية فيما شرعه من الأحكام الدينية أو ما ترى كيف نبت إلى الصلاة دائماً ونهيت عنها في الأوقات الخمسة وذلك ينتهي إلى قدر ثلث النهار فينبغي لك أن تكون حريصاً على التفطيش عن أحوال الضحابة وأعمالهم فهم السواد الأعظم ومنهم يعرف الحسن من القبيح والرجوح من الرجيح وإذا وقع أمر ينظر فيه إلى قواعد المجتهدين الذين هم السلف لمن خلف فإن وافق أصولهم قبله المتبع بقلبه والأفلي بنده وراء ظهره وليتصرف في جليسة أمره ولا تغرنك عوائد

أطاعوهم فمن أطاع أحداً في دين لم يأذن به الله تعالى فقد عبده واتخذ له رباً (قوله والا) بأن كان المقتضى لفعله في عهد النبي صلى الله عليه وسلم موجوداً من غير وجود المانع ومع ذلك لم يفعله صلى الله عليه وسلم (قوله تغيير الدين الله تعالى) إذ لو كان فيه مصلحة لفعله صلى الله عليه وسلم أو حث عليه فإما لم يفعله ولم يحث عليه علم أن ليس فيه مصلحة بل هو بدعة قبيحة سيئة (قوله فيقول) أي فإن كان يقول (قوله زيادته لا تضر) وليس لأحد أن يقول ذلك ثم إن من فعل ذلك إن كان معتقداً عدم مشروعيته يكون فاسقاً غير مبتدع وإن اعتقده مشروعيته يكون فاسقاً مبتدعاً لأن الفسق أعم من البدعة فكل بدعة فسق من غير عكس ولذا قيل البدعة شر من الفسق (قوله وأقم لنا الدين) كما قال في كتابه اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي (قوله من الأحكام الدينية) قال الإمام الغزالي في كتاب الأربعين في أصول الدين إياك أن تتصرف بعقلك وتقول كلما كان خيراً ونافعاً فهو أفضل وكلما كان أكثر كان أنفع فإن مثلك لا يهتدي إلى أسرار الأمور الإلهية وإنما تلقاها قوة النبي صلى الله عليه وسلم فعليك بالاتباع فإن خواص الأمور لا تدرك بالقياس أو ما ترى الخ (قوله إلى قدر ثلث النهار) وقال في الأحياء فكما أن العقول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع أن التجربة سبيل إليها كذلك تقصر عن إدراك ما ينفع في الآخرة مع أن التجربة غير متطرفة إليها وإنما يكون ذلك لورجع اليأس بعض الأموات وأخبرونا عن الأعمال المقربة إلى الله تعالى والمبعدة عنه وذلك ما لا مطلق فيه (قوله والرجوح من الرجيح) فإن أعلم

الناس فانهم السمووم القاتلة والداء العضال وعين المشقة المؤدية الى الضلال وقد كان هشام بن عروة يقول لا تسألوا الناس اليوم عما أحدثوه فانهم قد أعدوا له جوابا لكن سألوه عن السنة فانهم لا يعرفونها وأخرج أبو داود عن حذيفة رضي الله عنه قال كل عبادة لم تفعلها الصحابة فلا تفعلوها وأخرج البيهقي ان ابن عباس رضي الله عنهما قال أبعض الأمور الى الله تعالى البدع قال الامام ابن حجر المكي في شرح الأربعين مائة وان البدع السيئة وهي ما خالف شيئا من ذلك صريحا والتزاما قد ينتهي الى ما يوجب التحريم تارة والكراهة أخرى والى ما يظن انه طاعة وقرينة فمن الاول الانتفاء الى جماعة يزعمون التصوف ويخالفون ما كان عليه مشايخ الطريق من الزهد والورع وسائر الكمالات المشهورة عنهم بل كثير من أولئك اباحية لا يحرمون حرام التلبس الشيطان عليهم أحوالهم القبيحة الشنيعة فهم باسم الفسق أو الكفر أحق منهم باسم التصوف أو الفقر وسنه ما عمت به الباطنية من تزوين الشيطان العامة تخليق حائط أو عمود أو تعظيم نحو عين أو حجر أو شجرة لرجاء شفاء أو قضاء حاجة وقبائحهم في هذه اظاهرة غنية عن الايضاح والبيان وقد صرح ابن الصحابة رضي الله عنهم مروا بشجرة سدرة قبل حنين كان المشركون يعظمونها وينوطون بها أسلحتهم أي يعلقونها بها فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون لتكن

الناس وأقر بهم الى الله تعالى أشبههم بهم وأعرفهم بطريقهم اذ منهم أخذ الدين وهم أصول في نقل الشريعة عن صاحب الشرع (قوله أبعض الأمور الى الله البدع) لما تضمنته من التكذيب بما أخبر الله به عن نفسه أو أخبر به عنه رسوله عناد أو جهلا وهي أحب الى ابليس من كبار الذنوب كما قال بعض السلف البدعة أحب الى ابليس من المعصية لأن المعصية يتأني منها والبدعة لا يتأني منها وقال ابليس أهلكت بني آدم بالذنوب وأهلكوني بالاستغفار وبلا اله الا الله فلما رأيت ذلك نقبت فيهم الا هو اعرفهم يذنبون ولا يتوبون لانهم يحسبون انهم يحسنون صنعنا ومعلوم ان ضرر الذنوب على نفسه وأما المبتدع فضرره على النوع وفتنة المبتدع في أصل الدين وفتنة المذنب في الشهوة والمبتدع قد قعد للناس على صراط الله المستقيم يصد هم عنه والمذنب ليس كذلك والمبتدع مناقض لما جاء به الرسول والعاصي ليس كذلك والمبتدع يقطع على الناس طريق الآخرة والعاصي يطيء السبيل بسبب ذنوبه فلهذه الفروق وغيرها كانت أبعض الأمور الى الله وأحب الى ابليس من المعاصي (قوله قال قوم موسى لموسى) لما جاوز بيني اسرائيل البحر ومروا على قوم يعكفون على أصنامهم (قوله اجعل لنا الها) نعبد وقوله كما لهم آلهة يعبدونها وقوله من كان قبلكم رواه مالك والنسائي والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح عن الزهري عن سنان بن أبي سنان

سنان من كان قبلكم ومن الثاني ومنشؤه ان الشارع يخص عبادة بزم من أو مكان أو شخص أو حال
 فيعممونها جهلا وظننا انها طاعة مطلقة مخصوص يوم النسيك أو التشريق والوصال ومنه التعريف
 بغير عرفة ثم قال ومنه الصلاة ليلة الرغائب أول جمعة في رجب وليلة النصف من شعبان فهما بدعتان
 مذمومتان ثم قال والكلام في خصوص احيائهم بما بالكيفية المشهورة بين العوام فلا ينافيه الأمر
 بالقيام ليلتها أي ليلة النصف من شعبان الى آخر ما قال (أقول) ومن أعظم البدع الغلو في تعظيم القبور
 فلقد اتخذوها في هذا الزمان معابديع تقدون ان الصلاة عندها أفضل من الصلاة في جميع بيوت
 الله وهم وان لم يصرحوا ولكن طبع قلوبهم على ذلك فتراهم يقصدونها من الأماكن البعيدة
 وربما ان تكون بحذاءهم مساجد مهجورة فيعطونها واذا لحقوا على الصلاة فيها ولو في أوقات
 الكراهة كانت أفضل عندهم من الصلاة في الأوقات الفضيلة في المساجد وتلك المساجد التي اتخذوا
 القبور ليست مقصودة لسكونها بيوت الله بل لسكونها حضرات من ان نسبت اليه من أهل تلك القبور
 يدل على ذلك كله انهم لا يسمونها الا حضرات فاذا قلت لأحدكم اين صليت قال لك صليت في
 حضرة الشيخ فلان وليس مقصودهم الا التقرب به وبحضرة وكما أكثر الرجل التردد الى القبور
 ولو كانت مشتملة على أنواع المنكرات من ستور الحرير والديباغ والترصيع بالفضة والعقيان أي
 الذهب الخالص فضلا عن غيرها كان مشهورا بين الناس بالديانات مغفورة الزلات مقربا عند أصحاب
 تلك الحضرات وثقة دامت قلوب العوام من رجائهم ومخافتهم فتراهم اذا عضدت عليهم الأمور
 أوصى بعضهم بعضا بقصد أصحاب القبور وكذلك اذا وقع على أحديهم بالله حاف به من غير أدنى
 وجل أو حذر واذا قيل له احلف بفلان عند قبره خصوصا اذا أمره بالغسل لهذا اليمين ليكون
 ذلك من أقوى العبادات خاف خوفا يظهر على جميع جوارحه فلو ساءلناه أنه أدخل الى قبره ارتعدت
 فرائصه وانحلت قواه وربما ان أحدهم لكثرة أو هامه وشدة خوفه تبطل حواسه فيزدادون كفرا
 وتضحك عليهم الشياطين جهرا وتري كثيرا منهم يعلقون مرضاهم عليهم فيأخذون المريض وهو
 في غاية شدته فيدخلون على قبره والسعيد عندهم من يدخله داخل شباكهم ويتعاقب بستر قبره
 والرزية العظمى انهم في حالي السراء والضراء يتلاعب ابليس بهم فان مات مريضهم قالوا ما قبلنا
 الشيخ فلان يعنون به صاحب القبر وان صادف القدر فعوفى سببا اذا وافق مطالبهم ذلك الوقت
 فرحوا بما عندهم من الكفر فأرسلوا القرايين ومعها شموع العسل موقدة من بيوتهم
 اظهروا القدرة صاحب القبر وتنبهوا على فضيلته وكثيرا ما ينشرون الرايات له على طريقة أهل

الدولى عن أنى واقف اللبث انه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين وذكر الحديث
 المذكور (قوله والعقيان) أي الذهب الخالص

الجهل من الاعراب من ان من فعل شيئاً عظيماً نثرت له راية بيضاء وقد رأيت من لم يفعل ذلك
ولكنه ينصب راية بيضاء على سطح داره ثلاثة أيام يصيح كل يوم وقت المغرب بأعلى صوته الـراية
البيضاء المبنية لفسان بيض الله وجهه وبالجملة فأكثر البدع الخبيثة نشأت من هنالك حتى اني
رأيت بدمشق الشام اناسا يندرون للشيخ عبد القادر الجيلي قنديلا يعلقوته في رؤس المنابر
ويستقبلون به جهة بغداد ويبقى موقدا الى الصباح وهم يعتقدون ان ذلك من أتم القربات اليه
كانهم يقولون بلسان حالهم أينما توفقوا فقم عبد القادر في الله المحجب ما هذه الخرافات وأين دين الله
الذي قدمات بال الشيطان في عقولهم وأضلهم عن سبيلهم ولا ترى أحدا ينهى وينكر عن
أمثال ذلك وأعظم مما هنالك ومن أقبح المنكرات ما يستعمله جميع النساء عند وضع الاناث ولا
سيما في شدة الطلق فانهن يستغثن بعلي بن أبي طالب وكلما اشتد الطلق صاحت النساء بأعلى أصواتهن
داعيات ومستغيات به ليخرج عنهن ما قد كرمهن ومن يسمعهن يتيقن اشرا كهن وقاماتسلم امرأة
منهن في هذا الحال العظيم والخطب الجسيم وكثير منهن يزعمن انه الموكل بالأرحام والموكول اليه في
هذه الأحوال العظام ومن البدع المنكرة ان كثيرا من أهل الهند وأهل الأماكن القاصية يرسلون
الهدايا العظيمة والأموال الكثيرة اما لاجراء القنوات لأجل المجاورين عند قبورهم فانهم عندهم
أفضل خلق الله ومن جاور عندهم فكانما ابتاع منهم قطعة من الجنان واما العمل قبابهم بصفايح
الذهب العقيان وبعضهم يرسل هدايا عظيمة ليرسل له السدنة أعلاما ينشرونها على فلكهم اذا وقعوا
في شدتهم فيكون اسمه المكتوب في تلك الاعلام المرسل اليهم كشفا لسكرتهم نفاعا لهم بالنجاح
بغيتهم وأكثر نساء بغداد اذا فن صحيفات من وضعهن يخزن خبزا يسمينه عباس المستجمل يزعمن
ان العباس بن علي بن أبي طالب هو المتكفل بهذه الأمور العظام ومن ذلك عند الناس شيء كثير من
أحجار وآبار وصخور وأشجار يزعمون منها شفاء الأمراض وقضاء الحاجات وتفريج السكرات ولو
بسطت الكلام في ذلك مما يستعمله الرجال والنساء أو يختص بالنساء من أشياء يعلقنها عليهن ويدين
خواصها وتأثيراتها في أزواجهن ويسمينها بأسماء لورجعت الجاهلية الأولى لهجرت عن أقل القليل
من هذه الجهالات وسوء الاعتقادات لا تحمل مجلدات والويل كل الويل لمن أنكر ذلك أو تكلم
بأدنى شيء ينجي من تلك المهالك ومن أسخف البدع انك تسمع وقت خسوف القمر من الضرب
بالطسوس والنحاس شيئا عظيما ولا تكاد تسمع برجل دخل بيتا من بيوت الله للصلاة فيه أو صلى في
بيته أو استغفر أو تاب أو صدق فبالله نستعين على زمان أميت فيه السنن واستؤنس بالبدع اللهم
إذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين آمين ومن البدع المنكرة ما يستعمله المتصوفة
من أذكار اشتملت على الاسفوف والطبالات والغناء وأنواع الرقص ويسمونهم حالا وراهم يعملون

ذلك ومغنيهم ينشد هم من الشعر المشتمل على ما لا يرضى الله تعالى ويحضره الفسقة والمرد والنساء
 فيحصل من ذلك ما يظهر به شعائر الفسق والعصيان وتري الشيخ لو حصلت له مواجهة الظامة وظفر
 بدرأهمهم لعددها من أطيب المكاسب وأقرب المراتب لأكثر الله من أمثالهم ولا تتعب بنائنا بكثرة
 سوء فعلهم وكذلك لا نلوث ألسنتنا بقاذورات كلمات الفلاسفة التي انبتت عليها أصولهم الفاسدة
 وإن كنت قد وعدت بإيراد بعض منها في صدر هذه المقالة فالقصد بيان علوم الرسالة فكيف نخاطبها
 بأقوال أهل الضلالة وعسى الله تعالى أن يفسح في أجل فنعمل رسالة تلخص فيها قواعدهم ونذكر
 ما يفرع على كل قاعدة من مفاصلهم والله المستعان والخاص لو أراد الإنسان أن يفصل منكرات
 القبور وتلك المتصوفة ومنكرات الحيطان والآبار والصخور والأحجار والتماثيل وكذلك
 منكرات المساجد والحمامات والطرقات والأسواق والبوادي والأصهار فضلا عن الدخول في
 منكرات المجالس والملابس والبيع والشراء وما ابتدعوه فيها وجعلوه كالسنة المأمور بها تضاق عنه
 نطاق التحريم وعجز عن ضبطه من تصدى للتسطير وعسى الله سبحانه وتعالى أن يرسل في هذه الامة
 من يجدد لها أمر الدين ويتبع سبيل المسالمين ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مؤمنين آمين
 ﴿الحاتمة رزقنا الله حسناتها وفيها فصول ثلاثة﴾

(الفصل الأول في النذر)

اعلم أن النذر لغة الوعد بخير والايحباب وشرع الزام مكلف مختار عبادة غير لازمة له بأصل الشرع وهو
 أقسام نذر معصية فيحرم الوفاء به قطعا ولا يصح وفاقا بين الشافعي وأصح الروايتين عن أحمد خبر
 مسلم لا نذر في معصية الله ولا فيما لا يملكه ابن آدم وعند أبي حنيفة وهو الرواية الاخرى عن أحمد ينعقد
 وحرمه الوفاء به لا تمنع انعقاده ويكفر كفارة يمين وأما في غير هذه الصورة من المعصية فهو قسمان
 أحدهما نذر لجأج وهو ما علق على شيء لقصد المنع منه أو الحث عليه والغالب فيه أن يكون ناشئا من
 الغضب كان كلمته

(قوله ربنا أفرغ علينا صبرا) أي افض علينا صبرا يغمرنا كما يغمر الماء أو صب علينا ما يطرنا من
 الآثام والصبر على هذه المنكرات (قوله وتوفنا مؤمنين) أي ثابتين على الإيمان (قوله رزقنا الله
 حسناتها) جملة دعائيه والمراد من الحاتمة هنا ومن الضمير العائد إليها آخر العمر وعاقبته في الكلام
 طريق الاستخدام (قوله عبادة غير لازمة له بأصل الشرع) وأركانه ناذرو منذور وصيغة وشرط
 الناذر اسلام واختيار ونفوذ تصرفه فيما ينذر (قوله لا نذر في معصية الله إلح) وكالمعصية المسكروه
 لذاته أو لازمه وهو ما صرح به بعض الشافعية (قوله فهو) أي النذر (قوله لجأج) يفتح اللام وهو
 التماذي في الخصومة (قوله وهو) أي نذر اللجأج (قوله كان كلمته) أو أن لم أكله أو أن لم يكن الأمر

فإنه على عتق أو صوم وفيه عند الإمام الشافعي ثلاثة أقوال أحدها أنه مخير قبل فعله بين أن يفعل ما التزم أو يكفر كفارة يمين وهذا هو الرواية الصحيحة عن أحمد بن حنبل وثانيها أنه يبرر وسمي به لأنه طاب إليه أو التقرب إلى الله كما ينذر الله بالتعليق من الطاعات كصلاة وصوم وحج وغير ذلك فيلزم الوفاء به وكذا المعلق إذا حصل المعلق عليه عند أكثر العلماء خبر البخاري من نذر أن يطيع الله فليطاعه وقد جعل الشافعية من اللجاج ما هو تبرر وفرقوا بينه وبين اللجاج أن الأول تعليق بمغروب فيه والثاني بمغروب عنه ومثل له القفال حيث قال لو قالت لزوجها إن جامعني فعلى عتق عبد فإن قالته على سبيل المنع فإيجاج أو الشكر لله حيث يرزقها الاستمتاع بزوجها الزمها الوفاء به انتهى بنقل ابن حجر وعلى كل حال فالنذر اللجاج مكروه عند الإمام الشافعي ونذر التبرر مباح ويثاب بفعله ما عاقبه عليه من الطاعة وعند الإمام أحمد كراهة مكروه وإن أثيب على ما يفعله في صورة التبرر لقوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله عز وجل (لا يأتي ابن آدم) بالنصب مفعول مقدم وفاعله (النذر) بفتح النون (بشيء لم أكن قدرته ولكن يلقيه النذر إلى القدر) يعني لا يأتي النذر بشيء غير مقدر فإن وجد شيء فالقدر هو الذي يلقى ذلك المطوب لا النذر (وقد قدرته له استخرج به من البخيل فيؤتيه عليه ما لم يكن يؤتيه عليه من قبل) قال النووي معناه أن النذر لا يأتي مبتدئاً بهذه القرينة تطوعاً بل في مقابلة بشعور مريض بمعايق النذر به وقال الخطابي فيه إشارة إلى ذم ذلك وفي قوله استخرج إشارة لوجوب الوفاء به وأما مدح الوافين به قال بعضهم فلا يدل على استحسانه ومشروعيته بل على جواز الوفاء به ولذلك لم يفعل النبي صلى الله عليه وسلم ولا أمر به بل نهى عنه وأخبر أنه لا يرد قضاء ولا يأتي بخير بقى عندنا صورة أخرى عليها مدار الناس في هذا الزمان وهو النذر غير الله كالنذر لأبراهيم الخليل أو النبي صلى الله عليه وسلم

كما قلته (قوله فله على) أو فعلى (قوله عتق أو صوم) أو عتق وصوم وحج (قوله وفيه) عند وجود المعلق عليه (قوله ثلاثة أقوال) أحدها أن فيه كفارة يمين لخبر مسلم كفارة النذر كفارة يمين ولا كفارة في نذر التبرر قط ما فتعين حله على نذر اللجاج وثانيها على ما التزم لخبر من نذر وسمي فعله ما سمي وثالثها وهو أحدها الخ (قوله أو يكفر كفارة يمين) لأنه يشبه النذر من حيث أنه التزم قرية واليمين من حيث أن مقصوده مقصود اليمين ولا سبيل للجمع بين موجبهما ولا لتعطلهما فوجب التخيير (قوله وكذا المعلق الخ) كان شفي الله مريضاً فله على أو فعلى (قوله فليطاعه) وظاهر كلامه أنه يلزمه الفور بإدائه عقب وجود المعلق عليه وهو كذلك (قوله انتهى بنقل ابن حجر) فعلم من كلامه أن نذر التبرر قسمان معلق وغيره وهو كذلك (قوله إشارة لوجوب الوفاء به) أي لأن غير البخيل يعطى باختياره بلا واسطة النذر والبخيل إنما يعطى بواسطة

أو النذر للموات الصالحين فقد جرت هذه العادة الخبيثة في هذا الوقت من نذرهم الطعام والزيت
والشموع والقرايين لأهل القبور من الأموات وقد اضطرت أقوال العلماء في ذلك فقال ابن حجر
المسكي في التحفة يقع لبعض العوام جعات هذا القبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصح كما بحث لأنه اشتهر
في النذر في عرفهم ويصرف لمصالح الحجرة النبوية بخلاف متى حصل إلى كذا أجيء له بكذا فإنه اغو
وقال في مكان آخر منها ومنها التصديق على ميت أو قبره أن لم يردت ما يكره واطرد العرف بأن ما يحصل له
يقسم على نحو فقرائه هناك فإن لم يكن عرف بطل قال السبكي والأقرب عندي في الكعبة والحجرة
الشريفة والمساجد الثلاثة أن من خرج من ماله عن شيء لها واقتضى العرف صرفه في جهة من
جهات صرف إليها واختصت به انتهى ثم قال ومنها السراج نحو شمع أوزيت في مسجد أو غيره
كمكة برة أن كان ثم من ينتفع به ولو على ندور فيجب الوفاء به وإلا فلا انتهى وسئل في فتاويه عن
أحكام النذر لقبور الأولياء والمساجد وللنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فأجاب بقوله النذر للولي
إنما يقصد به غالباً التصديق عنه لخدم قبره وأقاربه وفقرائه فإن قصد النذر شيئاً من ذلك أو أطلق
صح وإن قصد التقرب لذات الميت كما يفعلها أكثر الجهلة لم يصح وعلى هذا الأخير يحمل إطلاق أبي
الحسن الأزرق عدم صحة النذر للقبر مطلقاً ثم قال فيها وحيث قالوا في باب الوقف أنه يعمل فيه بالعادة
الموجودة فيها هذه الشروط وانها بمنزلة شرط الواقف كذلك نقول هنا العادة المنذورة بمنزلة
شرط الناذر فيعمل بجميع ما حكمت به وقال علماء الدين الحنفى في شرح الملتقى وأعلم أن النذر
الذي يقع للموات من أكثر العوام تقر باليهم فهو بالاجماع باطل حرام مالم يقصد وأصرفها إلى
فقراء الأنام وقد ابتلى الناس بذلك ولا سيما في هذه الأيام انتهى وسئل خير الدين الرملي الحنفى
في فتاويه عن النذور المتعلقة بالأنبياء والأولياء يقبضها قوم ويزعمون أن ما يتناولونه حقاً من
حقوقهم إلى آخر السؤال فأجاب هذه المسئلة جعل فيها شيخ الإسلام الشيخ محمد الغزالي رسالة
حاصلها أن النذر لا يصح إلا إذا كان من جنسه واجب مقصود أذ ليس للعبد أن ينصب الأسباب
ويشرع الأحكام ثم قال وفي شرح الدرر للعلامة قاسم وأما النذر الذي ينذر به أكثر العوام كان
يقول ياسيدي فلان يعني به ولياً من الأولياء أو نبياً من الأنبياء أن رد غائب أو عوفي مريض أو قضيت
حاجتي فلك من الذهب أو الفضة أو الطعام أو الشراب أو الزيت كذا فهذا باطل بالاجماع لأنه نذر
لمخاوف وهو لا يجوز لأنه أي النذر عبادة لا تكون لمخاوف والمنذور له ميت والميت لا يملك وأنه إن ظن

النذر الموجب عليه (قوله صرفت إليها واختصت به) فإن لم يقتض العرف شيئاً فالذي يتبعه
أنه يرجع في تعيين المصروف لرأي ناظرها وظاهر أن الحكم كذلك في النذر إلى مسجد غيرهما خلافاً
لما يؤممه كلامه (قوله من أكثر العوام) زاد في شرح التنوير وما يؤخذ من الدراهم والشمع

ان الميت يتصرف في الأمور كحرف ثم قال فاذا علمت هذا فإياؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها فتقل الى ضرائح الأولياء تقر باليهم لا الى الله فإرام باجماع المسلمين ما لم يقصدوا الفقراء الأحياء قولاً واحداً وقد علم بما نقلناه ان ما ينذر العوام للشيخ مروان وعلى بن عليل ورويل لا يصح ولا يلزم وليس للخادم أخذه على أنه نذر صحيح الا اذا أخذه على وجه الصدقة المبتدأة وكان فقيراً هذا بعض من كلام شارح الدرر ثم قال المستفتى أقول قد استباح هذا المحرم المجمع على حرمة جماعته يزعمون انهم متصوفة الى آخر ما قال في الرد وأطال في الذم قال بعضهم لو نذر لآل نبياء أو لآل أولياء أو لآل أئمة فلا خلاف بين من يعلم ذلك ويقتضيه أنه من شرك الاعتقاد لأن الناذر لم ينذر هذا النذر الا لاعتقاده في المنذور له أنه يضرو وينفع ويعطي ويمنع اما بطبيعته واما بقوة السببية فيه والدليل على اعتقادهم هذا الاعتقاد قولهم وقعنا في شدة فنذرنا فلان فانكشف شدتنا ويقول بعضهم هاجت علينا الأمواج فنذرت الشيخ فلان فسامت سفينةنا وبعضهم يقول خرجت علينا الأعداء وكدنا ناستأسر فنذرت فلان ونذرت له الشيء الفلاني فسامنا وتراهم اذا لم يفوا وحصلت لهم بعض الآلام قيل للناذر أوف بنذرك والا يفعل بك كذا وكذا فيسارع بالوفاء ولو أنه يستدين على ذمته ولو كان مديوناً ومضطراً او بما لا يعيا بوفائه ور بما يموت وهو مديون كل ذلك خوفاً من المنذور له وطلب الرضا وهل هذا الا من سوء اعتقاده وقلة دينه وكساده وغاية جوابه اذا عدلته ان يقول لك مقصودي يشفعون لي والله ما تخطر الشفاعة على قلبه ولا يعرف الا ان ذلك المنذور له هو القاضي حاجته والمهيء لبغيته وبعضهم يقول نذرت فلان فرأيت أشخاصاً جاؤا وأنا بين النوم واليقظة فدفعوا السفينة أو العدو مثلاً فانتبهت وقد حصل المطالب وتم المرغوب وبعد هذا لا يعرف غيره ويعتقد ان لا خير الا خيره ولا ضير الا ضيره عافانا الله في الدين الى يوم الدين آمين

﴿الفصل الثاني في النحر وأحكامه﴾

اعلم ان المراد بالنحر حيث أطلق نحر الابل فهو خاص بها كما ان الذبح يعم غيرها من سائر المأكولات وقد خصه الله سبحانه بقوله فصل لربك وانحر لأن البدن كانت خيار أموال العرب وقد قرن الله سبحانه النحر بالصلاة اهتماماً بشأن تخصيصه به والمعنى انحر لربك مخالفاً لقومك من نحرهم للأوثان فان من أبغضك من قومك لمخالفتك لهم هو الأبتل أنت لان كل من يولد الى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر قال محمد بن كعب ان اناساً كانوا يضاؤون لغير الله وينحرون فامر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي وينحر لله عز وجل وقال عكرمة وعطاء وقتادة فصل لربك صلاة العيد والنحر نسكك وقال الله تعالى قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين

والمراد من النسك كما قال المفسرون اما العبادة كلها والقربان ومعنى محياى ومماتى ما أنا عليه فى حياتى وأموت عليه من الطاعة الفائضة عن الايمان بالله رب العالمين خالصة له لا أشرك فيها غيره فقد قرن سبحانه فى هذه الآية الشريفة القرايين التى امتاز بتخصيصها لله وحده الموحدون عن المشركين بالصلاة التى هى عماد الدين * واعلم ان الذبح للحيوان المأكول المبيح لا كله هو المفروض والمراد به قطع الحلق وهو أعلى العنق واللبة وهى أسفل والتذكية لغة التطيب ومنه رائحة ذكينة والتقيم ومنه فلان ذكى أى تام الفهم سمي بها الذبح المبيح لانه يطيب المذبوح باباحته اياه والتذكية الشرعية لا تحصل الا بقطع كل الحلقوم والمرىء فالتذكية أخص من الذبح المطلق والمراد بالحلقوم مخرج النفس والمرىء مهموزا مجرى الطعام والشراب وهوتحت الحلقوم ويستحب قطع الودجين بفتح الواو والدال وهما عرقان فى صفحتى العنق يقال لهما الوريدان وأوجب قطعهما الامام أبو حنيفة ويسن جعل الذبح للغنم والبقر والنحر للابل أى طعنهما بماله حذفى منه حرها وهو الوهدة التى فى أسفل العنق لاسمى به فى سورة الكوثر والتسمية عند الذبح عند الشافعى سنة مؤكدة يكره تركها عمدا او عندا أى حنيفة شرط حال فلا يحل عنده متروك التسمية عمدا وأما نسيانا فتحل وعند الامام مالك لا تحل مطلقا وانما كره تعمده ترك التسمية ولم يحرم عند امامنا الشافعى لانه تعالى أباح لنا ذبائح الكفايين وهم لا يسمون غالبوا والدلائل من الجانبين كثيرة فلا نطيل الكلام

والزيت ونحوها فى ضرائح الأولياء الكرام (قوله لله رب العالمين) ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم فى قربانه يقول اللهم منك ولك بعد قوله بسم الله والله أكبر اتباعا لقوله تعالى ان صلاتى ونسكى الى آخر الآية (قوله عن الايمان) أوطاعات الحياة والخيرات المضافة الى المات كالوصية والتدبير وأول المسامين (قوله واللبة) بفتح أوله (قوله والتذكية) بالذال المعجمة (قوله سمي بها) شرعا (قوله لأنه يطيب) أكل الحيوان (قوله الشرعية) لكل حيوان يرى وحشى أو نسي قدر عليه (قوله بقطع كل الحلقوم والمرىء) لأن الحياة انما تنعدم حالا باعدامها (قوله مخرج النفس) يعنى مجراة دخولا وخروجا قال بعضهم ومنه المستدير الناقى المتصل بالفم كما يدل عليه كلام أهل اللغة فتى وقع القطع فيه حل كما يدل عليه كلام الشافعية (قوله صفحتى العنق) يحيطان بالحلقوم وقيل بالمرىء (قوله واجب قطعهما) لأنه من الاحسان فى الذبح المأمور به اذ هو أسهل لخروج الروح (قوله فى أسفل العنق) المسمى باللبة (قوله فى سورة الكوثر) وفى الصحيحين ولأنه أسرع لخروج الروح اطول العنق ومن ثم بحث ابن الرفعة وتبعوه ان كل ما طال عنقه كالاوز كالابل (قوله يكره تركها عمدا) ولا يقال للمقام لا يناسب الرحمة لأن تحليل ذلك لنا

ففيها قال ابن حجر المذكي في شرح المنهاج (ولا يقول باسم الله واسم محمد) أي يحرم عليه ذلك للتشريك لأن من حق الله تعالى أن يجعل الذبح باسمه فقط كما في اليمين باسمه نعم أن أراد الذبح باسم الله وأتبرك باسم محمد كره فقط كما صوبه الرافعي ولو قال باسم الله ومحمد رسول الله بالرفع فلا بأس وبحث الأذرعى تقييده بالعارف والأفهم ما سميان عند غيره ومن ذبح تقرب بالله تعالى لدفع شر الجن عنه لم يحرم أو بقصد هم حرم وكذا يقال في الذبح للكعبة أو قدوم السلطان ولو ذبح ما كولا غير أكرامه لم يحرم وإن أتم بذلك انتهى قال ابن قاسم العبادي عبارة الروض ولا تحل ذبيحة كذاي للشيخ وسلم لمحمد أو للكعبة فإن ذبح للكعبة أو لارسل تعظيما لكونها بيت الله أو لكونهم رسل الله جازا انتهى وبه يعلم أن تسميته محمد على الذبح عند الأفراد أو عطفه على اسم الله يحرم أن أطلق ولا يحرم أن أراد التبرك وتحل الذبيحة في الحالين وأما إذا قصد الذبح له فإن أطلق حرم وحرمت الذبيحة وإن قصد التعظيم والعبادة كفر وحرمت الذبيحة قال علاء الدين الحنفى في شرح التنوير (ذبح لقدوم الأمير ونحوه) كواحد من العظمة (يحرم) لأنه أهل به لغير الله تعالى (ولو) وصالية (ذكر اسم الله تعالى ولو) ذبح (ناضيف لا) يحرم لأنه سنة الخليل وأكرام الضيف أكرام الله تعالى والغارق أنه إن قدمها ليا كل منها كان الذبح لله والمنفعة للضيف أو للوليمة أو للرجح وإن لم يقدمها ليا كل منها بل يدفعها لغيره كان التعظيم لغير الله فته حرم وهل يكفر قولان بزانية وشرح وشبانية قلت وفي صيغة المنية أنه يكفر ولا يكفر لانا لانسى الظن بالمسلم أنه يتقرب إلى آدمي بهذه النحر ونحوه في شرح الوهبانية عن الذخيرة انتهى وقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله وفي رواية من أهل وهو بمناء ومعنى صدر الحديث النهي عن لعن أبوى غيره فيلعن أبويه فبقتببه كان كأنه قد لعن أبوى نفسه وأما

غاية الرحمة بنا ومشروعية ذلك في الحيوان رحمة له لما فيه من سهول خروج روحه (قوله عبارة الروض) ولا يجوز أن يقول الذابح باسم محمد ولا باسم الله واسم محمد أي ولا باسم الله ومحمد رسول الله بأجر كما في أصله للتشريك فإن قصد التبرك فينبغي أن لا يحرم كقوله باسم الله ومحمد رسول الله برفع محمد (قوله انتهى) كلام صاحب الروض (قوله في صحيحه) عن علي رضي الله عنه (قوله لغير الله) تمامه ولعن الله من آوى محدثا ولعن الله من غير منار الأرض (قوله كأنه قد لعن أبوى نفسه) فيكون ما باب التسبيب هكذا فسرده النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر قال بعضهم ولعل على الوجه في تفسيره السب بكذا هو استبعاده بأن يسب الرجل والديه بالمباشرة فإن وقع سب الوالدين يكون واقعا بالسببية سبحانه الله إذا استحق من يكون سبب السب لعنه فكيف حال المباشرة

آخره فقال المناوي بأن يذبح باسم غير الله كصنم أو صليب أو لموسى أو عيسى أو الكعبة فسكاه حرام ولا يحس ذبيحته بل إن قصد به تعظيم المذبح له كفر انتهى وقال ابن حجر المكي في زواجه الكبيرة السابعة والستون بعد المائة الذبح باسم غير الله على وجه لا يكفر به بأن لم يقصد تعظيم المذبح له كمنحو التعظيم بالعبادة والسجود كذا عدهند الجلال البلقيني وغيره ويستدل له بقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وأنه لفسق أي والحال أنه كذلك بأن ذبح غير الله اذ هذا هو الفسق هنا كما ذكره الله تعالى بقوله أو فسقا أهل لغير الله به وهذا بان أن متروك التسمية حلال ويؤيد ذلك أن ابن عباس قال في تفسير الآية يريد الميتة والمنخنقة إلى قوله وما ذبح على النصب قال السكبي يعني ما لم يذكر أو ذبح لغير الله تعالى وقال عطاء بن رباح عن ذباح كانت تذبحها قريش والعرب على الأوثان قيل ومعنى أنه لفسق أي أكل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة فسق أي خروج عن الدين إلى آخر ما قال في الدليل ثم قال وقوله تعالى وإن أطعتموهم أنكم مشركون والشرك في استحلال الميتة لا في استحلال الذبيحة التي لم يسم عليها ذلك الواحد وغيره ثم قال وجعل أصحابنا ما يحرم الذبيحة أن يقول باسم الله واسم محمد أو محمد رسول الله بجر الثاني أو محمد أن عرف النحو فيما يظهر وأن يذبح ككافي لكنيسة أو صليب أو لموسى أو عيسى أو مسلم للكعبة أو لمحمد صلى الله عليه وسلم أو تقر بالشيطان أو غيره أو لا يجن فهذا كنه يحرم المذبح وهو كبيرة على ما مر انتهى فقد

(قوله فقال المناوي) وكذلك ذكر النووي (قوله وأنه) الضمير راجع إلى ما ويجوز أن يكون للذبح الذي دل عليه لا تأكلوا (قوله أهل لغير الله به) أي رفع الصوت لغير الله به (قوله يريد الميتة) أي ما فارقه الروح من غير تذكية (قوله والمنخنقة) أي التي ماتت بالخنق (قوله النصب) وهي كل ما تنصب لتعبد من دون الله وفي تفسير قتادة المشهور عنه أن النصب حجارة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويذبحون لها فهي الله عز وجل عن ذلك وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس النصب أصنام كانوا يذبحون لها ويهلون عليها وفي تفسير مجاهد المشهور عنه من رواية ابن أبي نجيح في قوله تعالى وما ذبح على النصب قال كانت حجارة حول الكعبة يذبح لها أهل الجاهلية ويبدلون لها إذا شاؤا بحجارة أعجب إليهم منها وروى ابن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن أشعث عن الحسن وما ذبح على النصب قال هو بمنزلة ما ذبح لغير الله (قوله من الميتة) وهي مامات حنفاً (قوله ثم قال وقوله تعالى) وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم أي بقولهم تأكلون ما قتلتم أتم وجوارحكم وتدعون ما قلناه الله وهذا يؤيد التأويل بالميتة (قوله وإن أطعتموهم) في استحلال ما حرم (قوله أنكم مشركون) فإن من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد أشرك (قوله والشرك في استحلال الميتة) لأن الله حرم الميتة

نبين لك من هذه النقول كلها ان ما يقرب لغير الله تقر بالى ذلك الغير ليدفع عنه ضيرا أو يجلب له خيرا
تعظيمه من الكفر الاعتقادي والشرك الذي كان عليه الأولون وسبب مشروعية التسمية تخصيص
مثل هذه الأمور العظام بالاله الحق المعبود والعلام فاذا قصد بالذبح غيره كان أولى بالمنع وصح نهيه صلى
الله عليه وسلم عن استأذنه في الذبح ببوانة وانه قد نذر ذلك فقال له صلى الله عليه وسلم أكان فيها صنم
قال لا قال فهل كان فيها عيد من أعياد المشركين قال لا قال له فاوف بنذرك أخرج ذلك أبوداود في
سننه وهذا السائل موحد مقرب لله سبحانه وتعالى وجده لكن المكان الذي فيه معبود غير الله
وقد عدم أو محل لا اجتماعهم يصلح مانعا فاعلم صلى الله عليه وسلم ان ليس هناك شيء من ذلك أجازة
ولو علم شيئا سئل عنه لم ينعه صيانة لحى التوحيد وقطع التريعة الشرك وصح أيضا عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب قالوا كيف ذلك يا رسول الله قال مر
رجال على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئا قالوا له قرب ولو ذبابا فقرب ذبابا فلو اسبيله

فان قلتم بتحليلها من غيره فقد أشركتم وقد استثنى الله تعالى من تحريم الميتة حالة الاضطرار فقال
فن اضطر في نخصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم وشروط ذلك مذكورة في كتب الأحكام
(قوله ببوانة) بضم الباء الموحدة اسم موضع فيه يقول وضاح الثمين

أي انخلني وادى ببوانة حبذا * اذا نام حراس النخيل جنا كما

(قوله أخرج ذلك أبوداود في سننه) روى أبوداود في سننه قال حدثنا داود بن رغبة حدثنا
شعيب بن اسحق عن الأوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني ابن أبي قلابة حدثني ثابت بن
الضحاك قال نذر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني نذرت ان انحر ابلا ببوانة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد قالوا لا قال فهل كان فيها عيد
من أعيادهم قالوا لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوف بنذرك فانه لا وفاء لنذر في معصية الله
ولا فيما لا يملك ابن آدم أصل هذا الحديث في الصحيحين واسناده على شرطهما ورجاله كلهم ثقات
مشاهير وهو متصل بهذا الحديث يدل على ان الذبح بمكان عيدهم ومحل أوثانهم معصية لله من وجوه
احدها ان قوله فاوف تعقيب الوصف بالحكم بالفاء وذلك يدل على ان الوصف هو سبب الحكم
فيكون سبب الامر بالفاء وجود النذر خاليا من هذين الوصفين فيكون الوصفان مانعين من الوفاء
ولو لم يكن معصية لحاز الوفاء به الثاني انه عقب ذلك بقوله لا وفاء لنذر في معصية الله الثالث انه لو كان
الذبح في موضع العيد جاز السوغ صلى الله عليه وسلم للنادر الوفاء به كما سوغ لمن نذرت الضرب بالدف
ان تضرب به فهذا الحديث يقتضي ان كون البقعة مكان العيد مانع من الذبح بها وان نذركم ان
كونها موضع أوثانهم كذلك والامساك بالنظم الكلام ولا حسن الاستفصال (قوله حتى يقرب اليه شيئا)

فدخل النار وقالوا لا آخر قرب قال ما كنت أقرب شيئا لأحد دون الله عز وجل فضر بواضعه
فدخل الجنة في هذا الحديث من الفوائد كون المقرب دخول النار بالسبب الذي لم يقصده بل فعله
تخلصا من شرهم وأنه كان مسامحا والالم يقل دخول النار وفيه ما ينبغي الاهتمام به من أعمال القلوب
التي هي المقصود الأعظم والركن الأكبر فتأمل في ذلك وانظر إلى فوائدك في جميع ما قالوه وألق
سهلك إذا ذكره وانظر الحق فإن الحق أبلغ والباطل لجائع فبالنظر التام إلى ما كان عليه المشركون
من تقريبيهم لأنفسهم لتقريبهم إلى الله ليسكونهم شفعا لهم عند الله وشفاعتهم بسبب أنهم رسل الله
أو ملائكة الله أو أولياء الله يعزى ضعف ما قاله ابن قاسم العبادي فيما نقلناه عنه فيما سلف ويتبين لك
مأخذه الناس الآن والله المستعان

الفصل الثالث في الاستعاذة

اعلم أن الاستعاذة الالتجاء من كل شر فمن استعاذ بغير الله فقد خسر وخاب وإن المستعبد بغير الله
تعالى متخذ من استعاذ به وليا وانصبر من دونه لقوله فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إلى قوله إنما
سلطان على الذين يتولونه والذين هم به مشركون فمن استعاذ بغير الله على وجه التخلص من الشرور
التي لا يدفعها إلا علام الغيوب فهو بمن استعاذ به مشرك وكان الرجل من العرب في الجاهلية إذا سافر
فأمسى في أرض خالية قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فأنزل الله سبحانه وأنه كان
رجال من الأنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا أي فزاد الأنس الجن المستعاذ بهم رهقا
أي سفها قال الخطابي لا يستعاذ بغير الله أو صفاته إذ كل ما سواه تعالى وصفاته مخلوق ولذلك وصفت
كلماته تعالى بالتمام وهو الكمال وبأن مخلوق لا وفيه نقص والاستعاذة بالمخلوق شرك مناف
لتوحيد الخالق لما فيه من تعطيل معانيه تعالى الواجبة له على عباده انتهى وبهذا احتج الإمام

فقالوا أحدها قرب قال ليس عندى شيء (قوله فدخل الجنة) وهذا الحديث رواه أحمد عن
طارق بن شهاب (قوله الالتجاء من كل شر) فعنى استعذ بالله امتنع به واعتصم به واجأ إليه
(قوله إلى قوله) أنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (قوله إنما سلطانه الخ)
المراد بالسلطان الطريق الذي يتسلط به عليهم سواء كان من جهة الحجية أو من جهة القدرة فالقدرة
داخلة في معنى السلطان وهذا أولى من تفسيره بالحجة (قوله والذين هم به مشركون) متضمن
ذلك أمرين أحدهما نفي سلطانه وإبطاله عن أهل التوحيد والإخلاص والثاني إثبات سلطانه على
أهل الشرك وعلى من تولاه فمن اعتصم بالله وأخلص له وتوكل عليه لا يقدر الشيطان على اغوائه
واضلاله وإنما يكون له سلطان على من تولاه وأشركه مع الله فهو لا عريته وهو وليهم وسلطانهم
ومتبوعهم (قوله أي سفها) وإنما طغيا نأوشرا وذلك أنهم قد قالوا أساءنا الجن والإنس فالجن

أحمد وغيره على أن كلام الله تعالى غير مخلوق فالواقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم بكلمات الله التامات ولا يستعاذ بمخلوق وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الرقي التي فيها شرك كالتي فيها استعاذة بالمخلوقين ويؤيد ما قلنا من أن الاستعاذة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك اعتقادي وقد جعل المستعين نصيبا من ماله لمن استعاذ به ليرفع عنه أو عن غيره ما حل به من المس واللم أو يدفع ما يحضره من سائر الألم قائلا في تعازيهم أعوذ بفلان وفلان ومن ساد من انس وجان من شركذا وكذا ثم ينحدر النجيرة لسكان الأرض من الجيران ليرفعوا ويدفعوا عنه ما حل به وكان ويدس ما يحضره في التراب ليكون لهم خالصا وطعاما سائغا وبعضهم يقول أعوذ بأبي الجان وشهاب الشيطان من العين ولذا نهى العامة عن التعازيم والأقسام التي يستعملها بعض الناس في حق المصروعين وأغلبها بل كلها لا تخلو عن هذه المصائب في الدين والأدوار الصغرى واليقين وأباح العلماء الاستشفاء بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر فالأقتصار على ما ورد محبوب والوقوف عنده مطلوب فقد كثرا اعتساف وقل الانصاف ونحن الآن في زمان القابض فيه على دينه كالقابض على الحجر لا تعرف فيه إلا المنكرات ولا تؤلف غير الضلالات قدر ضوا بالحياة الدنيا عن الآخرة ولم يعرفوا أول الأمر وآخره لاهية قلوبهم ظاهرة عيوبهم لا يستحيون من الله ولا يعملون لله فهم بأديان الرسل يلعبون فان الله وانا اليه راجعون سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين قال المؤلف رحمه الله تعالى نجز بفضل الله ومنه بتاريخ ليلة الخميس الثامنة عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٤ والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه أجمعين آمين اهـ وقع الفراغ من تميم هذه النسخة الشريفة في ١٤ شهر رجب سنة ١٢١٤ على

تتعاظم في أنفسها وتزداد كفرا إذا علمتهم الانس بهذه المعاملة (قوله بكلمات الله التامات) وهي كتبه المنزلة على أنبيائه ووصفها بالتام لعراثتها عن النقص والانقصام (قوله التي فيها شرك) أما الرقي التي لا شرك فيها فلا بأس بها كما قال صلى الله عليه وسلم لا بأس بالرقي ما لم تكن شركا (قوله المصروعين) وانفقوا على أن كل رقية أو تعزيم أو قسم فيه شرك بالله فانه لا يجوز التكلم به وإن أطاعته به الجن أو غيرهم وكذلك كل كلام فيه كفر لا يجوز التكلم به وكذلك الكلام الذي لا يعرف معناه لا يتكلم به لا مكان أن يكون فيه شرك لا يعرف (قوله رب العزة) بدل أو صفة لربك وأضيف إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذي العزة وما من عزة لأحد الا وهو بالسكها وحالقتها والمعنى أنه سبحانه وتعالى لعزته وغلبته منزله (قوله عما يصفون) أي يذكرون له من الولد والصاحبة والشريك وينعتونه بما لا يليق بذاته وصفاته من الشركين والملاحدة والزنادقة (قوله سلام) عظيم

يد الفقير الحقير محمد أمين ابن المؤلف المذكور ضو دفت له الأجور الشيخ على نجل العلامة الشيخ
أبي السعود محمد سعيد نجل العلامة الشيخ عبد الله بن الحسين بن مرعي بن ناصر الدين الشهير
بالسويدي البغدادى مسك الشافعي من ذهاب غفر الله له ولهم آمين

✽ يقول راجي غفران المساوي ✽ صححه محمد الزهري الغمراوي ✽
بحمدك اللهم على ما تفضلت من نعمائك ونشكر على ما أهدمت مما يجب من التقديس لعليائك
وأهلي ونسلي ونسلي على نبيك المرسل رحمة للعالمين سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المتقين وعلى آله وذوي
المنع والعلية وأصحابه وأولي النفوس الزكية ✽ أما بعد ✽ فقد تم بحمد الله تعالى طبع كتاب العقد الثمين في
بيان أصول الدين للعلامة الفاضل والملاذ السكامل خاتمة الحفاظ المحدثين ونخبة الرؤساء من
المحققين علامة الزمان وجوهرة عقد فضلاء الأوان الشيخ على بن أبي السعود الشهير بالسويدي
رحمه الله وأثابه رضاه وكتبه هذا تبذة في تحقيق مسائل من أصول الدين لا يستغنى عنها جاهدة
العلماء العاملين فضلاء عن القاصرين جمع فيه مهمات أصول أبا ن فيها عن تحقيق ونبه على بدع
غرق في تيار سيلها من لم يتمسك بالكتاب والسنة ويكون ذا بصيرة وتوفيق وبالجملة فن تدبر درره
وأخلى من التعصب والحسد صدره رأى من محاسن صاحبه ما لا يمكن حصره ويصعب على
اللسان ذكره ولما كانت النسخة التي أحضرت للطبع عليها فيها من الحواشي
ما لا يستغنى عن إثباته ويعز الوقوف على مثلها في تحقيق يناته جردناها
وجعلناها بأسفل الكتاب فكملة محاسنه وطابت ثماره لذوي
الألباب وذلك بالمطبعة الميمنية بمصر المحروسة المحمية
بحوار سيدي أحمد الدردير قريبا من الجامع
الازهر المنير وذلك في شهر ربيع الثاني
سنة ١٣٢٥ هجرية على
صاحبها أفضل الصلاة
وأزكى التحية
آمين

